أبطال الفتح الإسلامي

من

العرب والترك

تأليف

محمود نصير بك

نائب مدينة المنصورة السابق

الطبعة الثانية

مطبعة خلف بمصر

أبطال الفتح الإسلامي

من

العرب والترك

تأليف

محمود نصير بك

نائب مدينة المنصورة السابق

الطبعة الثانية

مطبعة خلف بمصر

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على رسول الله محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

قال الله تعالى (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين) : وقال عزّ وجلّ (وكان حقاً علينا نصر المؤمنين) .

إلى أرواح أبطال المسلمين والى أرواح جنودهم الابرار الذين خرجوا من يثرب مدينة الرسول فرفعوا راية الإسلام وانشأوا على قلة عددهم وضعف أسلحتهم ملكا كبيراً امتد من الصين شرقا إلى المغرب الاقصى على المحيط غرباً ،ومن قازان شمالا إلى سرنديب تحت خط الاستواء جنوباً، وامتد من أسبانيا والبرتغال حتى ولايات لانجدوك وكاركاسون وأربون بفرنسا وجميع جزر البحر الابيض المتوسط : قبرص وكريت وصقلية وسردينيا وجزر البليار وغيرها فى ثمانين عاماً من سنة ١٢.هـ إلى سنة ٩٤هـ .

إلى أرواح هؤلاء الأبطال الذين سحقوا رؤوس الجبال تحت حوافر جيادهم،والذين لمعت سيوفهم بالمشرق فانقضت شهبها بالمغرب حتى قال الناس (قوم كانوا مع الله فكان الله معهم) ما دفعت جيوشهم أبراج المجوس وخنادقهم ولاصدتها قلاع الروم ومعاقلهم .

أقدم هذا المجهود مشيداً بتاريخهم المجيد ليكون للأمة الأسلامية من أخلاقهم وأعمالهم مُثُلٍ تلهب فى نفوسهم نهضة تدفعهم الى العمل على استقلال بلادهم فى مشارق الأرض ومغاربها ، والله على كل شىء قدير . ؟

ذلك ما كتبت مقدمة للطبعة الأولى ، ويسرنى أن أضيف اليه فى هذه الطبعة الثانية هذه الكلمة :

دفعني إلى تسمية كتابي هذا « أبطال الفتح الاسلامي من العرب والترك » أن الجزء الأول منه المعاد طبعه وكان يسمى « أبطال الأسلام » لم يكن يشتمل الا على ذكر أبطال العرب وفتوحاتهم الى سنة ٩٤هـ. اما الجزء الثاني وهو ينشر لأول مرة مع الجزء الأول فيشمل أخبار الفتوح الأسلامية الى سنة ٩٧٣هـ سنة ١٥٦٦م وأبطالها من الفاتحين الأتراك .

الذي بعثني على اعادة طبع الجزء الأول ما رأيته من اقبال الناس على الطبعة الأولى وتسابقهم الى اقتنائها حتى نفدت نسخها حرصا منهم على معرفة سير أبطال الاسلام، وحباً في الاقتداء بهم والاهتداء بهديهم ، وما لقيت من تشجيع قادة الرأي وسادة الفكر وما نالني من العطف السامي إذ رفعت الجزء الأول من كتابي هذا إلى سدة صاحب الجلالة الفاروق فتشرفت بهذه الرسالة الملكية الكريمة التي اثبت نصها اعتزازاً بها وتيمناً بيمنها.

صاحب العزة محمود نصير بك

«أتشرف بابلاغ عزتكم الشكر السامي على النسخة التي قدمتموها لحضرة» «صاحب الجلالة الملك من مؤلفكم أبطال الاسـلام . وتفضلوا بقبول» «الاحترام ».

الأمين الأول

٢٣ مارس سنة ١٩٤٤ اسماعيل تيمور

حفظ الله مولانا جلالة الفاروق وأعز به مصر والشرق والاسلام .
وقد زدت على الطبعة الثانية للجزء الأول زيادات هامة، وأضفت اليها فصولا جديدة ، فتوسعت في ترجمة علي كرم الله وجهه ، وترجمة موسى بن نصير وزدت على تراجم ابطالها ترجمة قتيبة بن مسلم فاتح التركستان وكشغر الصينية ، ومحمد بن القاسم فاتح السند .

ومما أيد اختياري تسمية كتابي « ابطال الفتح الاسلامي من العرب والترك » كتاب أتاني من الاستاذ العلامة المؤرخ عزيز بك خانكي هذا نصه :

..... أشكر لك هديتك « ابطال الاسلام » فأهنئك . وقد أتممت قراءته فوجدته جمع بين الدقة والفائدة . فقد جمعت فى كتاب ما تفرق فى مائة أو تزيد ،وتخيرت أبطالا عظاماً من بين الابطال العظام . فلله درك ! ويعجبنى إيجازك واعجازك، فبارك الله لك فى قلمك وفى علمك وأدبك. على أن لى على اسم الكتاب ملاحظة،هى أنك أسميت الكتاب« أبطال الاسلام » ولم تذكر سوى أبطال العرب فى الترك والفرس والأفغان وغيرهم أبطال مسلمون ،وما دمت لم تذكر واحدا منهم فكان يحسن تسمية الكتاب أبطال العرب حتى لا يفهم انك اخرجت الابطال الترك والفرس والافغان وغيرهم من أبطال المسلمين ؟ عزيز خانكى ٢٨ ٢ سنة ١٩٤٤

وإنى اسأل الله تعالى أن يعيد للشرق مجده وللاسلام عزه وأن يوفقنا لما فيه رضاه انه على ما يشاء قدير ؟

محمود نصير

---

(١) بيع من الجزء الأول من هذا الكتاب (الطبعة الأولى نسخ قيمتها مائة وستون جنيها مصرياً دفعت إعانة لفقراء المدينـــه المنورة ومرضى الملاريا عن طريق جريدة الأهرام عشرون جنيها مصرياً وعن طريق وزارة الداخلية مائة واربعون جنيها مصرياً . فحمداً لله تعالى على ما أنعم .

فهرست الجزء الأول

فهرست الجزء الثانى

فهرست الصور والخرائط

الجزء الأول

أبطال الفتح الإسلامي

من العرب

أبو بكر الصديق

أبو بكر الصديق

أبو بكر الصديق هو عبد الله بن أبي قحافة عثمان ، بن عمرو ، بن كعب ابن سعد ، بن تيم ، بن مرة (أحد أجداد النبي صلى الله عليه وسلم) . ولد رضى الله عنه بعد ميلاد النبي بسنتين وأشهر سنة ٥٧٤م ،وتولى الخلافة فى ١٣ من شهر ربيع الأول سنة إحدى عشرة هجرية،وتوفى فى ٢٢ جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة هجرية وعمره ثلاث وستون سنة ؛ وكان رضى الله عنه جميلا أبيض نحيفاً .

أعماله فى الجاهلية :

كان أبو بكر من رؤساء قريش فى الجاهلية ، وكان محبباً إلى الناس ، عف اللسان عزوفاً عن الخمر فى الجاهلية ، وكان عالماً بالأنساب وأخبار العرب ، حتى كان العرب يدعونه عالم قريش ، ويهابونه لحرمته وكرمه ، وكان ذا مال جزيل .

أعماله فى الاسلام قبل خلافته :

كان رضى الله عنه أول رجل أسلم على يد النبي صلى الله عليه وسلم ، وأسلم على يده عثمان بن عفان ، والزبير بن العوام ، وطلحة بن عبيد الله ، وغيرهم ، رضى الله عنهم أجمعين . وقد صاحب النبي صلى الله عليه وسلم فى الغار يوم الهجرة ، فآنسه فيه ووقاه بنفسه . وشهد أبو بكر وقائع بدر وأحد ، والخندق ، والحديبية ، والمشاهد كلها مع رسول الله . ودفع رسول الله رايته العظمى يوم تبوك الى أبى بكر ، وكانت سوداء . وهو من العشرة المبشرين بالجنة ، وقد أنفق جميع ماله فى سبيل الاسلام ، فكان يشترى بماله المعذبين لانقاذهم من الآلام . وقد روى أن ما أنفقه أبو بكر فى رفع شأن

الاسلام من ماله أربعـــون ألف دينار ، حتى أثنى عليه الرحمن ،ونوه به القرآن ،ومنه قوله تعالى : (فأما من أعطى واتقى ... الآية) وقوله تعـالى : (وما لأحد عنده من نعمة تجزى) إلى آخر السورة .

أعمال أبى بكر فى خلافته :

لما رفعت روح النبي صلى الله عليه وســـلم إلى الرفيق الأعلى ، إلى جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ، رأى أبو بكر الأهوال الجسام ، فصمد لها غير هياب ولا وجل ، واثقا بوعد الله ســـبحانه وتعالى : (إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) . رأى رضى الله عنه أن كثيراً من المؤمنين طاشت عقولهم ، وكادوا يجنون لنعى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفى مقدمتهم عمر بن الخطاب ، إذ كان عمر شاهراً سيفه فى المسجد يقول : « من قال إن رسول الله مات قتلته بسيفى هذا » .

ثم رأى أن بعض القوم من عبس وذبيان ، مع جماعة من بنى أسد وكنانة وغيرهم ، أرادوا منع الزكاة ، وبعضهم ارتد عن الاسلام كمسيلمة باليمامة .

ورأى أبو بكر رضى الله عنه أن جيش أسامة بن زيد ، الذى جهزه رسول الله قبل وفاته لم يشرع فى الغزو بعد ، فماذا فعل أبو بكر أمام هذه الأهوال ؟

أولا — أتى حين علم بوفاة رســـول الله صلى الله عليه وسلم ، فدخل عليه ، وكشف عن وجه الرسول ، وقبله ، وقال : « بأبى أنت وأمى ، قد ذقت الموتة التى كتب الله عليك ، ولن تصيبك بعدها موتة أبدا . ثم خرج إلى الناس وقال لعمر ، عند ما رآه شاهراً سيفه يقول : (من قال إن محمداً رسول الله مات ضربته بسيفى هذا « أنصت » فأبى ! فأقبـل أبو بكر على الناس وقال : « أيها الناس ، من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حى لايموت » ثم تلا هذه الآية (وما محمد إلا رسول قد خلت من

قبله الرسل ، أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا ، وسيجزى الله الشاكرين) » .

قال عمر : « فما هو إلا أن سمعت أبا بكر يتلوها ، فوقعت على الأرض ماتحملنى رجلاى ، وعرفت أنه قد مات رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثانياً — لما تمت مبايعة القوم له بالخلافة ، صعد المنبر وقال : «أيها الناس ، قد وليت عليكم ، ولست بخير منكم ، فإن أحسنت فأعينونى ، وإن أسأت فقومونى . الصدق أمانة والكذب خيانة ، والضعيف فيكم قوى عندى حتى آخذ له حقه ، والقوى فيكم ضعيف عندى حتى آخذ الحق منه إن شاء الله . لا يدع أحد منكم الجهاد ، فانه لا يدعه قوم الا ضرب الله عليهم الذل أطيعونى ما أطعت الله ورسوله ، فاذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم . قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله » .

ثالثاً — بدأ بتسيير جيش أسامة بن زيد إلى بلاد قضاعة ، فغاب أربعين يوما ثم عاد إلى المدينة ظافراً غانماً .

رابعا — أرسل أحد عشر جيشاً لمقاتلة المرتدين عن الاسلام ، أو الذين منعوا الزكاة ، فهزم الله المشركين ، فقتل من قتل ، وتاب من تاب ، وعادوا جميعاً إلى الاسلام ، فأتم الله النصر للمسلمين . كل هذه الأعمال عملها أبو بكر فى قصير من الزمن بحزم وثبات ، فرضى الله تعالى عنه .

خامساً — فتوحاته رضى الله عنه : كان للعرب دولتان خارج جزيرة العرب : دولة عاصمتها الحيرة ، وكانت تحكم العراق ، وتسمى دولة المناذرة ، وكانت تحت حماية فارس . ودولة بالشام وهى دولة بنى غسان ، وكانت تحت حماية الروم . فحرك فى نفس أبى بكر رضى الله عنه فتح العراق البطل الجليل المثنى بن حارثة الشيبانى ، من بكر بن وائل ، (وهى من قبائل العرب التى بالعراق) فقدم على أبى بكر ، ورغب إليه أن يستعمله على من أسلم من

قومه ليغزو بهم أطراف فارس ، ولما عزم أبو بكر على فتح العراق وفارس ، استدعى خالد بن الوليد فى محرم سنة ١٢ هـ ، وأمره أن يبدأ بفتح العراق من أسفله ، وكتب إلى عياض بن غانم الذى فتح الجزيرة وقسماً من أرمينية أن يأتى العراق من أعلاه حتى ينتهى بخالد ، وأمر المثنى بن حارثة بالسمع والطاعة لخالد .

خرج خالد لفتح العراق ومعه عشرة آلاف من الجند ، وانضم إليه ثمانية آلاف رجل مع المثنى بن حارثة . وأمده أبو بكر ببطل الاسلام القعقاع بن عمرو . قال أبو بكر « لا يهزم جيش فيه مثل هذا » فرتب خالد الجيش ثلاث فرق ، وافتتح الحفير (على الخليج الفارسى) ونشبت وقائع بينه وبين الفرس وعرب العراق ، كان فيها الفوز لخالد بن الوليد وجنده ، وهى وقائع الثنى ، والولجة ، والليس (على الفرات) والأنبار ، وعين التمر ، ودومة الجندل التى افتتحها هو وعياض بن غانم وفتح غيرها من بلدان العراق صلحاً كالحيرة عاصمة العراق ، وكانت آخر واقعة له ببلاد الفرس واقعة الفراض ، وكان خالد يبعث الغنائم لأبى بكر مع خبر الفتح ، حتى قال أبو بكر : « عجزت النساء أن تلدن مثل خالد » .

علمنا مما تقدم أن جميع العراق من الخليج العجمى حتى أقصاه شمالا فتح فى خلافة أبى بكر رضى الله عنه .

ثم إن أبا بكر أرسل أربعة جيوش لفتح الشام سنة ١٣ هـ . ولكن الروم جمعوا باليرموك جيشاً لا يقل عدده عن مائتى ألف جندى ، فأرسل أبو بكر خالداً ليلحق بجيش المسلمين باليرموك ، ومعه نصف جنده ، ويترك النصف الآخر للمثنى بن حارثة بطل العراق ، فأخذ تسعة آلاف من الجند وسار بهم حتى وصل اليرموك . أما المثنى بن حارثة فقام بجيشه حتى افتتح بابل وهزم الفرس وقائدهم هرمز هزيمة منكرة ، فرضى الله عنه .

واقعة اليرموك :

لما وصل خالد إلى اليرموك ، وجد قواد المسلمين بها ، وكل منهم يريد القيادة ، فقال لهم خالد : آختلاف فى القيادة ، ونحن ستة وثلاثون ألف جندى ، وأمامنا من الروم مائتا ألف جندى ؟ فقالوا : ومارأيك ؟ فقال خالد : يؤمر على الجيش كله أمير واحد ، ويتداولون الامارة حتى يؤمروا كلهم ، وأن يؤمر هو فى اليوم الأول . فقبلوا مشورته ، فخرج خالد فى تعبئة لم تعبئها العرب قبل ذلك ، فجعل الجيش ستاً وثلاثين فرقة ، عدد كل منها ألف رجل ، وقائدها من أشجع الشجعان ، وجعل فرق القلب تحت قيادة أبى عبيدة ، وفرق الميمنة تحت قيادة عمرو وشرحبيل ، وجعل فرق الميسرة تحت قيادة يزيد بن سفيان . هذا ما كان من أمر العرب ؛ أما الروم فنزلوا على نهر اليرموك ، فكان النهر عن يمينهم ، ووادى الواقوصة عن شمالهم ، وكانوا يظنون أن النهر والوادى يحميان جانبهم ، ثم نشب القتال بين العرب والروم ، فهجم خالد بجيشه ، ففرق بين فرسان الروم والرجالة منهم (البيادة) فخذلت فرسان الروم وفروا إلى الصحراء ، فأوسع المسلمون لهم الطريق واكتفوا شرهم . ثم إنهم حاصروا الروم حصاراً شديداً ، وكانوا يضربونهم فى أقفيتهم بالسيوف ، فمن كان يهرب من السيف كان يهوى فى وادى الواقوصة ، وهو واد عميق ، فيقتل ، ومن كان يهوى فى النهر كان يموت غرقا ، حتى أن من غرق أو سقط بوادى الواقوصة من الروم كان أكثر ممن قتل بسيوف العرب ، وتم النصر للمسلمين ، ولم يثبت بعدها جيش من الروم أمام المسلمين .

ومن أحسن كلمات خالد فى هذه الموقعة أن رجلا قال لخالد : ما أكثر الروم وأقل المسلمين ! فقال له خالد : ما أكثر المسلمين وأقل الروم ، إنما تكثر الجند بالنصر ، وتقل بالخذلان .

وكانت خلافة أبى بكر سنتين وثلاثة أشهر وعشر ليال . وبينما كان أبو بكر فى مرضه أنشدت ابنته عائشة أم المؤمنين وهى جالسة عند رأسه بيتا من الشعر ، وهو :

وكل ذى إبل يوما موردها   وكل ذى سلب لابد مسلوب

ففهم قصدها أبو بكر ، فقال : ليس كذلك يابنتاه ، ولكنه كما قال الله تعالى : (وجاءت سكرة الموت بالحق ، ذلك ما كنت منه تحيد .)

وأنشدت مرة عائشة رضى الله عنها فوق رأسه :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه   ثمال اليتامى عصمة للأرامل

فلم تمنعه سكرة الموت من أن يفتح عينيه عند ما سمع هذا البيت قائلا « ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

وعهد أبو بكر بالخلافة إلى عمر بن الخطاب وهو من العشرة المبشرين بالجنة ، فما أكبر أبا بكر ، وما أكبر إيمان أبى بكر ، وما أكبر عمل أبى بكر ، رضى الله عنه .



عمر بن الخطاب

عمر بن الخطاب

عمر بن الخطاب ، بن نفيل ، بن عبد العزى ، بن رباح ، بن عبد الله ، ابن قرط . بن رزاح ، بن عدى ، بن كعب بن لؤى أحد أجداد النبي صلى الله عليه وسلم . ولد بعد ميلاد النبي بثلاث عشرة سنة (سنة ٥٨٣م) ، وتولى الخلافة فى يوم الثلاثاء ٢٢ جمادى الآخرة سنة ١٣ هـ ، وتوفى فى ٢٦ من ذى الحجة سنة ٢٣ هـ وعمره ثلاث وستون سنة ، وكانت خلافته عشر سنين وخمسة أشهر وواحداً وعشرين يوما ، وكان أبيض الوجه طويلا جسيما .

كان فى جاهليته مشهوراً بالشدة ، عزيز الجانب ، وكان ممن عرف فى قريش بنفوذ الكلمة ، والبطش ، وسمو المكانة ، وكان لا يحابى أحدا ، ولا يراقب شريفاً ولا مشروفا ، وكانت له السفارة فى الجاهلية ، وذلك أن قريشا كانوا إذا وقعت بينهم حرب ، أو بينهم وبين غيرهم ، بعثوه سفيراً ، وإذا فاخرهم أحد بعثوه مفاخراً .

أسلم فى السنة السادسة من النبوة ، وعمره ثلاث وثلاثون سنة ، بعد إسلام أربعين رجلا ، وإحدى عشرة امرأة ، وحضر المشاهد كلها مع رسول الله . وعن أبى هريرة قال : قال رسول الله « لقد كان فيمن قبلكم من الأمم محدَّثون (ملهمون) فإن يك فى أمتى أحد فهو عمر » .

فكان رضى الله عنه يرى الرأى فينزل به القرآن ، حتى بلغت موافقاته عشرين ، منها آية تحريم الخمر ، فإنه لما قال : « اللهم بين لنا فى الخمر بياناً شافيا » نزلت آية التحريم . ومنها آية الحجاب ، فإنه أمر نساء النبي صلى الله عليه وسلم أن يحتجبن ، فقالت له زينب : « وإنك علينا يا ابن الخطاب والوحى ينزل فى بيوتنا » ، فأنزل الله تعالى (وإذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من

وراء حجاب) ؛ ومنها آية الاستئذان فى الدخول ، وذلك أنه دخل عليه غلامه ، وكان نائما ، فقال اللهم حرم الدخول ، فنزلت آية الاستئذان ؛ ومنها آية الاستغفار ، ومنها آية منع الصلاة على المنافقين . وقد أعز الله تعالى الاسلام بعمر ، فكان رضى الله عنه عادلا ، حتى أن كل المؤرخين من المسلمين ، أو المنصفين من غير المسلمين ، أجمعوا على أنه أعدل من ساس الأمم .

أعماله فى خلافته :

هو أول من أرخ بالهجرة ، وأول من أسس بيت المال ، وأول من دون الدواوين ، وأول من عس الليل ، وأول من سن قيام رمضان ، وأنار المساجد فى لياليه ، وأول من ضرب النقود فى الإسلام ، وأول من استعمل البريد لنقل الرسائل ، وأول من سمى بأمير المؤمنين ، وغير ذلك من الأعمال العظيمة .

فتوحاته رضى الله عنه : — فارس . الشام . الجزيرة . مصر

انتهى فتح بلاد الفرس بعد جملة وقائع ، أشهرها واقعة القادسية ، وواقعة نهاوند . وذلك أن المثنى بن حارثة قدم المدينة ، بعد انتصارات العرب على الفرس بالعراق ، ليشرح لأبى بكر الصديق حالة بلاد الفرس وأنه يسهل على المسلمين فتحها ، فوجد أبا بكر مريضاً ، فأوصى أبو بكر عمر بن الخطاب أن يندب الناس بعد توليته منصب الخلافة مع المثنى بن حارثة لحرب الفرس .

خرج المثنى بن حارثة من المدينة ، مع أبى عبيدة بن مسعود الثقفى ، ومعه بعض العرب حتى قدم الحيرة ، وحصلت بين المسلمين وبعض الفرس وقائع ، ولكن عند ماعلمت الفرس صحة عزيمة المسلمين على غزو فارس ،

أرسلوا جيشاً لا يقل عدده عن مائة ألف مقاتل بقيادة رستم ، وعسكرت الفرس بساباط (بين المدائن والقادسية). بلغ ذلك عمر بن الخطاب فعزم على أن يرسل جيشاً قوياً لفتح فارس ، فاستشار المسلمين فيمن ينتدب لقيادة الجيش ، فقال بعضهم : لقد وجدت . قال : فمن ؟ قال : الأسد عادياً ! قال : من هو ؟ قالوا : سعد بن أبي وقاص . فلما أمّر عمر سعد بن أبي وقاص، قال له هذا : أوصنى ، وكان ابن أبي وقاص رضى الله عنه من بنى زهرة (أخوال النبي صلى الله عليه وسلم) فقال له عمر : ياسعد بنى وهيب ، لا يغرنك من الله أن قيل خال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصاحب رسول الله ،فإن الله عز وجل لا يمحو السيءَ بالسيء ، ولكنه يمحو السيئة بالحسنة ، فإن الله ليس بينه وبين أحد نسب إلا طاعته ، فالناس شريفهم ووضيعهم فى ذات الله سواء : الله ربهم وهم عباده يتفاضلون بالعافية ، ويدركون ما عنده بالطاعة ، فانظر الأمر الذى رأيت النبي صلى الله عليه وسلم منذ بعث إلى أن فارقنا فالزمه ، فإنه الأمر .. هذه عظتى ، إياك إن تركتها ورغبت عنها حبط عملك ، وكنت من الخاسرين .

خرج ابن أبي وقاص من المدينة ومعه أربعة آلاف مقاتل ، فيهم كثير من الزعماء كحميضة بن النعمان ، وشداد الحضرمى ، وعمرو بن معد يكرب ، ويزيد بن الحارث ، وشرحبيل الكندى .فلما وصل إلى زرود ، أمده عمر بأربعة آلاف مقاتل أيضاً ، ثم وافاه الأشعث بن قيس فى ألف وسبعمائة مقاتل ، فكان عدد جيشه نحو ثلاثين ألفاً بمن انضم إليه من جند العراق الذين كانوا مع المثنى بن حارثة ، وما انتهى سعد إلى زرود حتى توفى المثنى بن حارثة ، ذلك الشهم المقدام ، والقائد العظيم ، قبل أن تتم أمنيته بفتح بلاد فارس . رضى الله عنه .

لما وصل سعد وجنده إلى القادسية ، أرسل — امتثالا لنصيحة عمر — بعض أمراء جيشه إلى يزدجرد ملك الفرس يدعوه إلى الإسلام ، فإن أبى فالحرب ، وكان آخر من أرسله إليه المغيرة بن شعبة ، داهية القوم فى عصره ، فأقبل على جند الفرس ، فوجد عليهم التيجان والثياب المنسوجة بالذهب ، فأقبـل حتى جلس مع رستم قائد الفرس على سريره ، فوثبوا عليه وأنزلوه عن السرير ، وكان للفرس ترجمان يترجم أقوال العرب ، فقال المغيرة بن شعبة مخاطباً الفرس : « بلغنا عنكم الأحلام ، ولا أرى قوماً أسفه منكم ، إنا معشر العرب لا يستعبد بعضنا بعضاً ، فظننت أنكم تواسون قومكم ، أى تساوونهم بأنفسكم ، كما نتواسى ، فكان أحسن من الذى صنعتم أن تخبرونى أن بعضكم أرباب بعض ، فإن هذا الأمر لا يستقيم فيكم ، وإنى لم آتكم ، ولكنكم دعوتمونى . اليوم علمت أنكم مغلوبون ، وإن ملكا لا يقوم على هذه السيرة ولا على هـذه العقول » . فما ترجم مترجم الفرس كلماته حتى انتفضوا ، وأما أمراء الفرس فكأنما صب عليهم سوط من العذاب ، وقالوا : والله لقـد رمى (يعنون المغيرة) بكلام لا يزال عبيدنا ينزعون إليـه .

استعد ابن أبى وقاص للحـرب ، وأمر خالد بن عرفطة وعمرو بن معديكرب وأمثالهما باستنهاض المؤمنين إلى الجهاد ، وقال لهم : « إذا كبرت التكبيرة الرابعة فأنشبوا القتال . وكان بجيش الفرس سبعة عشر فيلا فنفرت خيل العرب ، فأرسل سعد إلى عاصم بن عمرو أن يكفيه شر الفيلة ، فتقدم عاصم بجماعة من الشجعان فقطعوا وضُن الفيلة ، فعوت وفرت برجالها وانتهى أول يوم من الموقعة وهو يوم أرماث ، أما يوم أغواث ، ثانى يوم للموقعة ، فأقبل القعقاع بن عمرو البطل العظيم ومعه ألف فارس من جند الشام — وكان أميرهم هاشم بن عتبة بن أخى سعد بن أبى وقاص —

فلما رأى جند المسلمين القعقاع وجيشه استبشروا خيراً ، وطلب القعقاع الفيرزان أحد قواد الفرس للمبارزة ، وما كان إلا قليل حتى قتله القعقاع ، ولما انتصف النهار تزاحف الفريقان واقتتلوا حتى انتصف الليل .

وفى اليوم الثالث وهو يوم عماس ، اشتد القتال ، وقاتل فيه القعقاع وعمرو بن معديكرب وهاشم وقيس بن مكشوح قتالا شديداً .

أما أكبر يوم فى الموقعة فكان ليلة الهرير ، فبعد أن صلى المسلمون العشاء التحموا مع جيوش الفرس حتى أذان ظهر اليوم الثانى ، (أى ما يقرب من ست عشرة ساعة) ترك فى أثنائها المسلمون الكلام ، فما كنت تسمع إلا صليل السيوف . وانتهت المعركة بهزيمة الفرس ، وأخذت رايتهم العظيمة ، وقتل رستم قائدهم ومشاهير قوادهم ، وباد عسكر الفرس قتلا وغرقاً . ولم تغنهم الرجال ولا الفيلة ، وقتل فى واقعة القادسية سبعة آلاف وخمسمائة مقاتل من المسلمين ، فرضى الله عنهم . ثم إن سعداً وجنده فتحوا بعد ذلك البرسى وبابل وكونى وساباط . ثم لما رأت جنود المسلمين إيوان كسرى يلوح أمامهم أبيض ناصعاً ، تذكروا وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى رواه مسلم عن جابر بن سمرة أن رسول الله قال : (عصيبة من المسلمين يفتحون البيت الأبيض بيت كسرى أو آل كسري) . فقويت قلوبهم ونادى ضرار بن الخطاب : الله أكبر . هذا أبيض كسرى ، هذا ماوعد الرحمن وصدق رسوله .

ودخلوا المدائن واستولوا على قصر الأكاسرة ، وهرب يزدجرد إلى حلوان (بفارس) ونزل سعد القصر الأبيض واتخذه مصلى ، وقرأ فى صلاته قول الله تعالى : (كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ، ونعمة كانوا فيها فاكهين ، كذلك وأورثناها قوماً آخرين) وغنم المسلمون فى

القادسية غنائم كثيرة ، وغنموا أكثر منها بإيوان كسرى فى المدائن ، ومنها سيف كسرى ومنطقته وزبرجده ؛ فأرسل سعد البشرى بالفتح إلى أمير المؤمنين عمر ، وأرسل إليه معها خمس الغنائم وفيها سيف كسرى ومنطقته وزبرجده ، فلما رآها عمر قال : « إن قوما أدو هذا لذوو أمانة » ثم فتح سعد تكريت والموصل ، ثم سير جيشاً إلى حلوان بقيادة القعقاع ، فانتصر على الفرس فى واقعة جلولاء الشهيرة ، وفتح حلوان ، ففر منها كسرى . ثم اختط سعد الكوفة وجعلها عاصمة للعراق وفارس ، بعد أن كانت العاصمة هى المدائن ، ثم فتحت تستر ، والسوس ، وتبريز ، وباكو ، بعد واقعة نهاوند الشهيرة الشبيهة بواقعة القادسية تماماً ، وكان المسلمون فيها ثلاثين ألفاً والفرس مائة وخمسين ألفاً ، فغلب المسلمون الفرس بإذن الله . ثم ذهب الأحنف إلى خراسان ، وكان يزدجرد مقيما بمرو ، ففتح الأحنف وجنده كرمان وسجستان ومكران حتى انتهوا إلى دوين النهر (وهو نهر بين فارس والسند) .

أما الشام فقد فتحت مدائنها بعد واقعة اليرموك الشهيرة التى وقعت فى خلافة أبى بكر ، فلما فتحت دمشق ، بعد حصار طويل مدته سبعون يوما ، وكان أمير جند الشام وقتئذ أبا عبيدة عامر بن الجراح ، فتح المسلمون حمص وحماة واللاذقية ، وحلب . وقنسرين ، وبيت المقدس ، وأظهر خالد ابن الوليد فى تلك الوقائع من البسالة ما أدهش الرومان ، وسيأتى ذكرها فى تاريخ خالد بن الوليد .

ثم فتح عمرو بن العاص والزبير بن العوام مصر بين سنتى ١٨ و ٢٠ هـ سنة ٦٣٩ وسنة ٦٤١ م » ، وافتتح عياض بن غانم الجزيرة سنة ١٨ هـ (وهى الأراضى الواقعة بين الفرات والدجلة) حتى فتح تفليس .

وكان أهل الجزيرة من قبائل بكر وربيعة ومضر ، وأشهر بلدانها الرقة والرها (أورفا) ونصيبين وحران وسنجار .

وكانت شدة عمر لحكمة أرادها الله ، وكان أيضاً ذا رحمة وشفقة كما سنبينه .

أما هيبته وشدته فمثالها أن زيد بن أسلم روى عن أبيه أن نفراً من المسلمين كلموا عبد الرحمن بن عوف ، قالوا : كلم عمر بن الخطاب فإنه قد أخشانا حتى والله مانستطيع أن نديم إليه أبصارنا . فذكر ذلك عبد الرحمن ابن عوف لعمر ، فقال : أو قد قالوا ذلك ؟ فو الله لقد لنت لهم حتى تخوفت الله فى ذلك ، ولقد اشتددت عليهم حتى خشيت الله فى ذلك ، وأيم الله لأنا أشد منهم خوفاً منهم منى ، فأين المهرب ؟ وقام يمشى يجر رداءه ! وكلمه عبد الرحمن بن عوف مثل هذا أيضاً ، فقال : ياعبد الرحمن إنى لا أجد لهم إلا ذلك ، والله لو أنهم يعلمون مالهم عندى من الرأفة والرحمة والشفقة ، لأخذوا ثوبى من عاتقى .

قتل الشقى أبو لؤلؤة المجوسى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب غدراً ، وهو قائم يصلى فى يوم الأربعاء ٢٦ من ذى الحجة سنة ٢٣ هـ .

فاستأذن عمر قبيل استشهاده عائشة أم المؤمنين أن يدفن بجانب الرسول وأبى بكر بمنزلها، فأذنت بذلك ، وهو من العشرة المبشرين بالجنة ، فرضى الله عن هذا الفاتح الكبير ، والخليفة العظيم .



عثمان بن عفان

عثمان بن عفان

عثمان بن عفان ، بن أبي العاص ، بن أمية ، بن عبد شمس ، بن عبد مناف أحد أجداد النبي صلى الله عليه وسلم .

وأمه أروى بنت البيضاء ، بنت عبدالمطلب ، ولد فى السنة السادسة من ميلاد النبي (سنة ٥٧٧ م) ، وتولى الخلافة فى أول المحرم (سنة ٢٤ هـ) ، وقتل يوم الجمعة لثمان خلون من ذى الحجة سنة ٣٥ هـ ، وعمره ثمانون سنة ؛ وكان من أجمل الناس ، وكان ربعة لا بالقصير ولا بالطويل ، حسن الوجه ، رقيق البشرة ، كبير اللحية ، أسمر اللون ، وهو رابع من أسلم . وهاجر هجرتين : الأولى إلى الحبشة ، والثانية إلى المدينة ، وشهد المشاهد كلها إلا بدراً ، لمرض زوجته رقية بنت النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم لما ماتت تزوج أم كلثوم بنت رسول الله .

وكان كريماً جواداً ؛ بذل معظم ماله فى رفع شأن الإسلام ، فإنه أمد جيش العسرة (غزوة تبوك) بتسعمائة وخمسين بعيراً ، وخمسين فرساً ، وألف دينار وضعها أمام النبي خاصة للانفاق على هذا الجيش ، واشترى بئر دومة بالمدينة بعشرين ألف درهم ، وجعل ماءها للمسلمين ، ووسع مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ماله .

فتوحاته رضى الله عنه :

أرسل حبيب بن مسلمة الفهرى بثمانية آلاف مقاتل من جند الشام . وسلمان بن ربيعة الباهلى فى ١٢ ألف مقاتل ، فافتتحا رضي الله عنهما البلاد الأرمنيـة التى لم يكن تم فتحها فى زمن الخليفة عمر ، وفتحا بلاد القوقاز من البحر الأسود حتى بحر الخزر . ثم أنشأ معاوية عامل عثمان على الشام ،

وكذلك أنشأ عبد الله بن أبى سرح عامل عثمان على مصر ، أسطولين . فسار الأسطولان بقيادة أمير البحر عبد الله بن قيس الجاسى ففتحا قبرص بعد قتال شديد . وصارت قبرص تدفع الجزية لدولة الإسلام وهى سبعة آلاف دينار كل سنة . كما صارت مستودعا حربياً فى البحر المتوسط تلجأ إليه الأساطيل الإسلامية عند الحاجة . ثم غزت الأساطيل الإسلامية جزر كريت وكوس ورودس سنة ٢٩ ﻫ . ثم إن جرجوار عامل الرومان بالمغرب جهز جيشاً عدده ١٢٠ ألف مقاتل لمحاربة المسلمين ، عند ما علم أن الخليفة عثمان أمر ابن أبى السرح بغزو المغرب . فأرسل عثمان رضى الله عنه جيشاً من المدينة ليخرج مع الجيش الذى جهزه عبد الله بن سعد لفتح المغرب .

وكان فى جيش المدينة جماعة من الصحابة وأبناء الصحابة ، منهم : الحسن والحسين ، وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن عمر بن الخطاب ، وعبد الله ابن الزبير .

وعندما التقى الجيشان انتصر المسلمون، وقتل عبد الله بن الزبير جرجوار القائد الرومانى ، ودان كثير من أقطار المغرب للدولة الإسلامية ، كإقليم نيراسته ، ونوميديا ، وموريتانيا فى الجزائر ، وصالح عبد الله بن أبى سرح عظماء أفريقيا على مليونين وخمسمائة ألف دينار ، فأرسل نصف مليون دينار إلى الخليفة عثمان ؛ وأعطى كل فارس من عنده ثلاثة آلاف دينار ، وكل راجل ألف دينار .

ولما أن جهز قسطنطين بن هرقليوس امبراطور القسطنطينية أسطولا كبيراً مؤلفاً من ٦٠٠ مركب لمحاربة المسلمين ، لاقاه أسطول عبد الله بن أبى سرح (أسطول مصر) وأسطول معاوية بن أبى سفيان (أسطول

سوريا) فاقتتلوا قتالا شديداً انتهى بهزيمة قسطنطين وهروبه جريحاً إلى صقلية بما بقى معه من جنده؛ ويسمى المسلمون هذه الموقعة البحرية بموقعة ذات الصوارى، وقد فتح سعد بن أبى وقاص أمير الكوفة فى خلافة عثمان طبرستان سنة ٣٠هـ.

كان عثمان رضى الله عنه فى أوائل خلافته محبوبا فى قريش، لكنه فى أواخر خلافته آخذه بعض الصحابة على بعض أمور صدرت منه، كرده الحكم ابن العاص (عم عثمان) من منفاه، وقد نفاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وإعطائه هو ومروان بن الحكم بعض المال من فضل بيت المال؛ وكذلك إغداقه المال الكثير من بيت المال على أهله، وتوليته بعض أهله وأبناء عمه الولايات، وعزله سعد بن أبى وقاص عن الكوفة، بتوليته الوليد بن عقبة الأموى إياها. ولكن عثمان رضى الله عنه ما علم بما آخذه القوم به، حتى خرج إلى المسجد، واستغفر الله، وقال: «توبوا أيها الناس إلى الله من كل ذنب. أللهم أنى أول من تاب إليك». ثم قال: «ياأهل المدينة. من كان منكم له ضرع فليلحق بضرعه. ومن كان له زرع فليلحق بزرعه. فإنا والله لانعطى مال الله إلا لمن غزا فى سبيله». فقام رجل قائلا: «فما بال هذا القاعد السكير لاتقيم عليه الحد». (يعنى الوليد بن عقبة) فقال عثمان لعلى «دونك فأقم عليه الحد». فقال على لعبد الله بن جعفر: «قم فاجلده» فجلده أربعين جلدة. ولكن بعض المنافقين كابن سبأ من الذين كانوا يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر، أرادوا إشعال الفتنة بين المسلمين. فخرضوا خمسمائة رجل من مصر، ومثلهم من الكوفة، ومثلهم من البصرة فأتوا المدينة وأشعلوا الفتنة ضد الخليفة عثمان. فأرسل اليهم الخليفة عثمان عبد الله بن عباس بكتاب منه ليقرأه فى يوم التروية. وأكثر من الأذعان إلى مطالبهم؛ ولكنهم لم يثوبوا إلى الحق. واستمروا فى غوايتهم. فأرسل

على بن أبى طالب ولديه الحسن والحسين ليدافعا عن الخليفة . ومعهم سبعمائة من الرجال . فاستأذن الحسن والحسين أمير المؤمنين عثمان أن يدافعا عنه بالسيف اذا اقتضى الأمر . فأبى رضوان الله عليه مخافة أن تسفك قطرة من دماء المسلمين فى سبيله . وقد جرح فعلا الحسن رضى الله عنه وهو يدفع القوم . فتمكن بعض الطغام الظالمين من تسلق دار الخليفة عثمان . فدخلوا عليه حجرته . ولم يراقبوا الله ويعلموا أن كل ما آخذوا به الخليفة عثمان إنما هو بره الكثير بأهله . ولم يعلموا أن الجود كان بعض سجاياه ، رضوان الله عليه من أول نشأته . فإنه بذل أكثر ماله فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نصرة الإسلام . ولم يعلموا أن حسن ظنه بأهله وبنى أعمامه وتوليتهم الولايات كان اعتقادا منه أن يسيروا كسيرته ، وأنه قد عزل الوليد بن عقبة عن الكوفة وحده كما تقدم ، وشرع فى عزل بعض الولاة الناقمين عليهم .

لم ترقب الله هذه الفئة الظالمة ، وقتلوه وهو يتلو كتاب الله . فما أسوأ ما عملوا . ولبئس ما ارتكبوا . رضى الله عن أمير المؤمنين عثمان .



علی بن ابی طالبؑ

على بن أبى طالب

هو على بن أبى طالب، بن عبد المطلب، بن هاشم، بن عبد مناف؛ وأمه فاطمة بنت أسد، بن هاشم، بن عبد مناف؛ وهو ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وزوج ابنته فاطمة الزهراء. ولد بعد ميلاد النبى بثلاثين سنة، أى سنة ٦٠١ ميلادية. وأسلم وعمره عشر سنين، فى اليوم الثانى لبعثة النبى. فهو أول من أسلم بعد خديجة أم المؤمنين. وقد تولى الخلافة فى شهر ذى الحجة سنة ٣٥ هـ. ومكث بها أربع سنين وتسعة أشهر، واستشهد فى ١٩ رمضان سنة ٤٠ هـ.

فضائل على بن أبى طالب :

روى سلمان الفارسى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أولكم وارداً على الحوض، أولكم إسلاماً على بن أبى طالب. وعن ابن عباس. وزيد بن أبى أرقم، أن أول من صلى مع النبى بعد خديجة على بن أبى طالب. وأثبت أبو عبد الله بن حنبل فى المسند أن رسول الله قال لوفد ثقيف: « لتسلمن أو لأبعثن إليكم رجلا منى. فليضربن أعناقكم، وليسبين ذراريكم، وليأخذن أموالكم. فقال عمر بن الخطاب: « فما تمنيت الإمارة إلا يومئذ، وجعلت أنصب له صدرى رجاء أن يقول هو هذا. فالتفت فأخذ بيد على وقال: « هو هذا. مرتين، وأثبت أبو عبد الله أحمد بن حنبل فى المسند هذا الحديث. قال رسول الله: « ياعلى إن الله زينك بزينة لم يزين العباد بزينة أحب إليه منها. هى زينة الأبرار عند الله تعالى: الزهد فى الدنيا. جعلك لاترزأ من الدنيا شيئاً، ولا ترزأ الدنيا منك شيئاً: وهب لك حب المساكين، فجعلك ترضى بهم أتباعا. ويرضون بك إماما. فطوبى لمن أحبك وصدق فيك. وويل لمن أبغضك وكذب فيك.

شهد على بدراً ، وأحداً ، والخندق ، وجميع المشاهد مع رسول الله إلا تبوك . فقد خلفه النبي على أهله . وقال له : « أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هرون من موسى ؟ إلا أنه لانبوة بعدى » وله فى جميـــع الغزوات الأثر الحسن . ولما آخى رسول الله بين المهاجرين والأنصار ، قال لعلى بن أبى طالب : « أنت أخى فى الدنيا والآخرة » .

وعن أم سلمة أم المؤمنين أن النبي صلى الله عليه وسلم جلل علياً ، وفاطمة والحسن والحسين كساء ، ثم قال : « اللهم هؤلاء أهل بيتى وحامتى . اللهم أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً » . قالت أم سلمة : « أنا منهم يارسول الله ؟ » قال : « إنك إلى خير » .

ولما اجتمعت قريش وأرادت قتل رسول الله . أتاه جبريل عليه السلام. وأمره أن لايبيت فى مكانه الذى يبيت فيه . فدعا رسول الله على ابن أبى طالب وأمره أن يبيت على فراشـــه . وقال له . اتشح ببردى الحضرمى الاخضر ، فأنه لايخلص اليك منهم مكروه ان شاء الله تعالى » .

ثم خرج رسول الله مهاجراً بعد أن أوصى علياً أن يلحق به ومعه أهله وأمره أن يؤدى أمانتـه . ووصايا من كان يوصى إليه ؛ فأدى على أمانته . واضطجع على فراش النبي يوم خرج مهاجراً . وكانت قريش تنظر إلى فراش النبي فيرون علياً عليه فيظنونه النبي .

وكان على يسمع محاوراتهم وصوت سيوفهم وخناجرهم بقلب مملوءة الجرأة والايمان . حتى إذا أصبحوا رأوا عليـه علياً . فنزلت هـــذه الآية الكريمة ثناء من الله تعالى على علىّ بن أبى طالب . وهى : (ومن الناس من يشرى نفسه ابتغـاء مرضاة الله) أى ومن الناس من يبيع نفســه ابتغـاء مرضاة الله ؛ ولما قدم على المدينة ورآه النبي فرح به فرحاً كبيراً وعانقه .

تولية على بن أبى طالب الخلافة :

تولى على بن أبى طالب الخلافة فى شهر ذى الحجة سنة ٣٥ هـ : وبعد أن قتل عثمان بن عفان رضى الله عنه ؛ جاء الناس إلى على بن أبى طالب يهرعون ؛ فدخلوا عليه داره ؛ وقالوا امدد يدك نبايعك ؛ فأنت أحق بها ؛ وبعد أن أبى الخلافة لتيقنه بقاء الحقد عليه فى بعض قلوب العرب الذين أطاح سيفه بأعناق آبائهم وزعمائهم من المشركين ؛ وبعد أن رأى الثوار قتلوا عثمان ؛ وأنه لاقبل له بمحاكمتهم إبان هذه الثورة الشعواء ؛ وبعد إبائه الشديد ، قال لمن ألحوا عليه فى قبول الخلافة : « إنما ذاك لأهل بدر ؛ فمن رضى به أهل بدر فهو خليفة » .

فلم يكن أحد إلا أتى علياً وبايعه ؛ حتى طلحة والزبير .

ولاة على بن أبى طالب :

أرسل على بن أبى طالب سنة ٣٦ هـ عثمان بن حنيف والياً على البصرة : وعمار بن شهاب على الكوفة ، وعبيد الله بن عباس على اليمن ، وقيس بن سعد على مصر ، وسهل بن حنيف على الشام ، ولكن لم يصل إليها . وكان من ولاته محمد بن أبى بكر ، بعد قيس على مصر ، وعبد الله بن العباس على البصرة بعد عثمان بن حنيف ، ثم زياد على فارس .

موجز واقعة الجمل وأسبابها :

أولا — كان بعضهم يطلب إقامة الحد على قتلة عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه ، وكان أمير المؤمنين على يرى أنه يجب عليه ذلك بعد إطفاء جذوة هذه الفتنة العمياء ، واستتباب أمر الخلافة .

ثانياً — تحريض الزبير بن العوام، بن سيدتنا صفية عمة رسول الله، وزوج سيدتنا أسماء ذات النطاقين بنت أبي بكر الصديق، وكان يرى أنه أولى بالخلافة، فهو حوارى رسول الله. وكذا تحريض طلحة أحد العشرة المبشرين بالجنة، وكان يرى أيضاً أنه أولى بتولى الخلافة، وعند ماذهب أملهما فى الخلافة بمبايعة علىّ بن أبى طالب بها، طمع الزبير فى ولاية العراق، وطمع طلحة فى ولاية اليمن، فلما عين أمير المؤمنين ولاته، ولم يكونا منهم ثارت ثورتهما عليه، فذهبا إليه طالبين الإذن فى خروجهما إلى مكة لأداء العمرة، ولكن أمير المؤمنين علياً لم يخف عنه أمرهما، فقال لهما. « والله ما العمرة تريدان ». ثم ذهب طلحة والزبير إلى عبد الله بن عمر بن الخطاب قائلين له: « إن أمنا عائشة خفت لهذا الأمر رجاء الإصلاح بين الناس، فاشخص معنا فإن لك بها أسوة، فإن بايعنا الناس فأنت أحق بالخلافة، فقال: « أيها الشيخان أتريدان أن تخرجانى من بيعتى، ثم تلقيانى بين مخالب علىّ بن أبى طالب؟ إنما الناس يخدعون بالدينار والدرهم؛ وإنى قد تركت هذا الأمر عياناً فى عافية أنالها »؛ فتركاه؛ ثم رجعا إليه مرة ثانية طالبين أن يعدل عن رأيه الأول. فقال لطلحة والزبير: « اعلما أن بيت عائشة خير لها من هودجها؛ وأنتما المدينة خير لكما من البصرة؛ والذل خير لكما من السيف؛ ولن يقاتل علياً إلا من كان خيراً منه؛ وأما الشورى فقد والله كانت؛ فقدم وأخرتما ».

ثالثاً — كان بين عائشة أم المؤمنين رضى الله تعالى عنها، وبين أمير المؤمنين علىّ جفاء، ذلك أنه بينما كان رسول الله عائداً من غزوة بنى المصطلق إذ نزل بجنده منزلا قريباً من المدينة؛ بات به بعض الليل: وكانت معه أم المؤمنين عائشة؛ وعندما أمر الرسول بالرحيل كانت أم المؤمنين عائشة تبحث عن عقدها الذى فقدته فى مكان بعيد من القوم؛ وعند عودتها

وجدت الركب تركها معتقداً وجودها بهودجها ؛ وكانت رضى الله عنها نحيفة الجسم فانتظرت أن يعود القوم إليها عندما يفتقدونها ، ولكن مر بها صفوان بن المعطل . فقدم لها جمله ؛ وقاده حتى وصل إلى معسكر المسلمين. وكان صفوان حصوراً لا يأتى النساء ؛ ومات شهيداً فى سبيل نصرة الإسلام. فما كان من عبد الله بن أبى بن سلول شيخ المنافقين ومعه مسطح بن أثاثة وحسان بن ثابت وحمنة ابنة جحش ؛ وهم أهل الإفك ، إلا أن طعنوا فى أم المؤمنين عائشة ؛ فما سمع الرسول قولهم حتى حزن ؛ فقال علىّ بن أبى طالب لرسول الله : لا تحزن ؛ النساء كثير ؛ ثم أنزل الله قرآناً ببراءة عائشة أم المؤمنين ؛ قال الله تعالى : « إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم ، لكل امرىء منهم ما اكتسب من الإثم ، والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم . لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً وقالوا هذا إفك مبين » .

وقد قال ابن هشام إن الذى تولى كبره — أى التهويل فى هذا الافتراء الكاذب — هو عبد الله بن أبى بن سلول شيخ المنافقين .

ولقد كان أبو بكر الصديق ينفق على مسطح بن أثاثة لقرابته منه وفقره، ولكنه آلى أن لا ينفق عليه بعد الذى قاله فى عائشة ، فأنزل الله قوله تعالى: (ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله وليعفوا وليصفحوا . ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم . إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا فى الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم) ففرح المسلمون وفى مقدمتهم أبو بكر الصديق وعلىّ ابن أبى طالب ، وباء أهل الإفك بالخزى ، بل لقد جلد رسول الله ثلاثة منهم ثمانين جلدة .

هذه الكلمة ؛ أى قول على للنبى : « لاتحزن النساء كثير » هى سبب كراهة عائشة أم المؤمنين لعلى بن أبى طالب . وكانت تنعى على الخليفة عثمان ابن عفان ، وتسلط بنى أمية على حكومته؛ وفى مقدمتهم مروان بن الحكم فى أواخر أيامها. وكانت رضى الله تعالى عنها غاية فى العلم والفصاحة ؛ خطيبة من الطراز الأول جهيرة الصوت ؛ وكانت تحرض القوم على الخليفة عثمان؛ وقد كانت عند قتله بمكة ؛ وفى عودتها من مكة وهى فى طريق المدينة قابلها أحد أخوالها عبيد بن أبى سلمى فقال لها : « قتل عثمان ». قالت : « وماذا صنعوا » قال : « ولوا الخلافة على بن أبى طالب . » فقالت : « ليت هذه انطبقت على هذه إذ تم الأمر لصاحبك . ردونى ! ردونى ! ورجعت إلى مكة وهى تقول : « قتل عثمان مظلوماً ، والله لأطلبن بدمه . » فقال لها خالها : « والله إن أول من أمال جرفه لأنت . ولقد كنت تقولين اقتلوا نعثلا فقد كفر » . قالت: « إنهم استتابوه ، ثم قتلوه ، ولقد قلت وقالوا ؛ وقولى الأخير خير من قولى الأول » . فقال لها :

فمنك البداء ومنك الغير ومنك الرياح ومنك المطر
وأنت أمرت بقتل الإمام وقلت لنا إنه قد كفر
فهبنا أطعناك فى قتله وقاتله عندنا من أمر
ولم يسقط السقف من فوقنا ولم تنكسف شمسنا والقمر
وقد بايع الناس ذا قدرة يزيد الشبا ويقيم الصعر
ويلبس للحرب أثوابها وما من وفى مثل من قد غدر

ولما علمت أم المؤمنين أم سلمة ، رضى الله تعالى عنها ، بعزم أم المؤمنين عائشة ، رضى الله تعالى عنها ، على محاربة على بن أبى طالب ، أرسلت إليها كتاباً تقول فيه . « ياعائشة ، إنك سدة بين رسول الله صلى الله عليه وسلم

وبين أمته ، حجابك مضروب على حرمتـــه ، وقد جمع القرآن ذيولك ، فلا تسحبيها ، وسكن خفارتك فلا تبذليها ، الله من وراء هذه الأمة ، لو علم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن النساء يحتملن الجهاد عهد إليك ، جهاد النساء غض الأطراف ، وضم الذيول ، ما كنت قائلة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لو عارضك بأطراف الجبال والفلوات على قعود من الإبل ، تسير بك من منهل إلى منهل ، وغداً تردين على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولو أمرت بدخول الفردوس لاستحييت أن ألقى محمداً صلى الله عليه وسلم ، هاتكة حجاباً جعله الله على ، فاجعليه سترك ، وقاعة البيت حصنك ، حتى تلقيه وهو عنك راض ، والسلام . فلم تقبل نصيحتها .

ثم قابلها الزبير ، وطلحة ، ومروان بن الحكم ، فخرجت معهم حتى إذا وصلت إلى ماء الحوأب ، (وهو ماء فى طريق البصرة) ، نبحتها كلابه ، فقالت لمحمد بن طلحة : « ما اسم هذا الماء ؟ » فقال لها : « اسمه ماء الحوأب » . فقالت : « ما أرانى إلا راجعة ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم سمعته يقول لنسائه : « كأنى بإحداكن قد نبحها كلاب الحوأب ، وإياك أن تكونى أنت ياحميراء » .

فأحضر لها ابن أختها عبد الله بن الزبير بعضاً من الأعراب ، شهدوا زوراً أن ماء الحوأب ليس هذا ، فكانت هذه الشهادة أول شهادة زور وقعت فى عهد الإسلام . ثم استولى جيش أم المؤمنين عائشة على البصرة ، وكانت تكتب لوجوه أهل البصرة ، والكوفة بمناصرتها ، وقد كتبت لزيد ابن صوحان :

« من عائشة أم المؤمنين إلى ابنها الخالص زيد بن صوحان » .

سلام عليك ، أما بعد فإن أباك كان رأساً فى الجاهلية والاسلام وإنك من أبيك بمنزلة المصلى من السابق ، يقال كاد أو لحق ، وقد بلغك

الذى كان فى الإسلام من مصاب عثمان بن عفان ، ونحن قادمون عليك ، والعيان أشفى لك من الخبر ، فإذا أتاك كتابى هذا فثبط الناس عن على ابن أبى طالب ، وكن مكانك حتى يأتيك أمرى والسلام » .

فكتب إليها زيد بن صوحان :

من زيد بن صوحان إلى عائشة أم المؤمنين .

سلام عليك ، أما بعد فإنك أمرت بأمر ، وأُمرنا بغيره ، أمرت أن تقرى فى بيتك ، وأمرنا أن نقاتل الناس حتى لا تكون فتنة ، فتركت ما أمرت به ، وكتبت تنهيننا عما أمرنا به ، والسلام .

فسار على بن أبى طالب بأهل الكوفة ، وحاربهم فى ١٠ جمادى الأولى سنة ٣٦ هـ (٦٥٦ م) ، وكانت أم المؤمنين عائشة على جمل قتل دونه مئات من الناس ، ثم عقر الجمل ، وفى أثناء القتال خرج الزبير على فرس عليه سلاح ، فقيل لعلىّ : « هذا الزبير » فقال : « أما إنه أحرى الرجلين إذا ذكر بالله تعالى أن يذكر » . وخرج طلحة ، فخرج إليهما على قائلا لهما : « قد أعددتما سلاحاً ، وخيلا ورجالا ، إن كنتما أعددتما عند الله عذراً فاتقيا الله ، ولا تكونا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً ، ألم أكن أخاكما فى دينكما تحرمان دمى ، وأحرم دمكما ؟ فهل من حدث أحل لكما دمى ؟. قال طلحة : « ألّبت على عثمان » . قال على : (يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق) يا طلحة ، أجئت بعرس رسول الله تقاتل بها ، وخبأت عرسك فى البيت ؟ أما بايعتنى ؟ » قال : « بايعتك والسيف على عنقى » . فقال على للزبير : « تذكر يوم مررت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بنى غنم فنظر إلى فضحك ، وضحكت ، فقلت له : « لا يدع ابن أبى طالب زهوه » فقال لك رسول الله : « ليس بمزهو ، لتقاتلنه وأنت ظالم له » . فقال : « اللهم نعم ! »

ولو تذكرته ماسرت مسيرى هذا ، والله لاأقاتلك أبداً . وترك جيش أم المؤمنين عائشة ، ولكنه فى أثناء عودته قتله عمرو بن جرموز بوادى السباع غيلة ، رضى الله تعالى عنه .

أما طلحة فتاب وترك جيش أم المؤمنين عائشة أيضاً ، ولكن رماه مروان ابن الحكم بسهم فقتله ، رضى الله تعالى عنه . وقد قتل فى واقعة الجمل هذه عشرة آلاف نفس .

ثم أرسل علىّ أم المؤمنين عائشة مكرمة إلى مكة ، بصحبة أخيها محمد ابن أبى بكر . فقالت رضى الله تعالى عنها : « يابنى لايعتب بعضنا على بعض ، والله ماكان بينى وبين على إلا مايكون بين المرأة وأحمائها ، وإنه على معتبتى لمن الخيار » قال علىّ : « صدقت ، وإنها لزوجة نبيكم فى الدنيا والآخرة » .

موجز واقعة صفين وأسبابها :

حارب أمير المؤمنين علىّ معاوية بن أبى سفيان حرباً ابتدأت فى صفر سنة ٣٧ ﻫ . وانتهت بعد أربعين يوما فى صفين . (وهى موضع بشاطىء الفرات) وكان فى جيش على جميع أنصار رسول الله ، وكبار أصحابه ، وعظماء بنى هاشم وكان معه عمار بن ياسر ، الذى قال له رسول الله : « ستقتلك الفئة الباغية » . فقتل معاوية وجنده عمار بن ياسر . فثبت على معاوية وجنده أنهم الفئة الباغية ، فاهتز جند معاوية هولا من جراء ذلك ، لولا خديعة معاوية لهم بقوله : « إنما قتله من أخرجه » . وفات معاوية أن عماراً ماكان محارباً فقط ، بل كان محرضاً علياً والمسلمين على محاربة معاوية وجنده ، وهذه خطبة من خطب عمار بن ياسر يحض فيها المسلمين على محاربة معاوية بن أبى سفيان ، وقد وردت فى تاريخ ابن كثير : قال ابن كثير : إن عمار بن ياسر قد خطب فى جند على قائلا :

« أيها الناس ، اقصدوا بنا نحو هؤلاء القوم الذين يبتغون دم عثمان . ويزعمون أنه قتل مظلوما ، والله ماقصدهم الأخذ بدمه ، ولا الأخذ بثأره . ولكن القوم ذاقوا الدنيا واستحلوها واستمروا الآخرة فقلوها ، وعلموا أن الحق إذا لزمهم حال بينهم وبين مايتمرغون فيه.من دنياهم وشهواتهم ، ولم يكن للقوم سابقة فى الإسلام يستحقون بها طاعة الناس لهم ، ولا الولاية عليهم ، ولا تمكنت من قلوبهم خشية الله التى تمنع من تمكنت من قلبه عن نيل الشهوات ، وتعقله عن إرادة الدنيا ، وطلب العلو فيها ، وتحمله على اتباع الحق ، والميل إلى أهله ، فخدعوا أتباعهم بقولهم : « إمامنا قتل مظلوما ، ليكونوا جبابرة ملوكا . وتلك مكيدة بلغوا بها ماترون ، ولولا ذلك ماتبعهم من الناس رجلان ، ولكانوا أخس وأذل وأقل ، ولكن قول الباطل له حلاوة فى أسماع الغافلين، فسيروا إلى الله سيراً جميلا، واذكروه ذكراً كثيراً ».

ثم حمل عمار بن ياسر على معاوية وجنده حتى طعنه أبو الغابية ، واحتز رأسه ابن جوى ، وهما من جند معاوية .

وقد روى ابن الأثير فى تاريخه « الكامل » عن قتل عمار بن ياسر ما يأتى : « خرج عمار بن ياسر على الناس فقال : « اللهم إنك تعلم أنى لو أعلم أن رضاك فى أن أقذف فى هذا البحر بنفسى لفعلت ؛ اللهم إنك تعلم أنى لو أعلم أن رضاك فى أن أضع ظبة سيفى فى بطنى ثم أنحنى عليها حتى تخرج من ظهرى لفعلت ؛ وإنى لاأعلم اليوم عملا هو أرضى لك من جهاد الفاسقين ، ولو أعلم عملا هو أرضى لك منه لفعلت : والله لو أنهم ضربونا حتى يبلغوا بنا سعفات هجر لعلمت أنا على الحق ، وأنهم على الباطل ».

ثم قال : « من يبتغى رضوان الله ربه ولا يرجع إلى مال ولا ولد ؟ » فأتته عصابة ، فقال : « اقصدوا بنا هؤلاء القوم الذين يطلبون دم عثمان ، والله ما أرادوا الطلب بدمه ، ولكنهم ذاقوا الدنيا واستحبوها ، وعلموا أن الحق

إذا لزمهم حال بينهم وبين مايتمرغون فيه منها، وليس لهم سابقة يستحقون بها طاعة النـــاس ؛ والولاية عليهم ؛ لخدعوا أتباعهم وقالوا : إمامنا قتل مظلوماً ؛ ليكونوا بذلك جبابرة ملوكا ؛ فبلغوا ماترون ؛ فلولا هـذا ماتبعهم من الناس رجلان ؛ اللهم إن تنصرنا فطالما نصرت ؛ وإن تجعل لهم الأمر فادخر لهم بما أحدثوا فى عبادك العذاب الأليم » .

ثم مضى ومعه تلك العصابة ؛ فكان لايمر بواد من أودية صفين إلا تبعه من كان هناك من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ؛ ثم جاء إلى هاشم بن عتبة ابن أبي وقاص ؛ وكان صاحب راية علي ؛ وكان أعور ؛ فقال ياهاشم: «أعوراً وجبناً ؛ لا خير فى أعور لايغشى البأس ؛ اركب ياهاشم ؛ فركب معـــه وهو يقول :

أعور يبغى أهله محلا قد عالج الحيـاة حتى ملا
لابد أن يفل أو يفلا يتلهم بذى الكعوب تلا

وعمار يقول تقدم ياهاشم ؛ الجنة تحت ظلال السيوف ؛ والموت تحت أطراف الأسل ؛ وقد فتحت أبواب السماء ؛ وتزينت الحور العين ؛ اليـوم ألقى الأحبة ؛ محمداً وحزبه . وتقدم حتى دنا من عمرو بن العاص ؛ فقال له : « ياعمرو ؛ بعت دينك بمصر . تباً لك » . فقـال له : « لا ؛ ولـكن أطلب بدم عثمان » . قال : « أنا أشهد على علمي فيك أنك لاتطلب بشيء من فعلك وجه الله ؛ وأنك إن لم تقتل اليوم تمت غداً ؛ فانظر إذا أعطى النـاس على قدر نياتهم مانيتك » . ثم قاتل عمار فلم يرجع ؛ وقتل ؛ قتـله ابن جوى من جند معاوية .

وقال حبة بن جوين العرنى : « قلت لحذيفة بن اليمان : « حدثنا فإنا نخاف الفتن ؛ فقال : عليكم بالفئة التى فيها ابن سمية ؛ أى عمـار بن ياسر ؛ فقد قال

النبي صلى الله عليه وسلم ؛ ستقتله الفئة الباغية ؛ الناكبة عن الطريق ؛ وإن آخر رزقه ضياح من لبن (وهو اللبن الممزوج بالماء) . قال حبة : رأيت عماراً يوم قتل شرب قدحاً من ضياح لبن ؛ وقد وردت هذه الحادثة فى كثير من كتب التاريخ أيضاً .

وقد رثى الحجاج بن عربة الأنصارى عمار بن ياسر بهذه الأبيات :

قال النبي له تقتلك شرذمة ... سيطت لحومهم بالبغى فجار

فاليوم يعرف أهل الشام أنهم ... أصحاب تلك وفيها العار والنار

وبعد أن أخفق الحكمان أبو موسى الأشعرى وعمرو بن العاص فى الحكم لعلى بالخلافة ، بقيت الخلافة لعلى فى جميع الأقطار الاسلامية ؛ عدا الشام التى استقل بها معاوية ؛ وكذا حارب على الخوارج ؛ وهم الذين خرجوا عليه لقبوله التحكيم بينه وبين معاوية فى أمر الخلافة ؛ مع أنه لم يقبل كرم الله وجهه التحكيم إلا مرغماً ؛ لأنه كان رأى غالبية جنده . ووقائع الجمل وصفين وحرب على للخوارج مفصلة فى أمهات كتب التاريخ ؛ كالطبرى وابن كثير ؛ وشرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد وغيرها تفصيلا وافياً .

رأيى فى عدم سبق على بالخلافة أبا بكر وعمر :

ورأيى فى السبب الذى اقتضى عدم تولية على بن أبى طالب الخلافة قبل أبى بكر وعمر وعثمان ؛ بل وحدوث الفتن إبان خلافته ، أن على ابن أبى طالب كان أكبر بطل فى غزوات رسول الله ؛ فقد قتل فى واقعة بدر الكبرى أربعة وعشرين مشركا ؛ وقتل فى واقعة أحد اثنى عشر مشركا ؛ مع أن قتلى كفار قريش فى هاتين الواقعتين كانوا اثنين وسبعين مشركا ؛ غير

من قتلهم على فى باقى الوقائع والغزوات فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم ؛ كمرحب الذى قتله فى واقعة خيبر ؛ وعمرو بن عبد ود فى واقعة الخندق ؛

كذلك قتل فى واقعة بدر الكبرى من بنى عبد شمس حنظلة بن أبى سفيان أخا معاوية ؛ والوليد بن عقبة خال معاوية ؛ ومن بنى نوفل : الحارث بن نوفل ؛ وقتل من بنى تميم عمير بن عثمان ؛ وقتل من بنى الوليد بن المغيرة أبا قيس بن الوليد أخا خالد بن الوليد ؛ وقتل من بنى أسد بن عبد العزى الحارث بن زمعة ، وعقيل بن الأسود ، ونوفل بن خويلد ، وقتل من بنى عبد الدار النضر بن الحرث ، وقتل من بنى أمية : المغيرة مسعود بن بنى أمية ، ثم قتل من بنى رفاعة : عبد الله بن أبى رفاعة ، وقتل من بنى عمران بن مخزوم : حاجز بن السائب وأوس بن المغيرة . وقتل من بنى سهل : منبه ، ونبيه ابنى الحجاج ، والعاص بن منبه بن الحجاج ، وأبا العاص بن قيس بن عدى . وقتل على بن ابى طالب فى واقعة أحد : طلحة بن ابى طلحة ، من بنى عبد الدار وكان صاحب لواء قريش ، وأرطاة ابن شرحبيل ، وقارظ بن شريح . وقتل من بنى عبد أسد عبد الله بن حميد ؛ وقتل من بنى زهرة : أبا الحكم بن الأخنس . وقتل من بنى مخزوم : أمية ابن أبى حذيفة بن المغيرة . وقتل من بنى عبد مناف ابن كنانة خالداً ، وأبا الشعثاء ، وأبا الحمراء ، وغراب ابناء سفيان بن عويف ، وقتل من بنى عبد شمس : معاوية بن المغيرة بن ابى العاص . وقد ذكر ياقوت فى معجم الأدباء أنه لم يصح من شعر علىّ بن أبى طالب غير هذين البيتين :

تلكم قريش تمنتى لتقتلنى ... ولا وجدّك مابروا وما ظفروا
فإن هلكت فرهن ذمتى لهم ... بذات روقين لا يعفو لها أثر

وقد قال علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه أيضاً : « كل حقد حقدته قريش على رسول الله صلى الله عليه وسلم أظهرته فى ، وستظهره فى ولدى

من بعدى . مالى ولقريش ؟ إنما وترتهم بأمر الله وأمر رسوله ، أفهذا جزاء من أطاع الله ورسوله إن كانوا مسلمين ؟ » فغرس بذلك الأحقاد فى صدور أبناء الذين أطاح سيف على رءوس آبائهم ، مهما بلغوا من شدة الايمان والإسلام ، لذلك كانوا يفضلون غير على بالخلافة، وقد أوصى عمر أن تكون الخلافة فى أحد من الستة الذين ذكرهم وهم : على بن أبى طالب ، وعثمان ابن عفان ، وعبد الرحمن بن عوف ، وطلحة ابن عبيدالله ، والزبير بن العوام وسعد بن أبى وقاص . واتفقوا على أن عبد الرحمن بن عوف يولى الخلافة إما عليا أو عثمان ، فبعد أخذه رأى المسلمين سراً ثلاثة أيام حكم بالخلافة لعثمان بعد أن رأى الأحقاد ما زالت تغلى فى صدور بعض القوم على علىّ ، لقتله آباءهم وزعماءهم ، بل ربما وجد فى بعض فتيان قريش الذين لم يشهدوا فتكات سيف على فى آبائهم من لا يميلون إلى على . فكيف به لو كان أول خليفة ، ولم يزل سيفه يقطر من دماء مشركى قريش ؟ وأذكر ثلاثة أمثلة تؤيد رأيى :

المثل الأول — جاء فى أسد الغابة فى معرفة الصحابة لابن الأثير فى ترجمة عبد الرحمن بن عوف : أنه لما قتل خالد بن الوليد بعض بنى خزيمة بعد فتح مكة ، وودى رسول الله عن القتلى ، وأعطاهم ثمن ما أخذ منهم ، قال عبد الرحمن بن عوف لخالد : « إنما قتلتهم لأنهم قتلوا عمك الفاكه بن المغيرة. فأجابه خالد بقوله : « إنما قتلتهم لأنهم قتلوا أباك عوف بن عوف » .

المثل الثانى — كان عبد الله بن أبى المعروف بابن سلول رأس المنافقين، وكانت الخزرج والأوس قد اتفقوا على أن يتوجوه ملكا عليهم ، فلما ظهر الإسلام أسلمت الأوس والخزرج ، فضاع على ابن سلول ما كان يبغيه من ملك ، فازداد كفراً . أما ابنه عبد الله فكان من فضلاء الصحابة ، شهد بدراً وأحداً والمشاهد كلها مع رسول الله ، وقد قال أبوه يوم غزوة

بنى المصطلق أئن رجعنا إلى المدينـة ليخرجن الأعز منها الأذل ، فقال ابنه عبد الله للنبي: هو والله الذليل وأنت العزيز يارسول الله ، إن أذنت لى فى قتله قتلته ، فوالله لقد علمت الخزرج ما كان بها أحـد أبر بوالده منى ، ولـكنى أخشى أن تأمر به رجلا مسلماً فيقتله ، فلا تدعنى نفسى أنظر إلى قاتل أبى يمشى على الأرض حياً حتى أقتله ، فأقتل مؤمناً بكافر فأدخل النار » .

المثل الثالث — لم يمنع مقام عبيد الله بن عمر بن الخطاب ومركزه الكريم فى العالم الاسلامى من أن يتغلب ثأره لأبيه على إيمانه وإسلامه ، فيستل سيفه ويطيح به رأس الهرمزان (عظيم فارسى أسـلم) ، ورأس ابنته ، ورأس جفينة ، لقول سمعه أنهم كانوا المحرضين على قتل أبيـــه من غير أن يتأكد إن كان ذلك صدقاً أو كذباً . فأشار علىّ بن أبى طالب وبعض الصحابة على عثمان بقتله ، لولا كلمـة صدرت من عمرو بن العاص ، وهى : قتل أبوه عمر أمس ، واليوم تقتلون ابنه ! ففدى الخليفة عثمان عنهم من بيت المـال . وبعـد عشر سنين تولى الخلافة علىّ بن أبى طالب ، وأراد قتل عبيد الله بن عمر ، ففرّ من مكة وانضم إلى جند معاوية بصفين .

وأعتقد أن أبا بكر وعمر لم يتقدما علياً بالخلافة حباً فيها ، ولا اعتقاداً منهما أنهما أعظم من علىّ بن أبى طالب شأناً ومقاما ، بل حباً منهما ، رضوان الله عليهما ، فى جمع كلمة المسلمين . بل كان هـــذا رأى الإمام زيد بن علىّ ابن الحسين بن أمير المؤمنين علىّ (الذى تتبعه طائفة الزيدية ، وهى طـائفة كبيرة باليمن) فقد كان يرى جواز إمامة المفضول مع قيام الأفضل ، ويقرر أن علياً كان أفضـل الصحابة ، إلا أن الإمامة فوضت إلى أبى بكر وعمر لمصلحة رأوها ، وقاعدة دينية راعوها ، من تسكين ثائرة الفتن .

ومـا يؤيد رأيى هـذا ما كان عليه أبو بكر وعمر رضـوان الله عليهما

من الزهد والتضحية فى سبيل الله والإسلام ؛ فقد كان لأبى بكر ثروة عند ظهور الإسلام تقدر بأربعين ألف دينار ، أنفقها كلها فى سبيل نصرة الإسلام . وقد أجبره المسلمون عند توليه الخلافة على ترك تجارته ، وعينوا له راتباً قدره خمسة دنانير فى الشهر ، أى ما يساوى نحو أربعة جنيهات مصرية .

ولما حضرت أبا بكر الوفاة ، لم يكن له من المال غير قطعة أرض أوصى أن تباع ويرد ثمنها إلى بيت مال المسلمين ، عوضاً عن السبعين جنيهاً التى وظفت له مدة خلافته كلها . وكذا توفى عن ثوبين ، أوصى أن يكفن فيهما رضي الله عنه .

أما عمر بن الخطاب فبعد أن اتسعت رقعة الدولة الإسلامية ، بفتح بلاد الفرس ومصر والشام ، زاد فى تنظيم بيت المال ، وفرض مرتبات سنوية للسلمين ، فجعل مرتب العباس بن عبد المطلب اثنى عشر ألف درهم فى السنة ، ومرتب كل من زوجات رسول الله اثنى عشر ألف درهم فى السنة ، أى أربعمائة وثمانين جنيهاً لكل منهن فى السنة ، وجعل مرتب كل من المهاجرين والأنصار الذين شهدوا بدراً ، وكذلك الحسن والحسين ستة آلاف درهم فى السنة ، أى مائتين وأربعين جنيهاً ، وجعل راتبه كأحدهم ، أى مائتين وأربعين جنيهاً فى السنة ، وكان فى آخر حياته مديناً لبيت المال بثمانين ألف درهم ، أى بثلاثة آلاف ومائتى جنيه ؛ فأوصى عند ما طعن أن تدفع لبيت مال المسلمين من مال ابنه عبد الله ، فإن لم يكن فمن أولاده جميعاً ، وإن لم يكن فمن مال آل الخطاب جميعاً رضى الله تعالى عنهم .

وعن الشعبي أن على بن أبى طالب كرم الله وجهه ، سئل عن أبى بكر

وعمر ، فقال : « كانا والله إمامين صالحين مصلحين ، خرجا من الدنيا خميصين » .

بل ربما أراد الله سبحانه وتعالى أن يتقدم أبو بكر وعمر وعثمان علياً بالخلافة ، ليتبين للعالم أن النبوة ليست ملكا ، فيرث الخلافة أهل النبى صلى الله عليه وسلم ، كما ترث الملوك عروش آبائهم ، وقد قال الله تعالى : (إنما المؤمنون إخوة) .

ثم ليتبين للعالم أيضاً أن الحكومة التى لا تحيد عن تعاليم الاسلام كحكومة أبى بكر وعمر يكتب لها الظفر والنجاح ، فقد فتحت حكومتهما مصر وسورية ومملكة فارس جميعها فى مدة لم تتجاوز إثنى عشر عاماً ، وهذا يدفع قول من قال إن الحكومة لو كانت تسير على منهج الدين لا ينتظم لها أمر ، كحكومة على بن أبى طالب ؛ مع أن أسباب الفتن التى ظهرت فى أثناء حكومته لم تكن إلا من عداء المنافقين وبعض بنى أمية لبيت النبى صلى الله عليه وسلم بل وعدائهم لتعاليم الاسلام :

وما أحسن قول المرحوم أحمد بك شوقى فى نهج البردة :

شريعة لك فجرت العقول بها ... عن زاخر بصنوف العلم ملتطم
يلوح حول سنا التوحيد جوهرها ... كالحلى للسيف أو كالوشى للعلم
نور السبيل يساس العالمون بها ... تكفلت بشباب الدهر والهرم
كم شيد المصلحون القائمون بها ... فى الشرق والغرب ملكا باذخ العظم
وعلمت أمة بالقفر نازلة ... رعى القياصر بعد الشاء والنعم

وقوله فى نهج الهمزية :

بك يا (ابن عبد الله) قامت سمحة ... بالحق من ملل الهدى غراء
بنيت على التوحيد وهو حقيقة ... نادى بها سقراط والقدماء

وجد الزعاف من السموم لأجلها | كالشُّهد ثم تتابع الشهداء
ومشى على وجه الزمان بنورها | كهان وادى النيل والعرفاء
إيزيس ذات الملك حين توحدت | أخذت قوام أمورها الأشياء
لما دعوت الناس لبى عاقل | وأصم منك الجاهلين نداء
أبوا الخروج إليك من أوهامهم | والناس فى أوهامهم سجناء
ومن العقول جداول وجلامد | ومن النفوس حرائر وإماء
داء الجماعة من أرسطاليس لم | يوصف له حتى أتيت دواء
فرسمت بعدك للعباد حكومة | لا سوقة فيها ولا أمراء
الله فوق الخلق فيها وحده | والناس تحت لوائها أكفاء
والدين يسر والخلافة بيعة | والأمر شورى والحقوق قضاء
الاشتراكيون أنت إمامهم | لولا دعاوى القوم والغلواء
داويت متئداً وداووا طفرة | وأخف من بعض الدواء الداء
الحرب فى حق لديك شريعة | ومن السموم الناقعات دواء
والبر عندك ذمة وفريضة | لامنة ممنونة وجباء
جاءت فوحدت الزكاة سبيله | حتى التقى الكرماء والبخلاء
أنصفت أهل الفقر من أهل الغنى | فالكل فى حق الحياة سواء
فلو أن انساناً تخير ملة | ما اختار إلا دينك الفقراء

أما حقد معاوية بن أبى سفيان وبنى أمية على علىّ بن أبى طالب فأشهر من أن يذكر، فقد قتل على بن أبى طالب كرم الله وجهه حنظلة بن أبى سفيان أخا معاوية والوليد بن عقبة خال معاوية وشيبة بن ربيعة عم هند أم معاوية، وقتل من بنى عبد شمس معاوية بن المغيرة بن العاص قريب معاوية، وكان عتبة بن ربيعة أبو هند أم معاوية قائد المشركين فى واقعة بدر الكبرى، وأبو سفيان بن حرب أبو معاوية قائد المشركين فى واقعة أحد.

بعض نساء العرب المنتصرات لعلى وخطبهن :

وما أعجب شأن نساء العرب المنتصرات للإمام على والمحرضات لجنده بصفين على محاربة معاوية وجنده : فمهن الزرقاء بنت عدى بن قيس الهمدانية، فقد أستدعاها معاوية وقال لها : إنى سمعتك يازرقاء تحرضين القوم على إذ كنت تقولين : « أيها الناس ، إنكم أصبحتم فى فتنة ، غشتكم بجلابيب الظلم ، وجارت بكم عن قصد المحجة ، فيالها فتنة عمياء صماء بكماء ، لا تسمع لناعقها ، ولا تسلس لقائدها : إن المصباح لا يضيء فى الشمس ، والكواكب لا تنير مع القمر ، ولا يفل الحديد إلا الحديد . ألا من استرشدنا أرشدناه ، ومن سألنا أخبرناه .

أيها الناس : إن الحق كان يطلب ضالته فوجـــدها ، فصبراً يا معاشر المهاجرين والأنصار على الغصص ، فكأن قد اندمل شعب الشتات ،والتأمت كلمة التقوى ، ودمغ الحق باطله ، فلا يجهلن أحد فيقول كيف العدل وأنى، ليقضى الله أمراً كان مفعولا . ألا وإن خضاب النساء الحناء ، وخضاب الرجال الدماء ، ولهذا اليوم ما بعده ، والصبر خير فى عواقب الأمور ، أيها الناس، امضوا إلى الحرب قدُماً غير ناكصين ولا متشاكين.

ثم قال لها : « يازرقاء لقد شاركت على بن أبى طالب فى كل دم سفكه » . قالت : « أحسن الله بشارتك ، وأدام سلامتك ، فمثلك من بشر بخير ، وسر جليسه . » قال : « ويسرك ذلك ؟ » . قالت : « نعم ، سررت بالخبر ، فأنى لى بتصديق الفعل ؟ » . فضحك معاوية ، وقال : « لوفاؤكم له بعد موته أعجب عندى من حبكم له فى حياته . أذكرى حاجتك » قالت : « آليت على نفسى ألا أسأل أميراً أعنت عليه ، ومثلك من أعطى من غير مسألة » . قال : « صدقت » وأمر لها ولمن جاءوا معها بجوائز .

ومنهن عكرشة بنت الأطرش ، يروى أنها دخلت على معاوية متوكئة على عكاز لها ، فسلمت عليه بالخلافة ، ثم جلست ، فقال لها معاوية : «الآن صرت عندك أمير المؤمنين ؟» . قالت : «نعم إذ لا علي حي» : قال : «ألست المتقلدة حمائل السيف بصفين ، وأنت واقفة بين الصفين تقولين : أيها الناس عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم . إن الجنة لا يحزن من قطنها ، ولا يهرم من سكنها ، ولا يموت من دخلها ، فابتاعوها بدار لا يدوم نعيمها ، ولا تنصرم همومها ، وكونوا قوماً مستبصرين فى دينهم . مستظهرين على حقهم . إن معاوية دلف إليكم بعجم العرب ، لا يفقهون الإيمان ، ولا يدرون ما الحكمة ، دعاهم إلى الباطل فأجابوه ، واستدعاهم إلى الدنيا فلبوه ، فالله الله عباد الله فى دين الله ، وإياكم والتواكل ، فإن ذلك يفصم عرى الإســـلام ، ويطفىء نور الحق . هذه بدر الصغرى ، والعقبة الأخرى ، يا معشر المهاجرين والأنصار ، أمضوا على بصيرتكم ، واصبروا على عزيمتكم ، فكأنى بكم غداً وقد لقيتم أهل الشام كالحمر الناهقة تقصع قصع البعير . ثم قال : فكأنى أراك على عصاك هذه قد أنكفأ عليك العسكران ، يقولون هذه عكرشة بنت الأطرش ، فإن كنت لتفلين أهل الشام ، لولا قدر الله ، وكان أمر الله قدراً مقدوراً . فما حملك على ذلك ؟» . قالت : «يقول الله جل ذكره : (يأيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم) قال : «صدقت» .

ومنهم أم سنان بنت جشمية بن خرشة المذحجية ، فقد قابلت معاوية فقال لهـا : «ما أقدمك أرضنـا ، وقد عهدتك تشتمينا ، وتحضين علينا عدونا . قالت : «يامعاوية ، إن لبنى عبد منـاف أخلاقا طاهرة ، وأعلاماً ظاهرة ، لا يجهلون بعد علم ، ولا يسفهون بعد حلم ، ولا يشتمون بعد عفو» . فقال : «صدقت ، فكيف قولك ؟» :

عزبَ الرقاد فمقلتى لا ترقد والليل يصدر بالهموم ويورد
يا آل مذحج لا مُقام فشمروا إن العدو لآل مذحج يقصد
هـــذا علىّ كالهـــلال تحفه وسط السماء من الكواكب أسعد
خير الخلائق وابن عم محمـــد إن يهدكم بالنور منه تهتدوا
مازال مذ شهد الحروب مظفراً والنصر فوق لوائه ما يفقـــد

قالت : « كان ذلك يا أمير المؤمنين » . فقال رجل من جلسائه : « وهى القائلة ترثى الإمام علياً :

إما هلكت أبا الحسين فلم تزل بالحق تعرف هادياً مهـديا
فاذهب عليك صلاة ربك مادعت فوق الغصون حمامة قمريا
قد كنت بعد محمدٍ خلفاً لنا أوصى إليك بنا فكنت وفيا

ومنهن الدرامية ، فقد استدعاها معاوية قائلا لها : « علام أحببت علياً وأبغضتنى ؟ » قالت : « أو تعفينى ؟ » قال : « لا أعفيك » قالت : « أما إذا أبيت ، فإنى أحببت علياً على عدله فى الرعية ، وقسمه بالسوية ، وأبغضتك على قتالك من هو أولى بالأمر منك ، وطلبك ما ليس لك بحق ، وواليت علياً على ما عقد له من الولاية ، وعلى حبه المساكين ، وإعظامه لأهل الدين ؛ وعاديتك على سفكك الدماء ، وجورك فى القضاء ، وحكمك بالهوى » . قال : « ولذلك انتفخ بطنك ، وعظم ثدياك ، وربت عجيزتك » . قالت : « ياهذا بهند كانت تضرب الامثال لابى » . قال : « ياهذه أربعى ، فإنا لم نقل إلا خيراً ، إنه إذا انتفخ بطن المرأة تم خلق ولدها ، وإذا عظم ثدياها تروى رضيعها ، وإذا عظمت عجيزتها رزن مجلسها » . ثم قال لها : « هل رأيت علياً ؟ » قالت : « نعم ، رأيته لم يفتنه الملك الذى فتنك ، ولم تشغله النعمة التى شغلتك » . قال لها : « هل سمعت كلامه ؟ » قالت : نعم ، والله كان يجلو

القلوب من العمى ، كما يجلو الزيت الطست من الصدأ » . قال : « صدقت ، فهل لك من حاجة ؟ » قالت : « تعطيني مائة ناقة حمراء فيها فحلها وراعيها لأغذى بألبانها الصغار ، وأستحي بها الكبار ، وأصلح بها بين العشائر » . فأجاب طلبها قائلا :

إذا لم أعد بالحلم منى إليكم فمنذا الذى بعدى يؤمل للحلم
خذيها هنيئا واذكرى فعل ماجد جزاك على حرب العداوة بالسلم

ثم قال : « أما والله لو كان عليا ما أعطاك منها شيئا » قالت : « والله ولا وبرة واحدة من مال المسلمين » .

ومنهن أم البراء بنت صفوان ، طلبها معاوية قائلا لها : « كيف أنت يا ابنة صفوان ؟ » قالت « بخير يا أمير المؤمنين » . قال : « شتان بينك اليوم وحين تقولين :

يازيد دونك صارماً ذا رونق عضب المهزة ليس بالخوار
أسرج جوادك مسرعاً ومشمراً للحرب غير معود لفرار
أجب الإمام وذب تحت لوائه والق العدو بصارم بتار
ياليتنى أصبحت لست قعيدة فأذب عنه عساكر الفجار

قالت : « مثلك من عفا عما سلف » قال : « والله لو عاد لعدت ؛ ولكنه اخترم منك » قالت : « أجل والله إنى لعلى بينة من ربى ، وهدى من أمرى » قال : « كيف قولك حين قتل ؟ » . فأنشدته رثاءها فى الإمام علىّ وهو :

ياللرجال لعظم هول مصيبة فدحت فليس مصابها بالحابل
الشمس كاسفة لفقد أمامنا خير الخلائق والإمام العادل
حاشا النبي لقد هدت قواءنا فالحق أصبح خاضعا للباطل

فقال معاوية : « قاتلك الله ، فما تركت مقالا لقائل ، اذكرى حاجتك » قالت : « أما الآن فلا » وقامت فعثرت ، فقالت : « تعس شانئه على » قال : « زعمت أن لا » قالت : « هو كما علمت » فلما كان من الغد بعث إليها بجائزة ، وقال : « إذا ضيعت الحلم فمن يحفظه ؟ »

ويحسن بنا فى هذا المقام أن نذكر خطبة أم الخير بنت الحريش البارقية فى صفين ، لأنها توضح الخلاف بين معاوية وبين علىّ أوفى توضيح ، وتصف أسبابه ، قالت رضى الله تعالى عنها :

« يأيها الناس ، اتقوا ربكم ، إن زلزلة الساعة شىء عظيم ، إن الله قد أوضح الحق ، وأبان الدليل ، ونور السبيل ، ورفع العلم ، فلم يدعكم فى عمياء مبهمة ، ولا سوداء مدلهمة ، فإلى أين تريدون رحمكم الله ، أفراراً من أمير المؤمنين ، أم فرارا من الزحف ، أم رغبة عن الإسلام ، أم ارتداداً عن الحق ؟ أما سمعتم الله عزَّ وجلَّ يقول : (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوَ أخباركم) اللهم قد عيل الصبر . وضعف اليقين ، وانتشر الرعب ، وبيدك ياربى أزمّة القلوب ، فاجمع الكلمة على التقوى ، وألف القلوب على الهدى . هلموا رحمكم الله إلى الامام العادل ، والوصى الوفى ، الصديق الأكبر . إنها إِحنٌ بَدريه وأحقاد جاهلية ، وضغائن أحدية ، وثب بها معاوية حين الغفلة ، ليدرك بها ثارات بنى عبد شمس . والله أيها الناس لولا أن تبطل الحقوق ، وتعطل الحدود ، ويظهر الظالمون ، وتقوى كلمة الشيطان ، لما اخترنا ورود المنايا على خفض العيش وطيبه ، فإلى أين تريدون رحمكم الله عن ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وزوج ابنته ، وأبى ابنيه (تعنى الحسن والحسين) خلق من طينته ، وتفرع من نبعته ، وخصه بسره ، وجعله باب مدينته ، وأعلم بحبه المسلمين ، وأبان

ببغضه المنافقين ، فلم يزل كذلك يؤيده الله بمعونته ، ويمضى على حسن استقامته ، لا يعرج لراحة اللذات ، وهو مفلق الهام ، ومكسر الأصنام ، إذ صلى والناس مشركون ، وأطاع والناس مرتابون ، فلم يزل كذلك حتى قتل مبارزى بدر ، وأفنى أهل أحد ، وفرق جمع هوازن ، فيالها وقائع زرعت فى قلوب قوم نفاقاً ، وردة وشقاقاً ، وقد اجتهدت فى القول ، وبالغت فى النصيحة ، وبالله التوفيق ، والسلام عليكم ورحمة الله » .

آراء بعض العرب والفرنجة
فى خلافة معاوية بن أبى سفيان وبنى أمية

لما استتب أمر الخلافة لمعاوية بن أبى سفيان ، دخل عليه سعد بن أبى وقاص قائلا : « السلام عليك أيها الملك » . فضحك معاوية وقال : « ماكان عليك أبا إسحاق لو قلت يا أمير المؤمنين » . فقال سعد : « أتقولها جذلان ضاحكا ؟ والله ما أحب أنى وليتها بما وليتها به » أى بالمكر والخديعة وسفك الدماء . وهذا رأى جميع المفكرين من المسلمين ، بل ورأى كبار مؤرخى الإفرنج ، فقد نقل الدكتور حسن ابراهيم حسن فى كتابه « تاريخ الإسلام السياسى » قول الأستاذ نيكلسن المستشرق الشهير ، وهو أن انتصار معاوية بن أبى سفيان إنما كان انتصاراً للأرستقراطية الوثنية ، التى ناصبت الرسول العداء ، والتى جاهدها رسول الله وصحبه حتى قضوا عليها ، وصبر معه المسلمون على جهادها ومقاومتها حتى نصرهم الله وقضوا عليها ، وأقاموا دعائم دين الإسلام ، ذلك الدين السمح الذى جعل الناس سواسية فى السراء والضراء ، وأزال سياسة رهط كانوا يحتقرون الفقراء ، ويستذلون الضعفاء ، ويبتزون الأموال . كذلك لا ندهش إذا كره المسلمون بنى أمية ، وغطرستهم ، وكبرياءهم ، وإثارتهم للأحقاد القديمة ، ونزوعهم للروح الجاهلية ،

ولا سيما أن جمهور المسلمين كانوا يرون أن من بين الأمويين رجالا كثيرين لم يعتنقوا الإسلام إلا سعياً وراء مصالحهم الشخصية ، وأنهم لاحق لهم فى الخلافة ، ولا غرو فقد كانت سياسة بنى أمية ترمى إلى جعل الخلافة ملكا كسروياً ، وليس أدلّ على ذلك من قول معاوية بن أبى سفيان : « أنا أول الملوك . »

هل كان معاوية كاتب وحى :

جاء فى تاريخ الأدب لحفنى بك ناصف صفحة ٧٨ « أن كتاب النبى صلى الله عليه وسلم كانوا ثلاثة وأربعين أشهرهم أبو بكر ، وعمر ، وعثمان، وعلى، وسعيد بن العاص،وابناه أبان وخالد،وزيد بن ثابت،والزبير بن العوام، وطلحة بن عبيد الله ، وسعد بن أبى وقاص ، وعامر بن أبى فهيرة،وعبد الله بن الأرقم ، وعبد الله بن رواحة ، وعبد الله بن سعد بن أبى سرح ، وأبى بن كعب ، وثابت بن قيس ، وحنظلة بن الربيع ، وشرحبيل بن حسنة ، والعلاء الحضرمى وخالد بن الوليد ، وعمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة ، ومعيقب بن أبى فاطمة الدوسى ، وحذيفة بن اليمان ، وحويطب بن عبد العزى العامرى ، وأبو سفيان وأبناه معاوية ويزيد » وقد جاء فى تاريخ ابن كثير أسماء جميع كتبة الرسول وتاريخ كل منهم . وذكر ابن أبى الحديد فى شرح نهج البلاغة أن ما عليه المحققون أن معاوية بن أبى سفيان لم يكن من كتبة الوحى بل كان هو وربيعة التميمى لا يكتبان للنبى صلى الله عليه وسلم إلا مكاتبات الملوك ورؤساء القبائل . أما كتبة الوحى فكانوا على بن أبى طالب ، وزيد بن ثابت ، وزيد بن أرقم ، رضى الله تعالى عنهم .

شرط الصحابي شرعا :

أما شرط الصحابي ، فهو من صحب النبي صلى الله عليه وسلم وعمل بعمله ، أما من صحب النبي ولم يعمل بعمله ، وكان يظهر الإسلام ، ويبطن الكفر ، فهو منافق ، وقد قال الله سبحانه عز وجل : (إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار) .

وهاك حادثة عن كبيرهم عبد الله بن أبي بن سلول ، فانه لم يكد يشعر بدنو أجله حتى طلب من ابنه عبد الله ، وكان من كبار الصحابة ، أن يلتمس من النبي عليه الصلاة والسلام أن يأذن بأن يكفن فى قميص من أثوابه عليه السلام ، كما يتوسل اليه أن يصلى عليه بعد موته ، فقال عمر بن الخطاب للنبي : « لم تعطى قميصك هذا الرجل الرجس ؟ ! » فقال عليه الصلاة والسلام : « إن قميصي لا يغنى عنه من الله شيئاً ، فلعل الله يدخل به ألفا فى الإسلام . وكان المنافقون لا يفارقون كبيرهم ابن أبي بن سلول فى مرضه فلما رأوه يطلب قميص النبي ، ويتوسل اليه بأن يصلى عليه ، اعتقدوا أن ابن أبي بن سلول هداه الله للإسلام فاعتنقه ، فأسلم منهم ألف ، كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم ، وحسن إسلامهم . ولما أراد النبي الصلاة على ابن أبي بن سلول بعد موته ، حال عمر بينه وبين القبلة ليمنعه من الصلاة عليه فنزل قول الله سبحانه عز وجل : (ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ، ولا تقم على قبره ، إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون) .

وقد ورد فى ترجمة حذيفة بن اليمان رضى الله عنه ، أن النبي ساره بأسماء المنافقين ، فكان إذا طلب من الخليفة عمر أن يصلى على أحد مات منهم ، سأل حذيفة : أ أصلى عليه أم لا ؟ فإذا قال لا ، علم الخليفة عمر أنه كان من المنافقين ، فلم يصل عليه .

بغض قوم معاوية للنبي صلى الله عليه وسلم :

لقد قاطعت بل حاصرت قريش بالشعب بني هاشم ثلاث سنين ، لحبهم للنبي وحمايتهم اياه . وكانوا جميعا يفدونه بأرواحهم ، سواء المسلم منهم وغير المسلم ، وفى مقدمتهم أبو طالب والد على بن أبى طالب ، إلا أبا لهب أحد أعمام النبي ، فكان حربا عليه وعلى المسلمين ، ذلك بتأثير امرأته جميلة بنت أبى سفيان أخت معاوية . ولقد ذكرهما الله فى كتابه العزيز بقوله (تبت يدا أبى لهب وتب ، ما أغنى عنه ماله وما كسب ، سيصلى ناراً ذات لهب ، وامرأته حمالة الحطب ، فى جيدها حبل من مسد) أى حبل من نار . بل يذكر التاريخ فظاعة هند أم معاوية بن أبى سفيان فى واقعة أحد ، إذ مثلت بجثة أسد الله حمزة ، عم النبي صلى الله عليه وسلم ، وأرادت أكل كبده فوقع من فمها ، ولذلك كان يسمى بعضهم معاوية ابن آكلة الأكباد . وقد حزن النبي على عمه حمزة حزناً شديداً ، وعند ما رأى المسلمون حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم على عمه حمزة ، وحزنه على شهداء المسلمين رضوان الله تعالى عليهم ، قال بعضهم والله لئن ظفرنا بهم يوما لنمثلنّ بهم مثلة لم يمثلها أحد من قبل . فنزل قول الله تعالى : (وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ، ولئن صبرتم لهو خير للصابرين ، واصبر وما صبرك إلا بالله، ولا تحزن عليهم ، ولا تك فى ضيق مما يمكرون) فنهى النبي عن المثلة ، وقال : « اصبر واحتسب ، صلى الله عليه وسلم » .

بغض خلفاء بنى أمية لآهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم :

قال المسعودى فى مروج الذهب (ج ٢ ص ٢٠٦) ما يأتى « ولما قتل عامر ابن إسماعيل مروان بن محمد (آخر ملوك بنى أمية ببوصير بمصر) واحتوى

على عسكره دخل الكنيسة التى كان بها مروان فقعد على فرشه وأكل من طعامه؛ فخرجت إليـــه ابنة مروان الكبرى وتعرف بأم مروان فقالت: ياعامر، إن دهراً أنزل مروان عن فرشه حتى أقعدك عليه فأكلت من طعامه واحتويت على أمره وحكمت فى مملكته لقادر أن يغير مابك . ثم وجه عامر بنات مروان وجواريه والأسارى إلى صالح بن على، فلما دخلن عليه تكلمت ابنة مروان الكبرى فقالت ياعم أمـــير المؤمنين حفظ الله لك فى الدنيا والآخرة ؛ نحن بناتك وبنات أخيك فليسعنا من عفوك ما وسعكم من جورنا . قال إذاً لا نستبقى منكم أحداً رجلا ولا امرأة . ألم يقتل أبوك بالأمس ابن أخى إبراهيم بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس الأمام فى محبسه بحرّان ؟ ألم يقتل هشام بن عبد الملك زيد بن على بن الحسين بن على وصلبه فى كناسة الكوفة . وقتل امرأة زيد بالحيرة على يد يوسف بن عمر الثقفى ؟ ألم يقتل الوليد بن يزيد يحيى بن زيد ويصلبه بخراسان ؟ ألم يقتل عبيد الله بن زياد المدّعى مسلمة بن عقيل بن أبى طالب بالكوفة؟ ألم يقتل يزيد بن معاوية الحسين بن على بن بنت رسول الله على يد عمر بن سعد مع من قتل بين يديه من أهل بيته ؟ ألم يخرج بحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم سبايا حتى ورد بهن على يزيد بن معاوية،وقبل مقدمهم بعث إليه برأس الحسين بن على وقد نصب دماغه على رأس رمح يطاف به كُور الشام ومدائنهـا حتى قدموا به على يزيد بدمشق؟ كأنما بعث إليه برأس رجل من أهل الشرك؟ ثم أوقف حرم رسول الله موقف السبى يتصفحهن جنود أهل الشـام الجفاة الطغام ويطلبون منه أن يهب لهم حرم رســـول الله صلى الله عليه وسلم استخفافاً بحقه صلى الله عليه وسلم وجرأةً على الله عزّ وجل وكفراً لأنعمه ؟ فما الذى استبقيتم منـا أهل البيت ؟ قالت ياعم أمير المؤمنين وليسعنا عفوكم إذاً . فقال رضى الله تعالى عنه : أما العفو فنعم قد وسعكم . وإن أحببت

زَوَّجتك من الفضل بن صالح بن علي (إبنه) وزوجت أختك من أخيه عبد الله بن صالح ، فقالت ياعم أمير المؤمنين أى أوان عرس هذا . بل تلحقنا بحرّان . قال إذاً أفعل ذلك بكم إن شاء الله . وألحقهن بحرّان .

* * *

ولما أُتى العباس برأس مروان وَوُضع بين يديه ، سجد فأطال ثم رفع رأسه فقال . الحمد لله الذى لم يبق ثارى قِبلك وقبل رهطك . الحمد لله الذى أظفرنى بك وأظهرنى عليك . ثم قال ما أبالى متى طرقنى الموت فقد قتلت بالحسين وبنى أبيه من بنى أمية مائتين وأحرقت جثة هشام بابن عمى زيد بن على ، وقتلت مروان بأخى إبراهيم ؛ ثم تمثل بقول الشاعر :

لو يشربون دمى لم يرو شاربهم ولا دماؤهم للغيـــظ تروينى

ثم حول وجهه إلى القبلة فأطال السجود ثم جلس وقد أسفر وجهه وتمثل بقول العباس بن عبد المطلب :

أبى قومنا أن ينصفونا فأنصفت قواطع فى أيماننا تقـــطر الدما
توارثن من أشياخ صدق تقربوا بهن إلى يوم الوغى فتقـــدما
إذا خالطت هام الرجال تركنها كبيض نعـام فى الوغى متحطما

* * *

أجمع المؤرخون (أبن الاثير والطبرى وغيرهما) أن بنى أميـة كانوا يلعنون على بن أبى طالب على المنابر حتى تولى الخلافة عمر بن عبد العزيز فترك ذلك وقرأ عوضه « إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى » الآية حتى مدحه المسلمون وقال فيه كثير عزة :

وليت فلم تشتم علياً ولم تخف بريا ولم تتبع مقـــالة مجرم
تكلمت بالحـــق المبين وإنما تبين آيات الهـــدى بالتكلم

وقال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه : « لو كنت من قتلة الحسين ابن على بن أبى طالب وقيل لى ادخل الجنة لخشيت دخولها خوفاً من أن تقع عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم علىّ »

كراهة الكثيرين لمعاوية بن أبى سفيان :

ولا يحسبن أحد أن جميع من كان يلوذ بمعاوية هم من محبيه ، بل إن كتب التاريخ تذكر الأمثال على بغض الكثيرين له ، حتى من صحبه . فهذا عقيل ابن أبى طالب طلب من أخيه على بن أبى طالب بعض المال ، فلم يجبه ، فلاذ بمعاوية بن أبى سفيان فأعطاه مالا كثيراً ، ثم قال له : « أأنا أحب اليك الآن أم أخوك على ؟ » ، قال : « أما أنت فأحب إلى فى دنياى ، وأما أخى على فأحب إلى فى آخرتى . بل لقد روى ابن كثير أن معاوية أتاه يوما نعى بعض أصحابه فقال: « إنا لله وإنا إليه راجعون » فقال له عمرو بن العاص :

يموت الصالحون وأنت حى   تخطاك المنايا لا تموت

فأجابه معاوية :

أترجو أن أموت وأنت حى   فلست بميت حتى تموت

وقال بعضهم :

معاوى إننا بشر فأسجح   فلسنا بالجبال ولا الحديد

حب المسلمين لعلى بن أبى طالب :

أما علىّ بن أبى طالب ، كرّم الله وجهه فعلى الرغم من هؤلاء القوم الذين أطار سيفه رءوس آبائهم وزعمائهم المشركين ، فقد كان حبه متأصلا فى قلوب معظم المهاجرين ، وجميع الأنصار ، وصالحى المسلمين ، ولا أدلّ على ذلك من أن جيش علىّ كان فى واقعة صفين مائة وعشرين ألفا ، بينهم

الكثير من الصحابة ، وجميع الأنصار ، وكبار المهاجرين . وقد قيل لضرّار ابن الأزور بعد قتل عليّ : ماذا بلغ من غمك على عليّ ؟ قال : كغم امرأة ذبح ولدها فى حجرها وهى تنظر إليه . وحب أبى الأسود الدؤلى لعلى يتبين من مراثيه التى كادت تقطر دماً من الحزن عليه . ولقد بلغ حب بعضهم لعليّ درجة أخرجتهم عن الإسلام (والعياذ بالله) .

مثل من شجاعة على بن أبى طالب :

كان عمرو بن عبد ود أشجع بطل عرفته جزيرة العرب . فقد أتت قريش فى واقعة الخندق بجيش حاصر المدينة لمحاربة النبى وجنده . ولكن الخندق كان يحول بينهم وبين جند المسلمين . فتضايق عمرو بن عبد ود . فعبر الخندق من أضيق مكان به واسمه المزار ، ومعه ضرار بن الخطاب الفهرى وعكرمة بن أبى جهل ، وهبيرة بن أبى وهب ، ووهب بن عبد الله بن المغيرة ، المخزوميون بخيولهم ، وصاروا مع المسلمين على أرض واحدة ، فتقدم عمرو ابن عبدود ودعا للقتال مرارا ، فلم يقم إليه أحد ، فلمّا أكثر من النداء قال عليّ بن أبى طالب : « أنا أقاتله يارسول الله . فأمره بالجلوس . فأعاد عمرو النداء والناس كأن على رءوسهم الطير ، فقال عمرو : أيها الناس ، إنكم تزعمون أن قتلاكم فى الجنة وقتلانا فى النار ، أفلا يحب أحدكم أن يقدم على الجنة ، أو يقدم عدواً له إلى النار ، فلم يقم إليه أحد ، فقام علي وقال : أنا له يارسول الله ، فأمره بالجلوس ، فجال عمرو بفرسه مقبلا ومدبراً منشدا :

ولقد بححت من النـــداء بجمعهم هل من مبارز
ووقفت مـــذ جـــبن المشـــيعُ موقف القِرنْ المناجز
إنى كذلك لم أزل متسرعا قِبـــلَ الهزاهز
إن الشـــجاعة فى الفـــتى والجود من خـــير الغرائز

فقام علي بن أبي طالب وقال : « يا رسول الله إئذن لي في مبارزته » . فقال النبي : « أدن مني » فقلده النبي سيفه ، وعممه بعمامته ، وقال : « أمض لشأنك » فلما أنصرف ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : « برز الإيمان كله إلى الشرك كله » . وكان النبي صلى الله عليه وسلم أثناء مبارزة علي لعمرو رافعاً يديه ورأسه نحو السماء ، داعياً ربه قائلا : « أللهم إنك أخذت مني عبيدة يوم بدر ، وحمزة يوم أحد ، فاحفظ لي علياً ، رب لا تذرني فرداً وأنت خير الوارثين » .

خرج علي بن أبي طالب مسرعا نحو عمرو بن عبد ود مجيباً إياه عن شعره:

لا تعجلن فقد أتا ك مجيب صوتك غير عاجز
ذو نية وبصيرة يرجو بذاك نجاة فائز
إني لآمل أن أقيم عليك نائحة الجنائز
من ضربة فوهاء يبقى ذكرها عند الهزاهز

وعندما رأى عمرو علياً قال له : « من أنت ؟ » فأجابه : « أنا علي بن أبي طالب » . فقال عمرو : « أجل ، فقد كنت صديقاً ونديماً لأبيك ، فارجع فإني لا أحب أن أقتلك » . فأجابه علي : « ولكني أحب أن أقتلك » . فقال عمرو : « يا ابن أخي ، إني لأكره ان أقاتل الرجل الكريم مثلك » . فقال علي : إني أدعوك إلى الإسلام » . فقال « دع عنك هذا » . فقال علي : « إني أدعوك أن ترجع بمن تبعك من قريش إلى مكة » . فأجاب : « إذاً تتحدث عني نساء قريش أن غلاماً خدعني » . فأجاب علي : « إني أدعوك إلى القتال » . فأجاب عمرو : « ما كنت أظن أن أحداً يرومها مني » . وتقاتل مع علي ، فثارت لهما غبرة وارتهما عن العيون ، إلى أن سمع الناس التكبير عالياً ، فعلموا أن علياً قتله ؛ وانجلت الغبرة وإذا علي راكب صدر عمرو

يحز رأسه، وألقى على برأس عمرو بين يدى رسول الله ، فقام أبو بكر وعمر فقبلا رأس على ، ووجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يتهلل ، وقال النبي : «ذهبت ريح أعدائنا ، ولا يغزوننا بعد اليوم، ونحن نغزوهم إن شاء الله تعالى»

وقد رثت أخت عمرو بن عبد ود أخاها عمراً ، بهذه الأبيات :

لو كان قاتل عمرو غير قاتله بكيته أبداً ما دمت فى الأبد
لـكن قاتـــله من لا نظير له وكان يدعى أبوه بيضة البـلد

* * *

استشهاد على بن أبى طالب :

ضرب اللعين ابن ملجم غدراً بسيفه أمير المؤمنين على بن أبى طالب ، وهو متأهب للصلاة يوم الجمعة السابع عشر من شهر رمضان سنة ٤٠ هـ ، وتوفى كرم الله وجهه فى ليلة الأحد التالى له وعمره ثلاث وستون سنة ، ولما حضرته الوفاة سئل : « أتسند الخلافة للحسن ابنك ؟» فقال لهم : « لا آمركم ولا أنهاكم ، أنتم أبصر » . مع علمه أن ابنه الحسن قد بلغ من العلم وحسن السيرة المقام الذى لا يبارى ، فضلا عن أنه كان زهرة شجرة النبوة .

أما معاوية بن أبى سفيان فكم ظلم وسفك من دماء ، وبذل من مال فى سبيل تولية ابنه يزيد الخلافة من بعده ، وهو يعلم أن ابنه يزيد كان سكيراً فاسقاً فاجراً ، بل لم يكد يزيد يتولى الخلافة حتى قتل فى واقعة كربـــلاء الحسين بن على بن فاطمة الزهراء ، وأخوته ، وأولاد أعمامه ، وأصحابه الذين استشهدوا معه ، رضوان الله عليهم أجمعين ، بل لقد أرسل مسلم بن عقبة ومعه أكثر من عشرة آلاف جندى ، وأمره أن يستبيح مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام قتلا وتخريباً ، فقتل مسلم بن عقبة فى واقعة الحرة أكثر من عشرة آلاف من أهل المدينة منهم سبعمائة

من وجوه الناس من قريش والمهاجرين والأنصار، (يا حفيظ يا الله !!) ، بل كان من خلفاء معاوية عبد الملك بن مروان الذى هدم الكعبة المشرفة ، وقتل عبد الله بن الزبير ، فكم كان الفارق عظيما بين أخلاق أمير المؤمنين على وبين أخلاق معاوية بن أبى سفيان ! ولقد انحرف عمرو بن العاص على معاوية يوماً فقال قصيدته الشهيرة التى منها :

معـــاوية الفضل لاتنسنى وعن منهج الحق لا تعـــدل
أتنسى مخادعتى ألاشعـــرى وما كان فى دومة الجندل
فألعقته عســـلا بارداً وشعشعت ذلك بالحنظل
وكنت ولم ترهـا فى المنام فزفت إليـــك ولا مهر لى
وألبستها لك لمـا عجـــزت كلبس الخـواتم فى الأنمل
وكم قد سمعنا من المصطفى وصـــايا مخصصة فى على
فأين الثريا وأين الثرى وأين معـــاوية من على

أولاد على بن أبى طالب :

كان لعلى بن أبى طالب من البنين أحدعشر ، وهم الحسن ، والحسين ، (وأمهما سيدتنا فاطمة الزهراء) وعمر ، والعباس ، وعبد الله ؛ وعثمان ، وجعفر ، ومحمد الأصغر ، وعبيد الله ، ويحيى ، ومحمد بن الحنفية . أعقب منهم خمسة : هم الحسن ، والحسين ، ومحمد بن الحنفيـــة ، وعمر ، والعباس وكان له من البنات ست عشرة منهن سيدتنا زينب زوج عبد الله بن جعفر ، وأم كلثوم زوج عمر بن الخطاب ، وأمهما فاطمة الزهراء بنت رسول الله محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، ورضى الله تعالى عن على بن أبى طالب وآهل بيته .

بعض ماقيل من المراثى فى على بن أبى طالب :

قال بكر بن حسان الباهرى :

قل لابن ملجم والأقدار غالبة ... هدمت للدين والإسلام أركانا
قتلت أفضل من يمشى على قدم ... وأعظم الناس إسلاماً وإيماناً
صهر النبي ومولاه وناصره ... أضحت مناقبه نوراً وبرهاناً
وكان منه على رغم الحسود له ... ماكان هارون من موسى بن عمرانا

وقال أبو الأسود الدؤلى :

ألا أبلغ معاوية بن حرب ... فلا قرت عيون الشامتينا
أفى شهر الصيام فجعتمونا ... بخير الناس طراً أجمعينا
قتلتم خير من ركب المطايا ... ورحلها ومن ركب السفينا
إذا استقبلت وجه أبى حسين ... رأيت البدر راع الناظرينا
لقد علمت قريش حيث كانت ... بأنك خيرها حسباً وديناً



سَعدبنُ أبي وقِـاصْ

سعد بن أبي وقاص

سعد بن أبي وقاص، بن وهيب، بن عبد مناف، بن زهرة، بن كلاب، ابن مرة أحد أجداد النبي صلى الله عليه وسلم.

ولد بعد ميلاد النبي بأربع وعشرين سنة (سنة ٥٩٥ م)، ومات رضى الله عنه سنة ٥٥ هـ وعمره ثلاث وثمانون سنة، وكان من أغنياء قريش فى الجاهلية.

أسلم وعمره عشرون سنة، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة، قال سعد بن أبي وقاص: نزلت هذه الآية فىّ (وإن جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا) قال: كنت رجلا برًّا بأمى، فلما أسلمت قالت يا سعد ماهذا الدين الذى أحدثت، لتدعن دينك أو لا آكل ولا أشرب حتى أموت فتعير بى، فقلت لها لا تفعلى يا أماه، فإنى لا أدع دينى. فمكثت يوماً وليلة لا تأكل ولا تشرب، فأصبحت وقد جهدت. فقلت لها: والله لو كان لك ألف نفس فخرجت نفساً نفساً ما تركت دينى هذا لشىء. فلما رأت ذلك أكلت وشربت. فأنزل الله هذه الآية. وشهد سعد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المشاهد كلها، ورمى فى وقعة أحد المشركين بألف سهم، وقاتل فى يوم أحد قتال الأبطال، وكان معه يوم فتح مكة إحدى رايات المهاجرين الثلاث. وعن عائشة رضى الله عنها قالت؛ سهر رسول الله بالمدينة ليلة، ثم قال: ليت رجلا صالحاً من أصحابى يحرسنى الليلة. فبينما نحن كذلك إذ سمعنا خشخشة سلاح فقال: من هذا؟ فقالوا: سعد بن أبي وقاص. فقال له رسول الله: ما جاء بك؟ فقال وقع فى نفسى خوف على رسول الله فجئت أحرسه، فدعا له رسول الله

ثم نام . وقد كان من حب رسول الله لسعد أن دعا له أن يسدد رميته ويجيب دعوته ، حتى لقد كان كبار الصحابة ، كعمر بن الخطاب ، وابن مسعود يتحاشون دعوته . وقد روى المؤرخون كثيراً من الأخبار فيمن أصابته دعوة سعد رضي الله عنه .

حروبه وفتوحه :



قد كان سعد بن أبي وقاص من شجعان قريش وكماتهم . لذلك لما استشار عمر الناس فيمن يوليه حرب الفرس أشاروا عليه بسعد وقالوا عنه إنه الأسد عاديا ، فانتهى عمر إلى رأيهم ، وسلم لهذا البطل الكبير قيادة الجيوش الإسلامية في حرب الفرس .

إن فتح السلطان محمد الفاتح القسطنطينية قد اعتبره المؤرخون الغربيون ابتداء عصر تاريخي ، وذلك راجع إلى مهاجرة بعض أهلها من الروم ، فنشروا علومهم في أوربا الغربية ، فكان لذلك أكبر الأثر في نهضة

الغرب العلمية الحاضرة . وإنى أرى أن ما أحدثته وقائع (اليرموك) و (القادسية) و (جلولاء) و (نهاوند) كان أثره أعظم خطراً من فتح القسطنطينية ؛ لأن تلك الوقائع قد أخضعت مملكة الرومان والفرس لسلطان المسلمين ، وكانت السبب فى استيلاء دولة الإسلام على سورية ومصر ، بل الأناضول والقوقاز وجميع بلاد فارس ؛ وكانت هذه الوقائع سبباً فى نشر راية الإسلام فى مشارق الأرض ومغاربها . وإخراج مئات الملايين من بنى الإنسان من عبادة الأوثان والنيران وبعض من الناس كبوذا وبرهمة وغيرهما ، كما كانت السبب فى هداية مئات الملايين من الناس لعبادة الله الواحد القهار . وقد أتيت على ذكر واقعة اليرموك فى ترجمة خالد بن الوليد ، أما واقعة القادسية وجلولاء فأريد مستعيناً بالله عز وجل أن أصفهما للقارىء بإيجاز ، ووضوح بعد مراجعتى كتب التاريخ المطولة ، كابن الأثير ، والطبرى ، وفتوح البلدان ، والفتوحات الإسلامية ، وابن خلدون ، وغيرها من الكتب المطولة التى وجدت بعضها يذكر تلك الوقائع بتفصيل طويل ينسى آخره أوله ، وبعضها يختصرها اختصاراً لا يشفى غلة طالب المعرفة . لذلك لخصت وصفى لهذه الوقائع من هذه الكتب الموثوق برواياتها ، وقد وضعت هذا الوصف فى أسلوب أرجو أن يكون فيه نفع للقارىء .

وصف جيش سعد :

كان جيش سعد أعظم جيش أخرجته بلاد العرب للفتح ، وكان هذا الجيش عند ماودعه عمر بن الخطاب بالمدينة ، أربعة آلاف مقاتل ، ثم أمده عمر بأربعة آلاف آخرين من أهل اليمن ونجد . وكان جيش بطل الإسلام المثنى بن حارثة — الذى مات من جراحه فى إحدى الوقائع عند وصول

سعد لزرود — ثمانية آلاف ، فانضم إلى جيش سعد ، ثم انضم إليه أيضاً ثلاثة آلاف من بنى أسد ، وكذلك الأشعث بن قيس ومعه ألف وسبعمائة من أهل اليمن ، ثم انضم إليه كثير من مسلمى العراق ، وانضم إليه فى ثانى يوم وثالث يوم من واقعة القادسية الجيش الذى سيره أبو عبيدة مدداً لسعد اتباعاً لأمر أمير المؤمنين عمر ، وكان ذلك بعد فتح دمشق ، وكان أمير هذا الجيش هاشم بن عتبة بن أبى وقاص ، وعلى مقدمته القعقاع بن عمرو التميمى ، فصار جيش سعد ثمانية وثلاثين ألف مقاتل وخمسمائة ، وكان به تسعة وتسعون من الصحابة الذين شهدوا بدراً ، وثلاثمائة ممن شهدوا فتح مكة ، وألف من الصحابة ، وأبناء الصحابة .

وكان بالجيش كثير من ذوى الرأى والخطباء والشعراء ؛ وكان القضاء فيه لعبد الرحمن بن ربيعة الباهلى ، وكان رائد الجيش سلمان الفارسى ، فلما وصل سعد إلى القادسية عبأ جيشه تعبئة عظيمة ، فجعل على كل عشرة رئيساً ، وجعل على مقدمة الجيش زهرة بن عبد الله بن قتادة بن حوية ، وسواد بن مالك التميمى ، وجعل على الميمنة ، عبد الله بن المعتم ، وأمّر على جند الميسرة شرحبيل بن السمط الكندى ، وجعل عاصم بن عمرو التميمى على مؤخرة الجيش ، ثم جعل الرجالة (البيادة) تحت قيادة جمال بن مالك الأسدى ، وجعل على الركبان (الفرسان) عبد الله بن ذى السهمين ، وجعل خليفته على الجيش خالد بن عرفطة .

وكان جيش الفرس بساباط بقيادة رستم ، فسار رستم بجيشه وعدده ١٢٠ ألف مقاتل حتى نزل القادسية ، ثم وقف بجنده مقابل جيش المسلمين ؛ وكانت معدات الفرس الحربية : من سلاح ودروع وخيل ، أعظم جودة من أسلحة العرب ، وكذلك عددهم كان أكثر من جيش العرب ، باثنين وسبعين ألف مقاتل . ولكن جيش الفرس لم يكن يحمل قلوباً كقلوب

جند المسلمين ، وكان فى مقدمة جيش الفرس الجالينوس ، وذو الحاجب ، وكان بجيش رستم ثلاثة وثلاثون فيلا . هذا وصف كل من الجيشين .

وقد أرسل سعد إطاعة لأمر الخليفة بعضاً من المسلمين ليدعوا الفرس للاسلام ، أو لدفع الجزية أو الحرب ، وكان آخر من أرسله إليهم المغيرة ابن شعبة ، وكان عارفا باللغة الفارسية ، فقبل حتى جلس مع رستم على سريره ، فوثب إليه بعض جند الفرس فأنزلوه عن السرير ، فقال المغيرة : « قد كانت تبلغنا عنكم الأحلام ولا أرى قوماً أسفه منكم . إنا معشر العرب لا يستعبد بعضنا بعضاً ، فظننت أنكم تواسون قومكم « أى تساوونهم بأنفسكم » كما نتواسى ، فكان أحسن من الذى صنعتم أن تخبرونى أن بعضكم أرباب بعض ، فإن هذا الأمر لا يستقيم فيكم ، وإنى لم آتكم من نفسى ولكن دعوتمونى ؛ اليوم علمت أنكم مغلوبون ، وأن ملكا لا يقوم على هذه السيرة ولا على هذه العقول » . فانتفض القوم لكلامه ، وقال عامتهم . صدق والله العربى فيما قال : وأما أمراؤهم فبهتوا وقالوا : والله لقد رمى (يعنون المغيرة) بكلام لا تزال عبيدنا ينزعون إليه .

واقعة القادسية :

ابتدأت معركة القادسية فى يوم الاثنين من المحرم سنة ١٤ هـ فدامت أربعة أيام ، أول يوم يسمى أرماث ، والثانى أغواث ، والثالث عماث ، والرابع ليلة الهرير ، وكان سعد قد أصابته دمامل وعرق النَّسا فلا يستطيع الجلوس ، فوضع تحت صدره وسادة ، وأشرف على الجند من مكان مرتفع ، فعابه بعض الشعراء فى أحد أيام المعركة قائلا :

نقاتل حتى أنزل الله نصره ... وسعد بباب القادسية معصم
فأبنا وقد آمت نساء كثيرة ... ونسوة سعد ليس فيهن أيم

فبلغت أبياته سعداً ، فقال : اللهم إن كان هـذا كاذباً ، وقال الذى قاله رياء وسمعة ، فاقطع عنى لسانه ، فما هى إلا لحظة حتى رماه أحـــد جنود الفرس بسهم أصاب لسانه . فما تكلم بكلمة حتى مات ، عفا الله عنـه ، ثم نزل سعد فأظهر للجيش مابه من القروح ، فعذره الناس ، واستخلف سعد خالد بن عرفطة .

يوم أرماث :

حث سعد القوم على الجهاد ، وأرسل المغيرة وحذيفة وعاصما وطليحة وقيساً الأسدى وغالباً وعمرو بن معد يكرب وأمثالهم . ومن الشعراء الشماخ والحطيئـة وأوس بن مغراء وغـــيرهم ، وأمرهم بتحريـض النـاس على القتال ، وأمر سعد الناس بقراءة سورة الجهاد وهى الانفال . فلمـا قرئت هشت قلوب الناس وعيونهم ، وعرفوا السكينة مع قراءتها . ثم قال سعد : الزموا مواقفـكم حتى تصلوا الظهر ، فإذا صليتم فإنى مـكبر تـكبيرة فـكبروا واستعدوا ، فإذا سمعتم الثانية فـكبروا والبسوا عدتكم . ثم إذا كبرت الثالثة فـكبروا ، ولينشط فرسانكم الناس ، فإذا كبرت الرابعة فازحفوا جميعاً حتى تخالطوا عدوكم ، وقولوا « لاحول ولا قوة إلا بالله » فما كبر سعد التكبيرة الرابعة حتى دارت رحى الحرب إلى غروب الشمس ، ولـكن المسلمين قـد جهدوا جهـداً كبيراً فى هذا اليوم ، لأن خيولهم قد فزعت من الفيلة لولا أن عاصم بن عمرو التميمى وغيره من الأبطال قطعوا وضُن الفيلة ففزعت ، وألقت من عليها من الجند وفرت هاربة .

يوم أغواث :

ما أصبـح القوم حتى ظهر القعقاع بن عمرو التميمى ، وكان على مقدمة جيش هـاشم بن عتبة بن أبى وقاص ، وكان قد تعجل بالحضور إلى القادسية

مع ألف من جند هاشم ، وقبل أن يصل إلى جند المسلمين أمر جنده أن يقفوا على مدى البصر ، ويحضروا إلى الجيش عشرة عشرة ، حتى يوهم جيش المسلمين بأن معه جنوداً كثيرة ، وقد حضر هو مع العشرة الأولى، فبشر الجنود وحرضهم على القتال ، ثم إن هذا البطل العظيم القعقاع عند ما رأى جند الفرس ، لم يلبث حتى طلب المبارزة صائحاً : يالثارات أبى عبيدة وسليط وأصحاب الجسر . فخرج إليه ذو الحاجب أحد قواد الفرس ، فما كانت إلا لحظة حتى قتله ، ففرح المسلمون ، ثم بارز الفيرزان وقتله، وقد كان أبو بكر رضى الله عنه يقول لايهزم جيش فيه مثل القعقاع. ثم إن القعقاع نادى يامعشر المسلمين، باشروا الفرس بالسيوف ، فإنما يحصد الناس بها . وبعد هذا تزاحفت الجنود العربية والجنود الفارسية فاقتتلوا حتى المساء، وحمل القعقاع يومئذ ثلاثين حملة على الفرس ، وقتل منهم كثيراً . ولما رأى القعقاع شدة فزع خيل المسلمين من فيلة الفرس، دعا بعض بنى عمه وأركبهم إبلا ألبسها كلباس الفيلة ، وبرقعها ففزعت منها خيل الفرس ، وممن اشتهر بالبسالة فى هذا اليوم أبو محجن ، وكان سعد قد حبسه وقيده فى القصر ، ولكن هذا البطل ضاق صدره لبعده عن الحرب ، فقال لسلمى زوج سعد (وكانت زوج المثنى بن حارثة ، فلما استشهد رضى الله عنه تزوجها سعد): « هل لك أن تخلى عنى وتعيرينى البلقاء (فرس سعد) فلله على إن سلمنى الله أن أرجع إليك حتى أضع رجلى فى قيدى فأبت فقال:

كفى حزناً أن تردى الخيل بالقنا ۝ وأترك مشدوداً على وثاقيا
إذا قمت عنانى الحديد وأغلقت ۝ مصاريع دونى قد تصم المناديا
وقد كنت ذا مال كثير وإخوة ۝ فقد تركونى واحداً لا أخا ليا
ولله عهد لا أخيس بعهده ۝ لئن فرجت أن لاأزور الحوانيا

فأطلقته سلمى وأعطته البلقاء ، فركبها حتى كان بحيال جيش المسلمين ، فكبر وحمل على ميسرة الفرس ، ثم رجع خلف المسلمين ، ثم حمل على ميمنة الفرس ثانية ، وكان يقصف الفرس قصفاً عظيما ، فتعجب الناس منه وهم لا يعرفونه ، فقال بعضهم إنه هو هاشم ، وكان سعد يقول لولا محبس أبي محجن لقلت هذا أبو محجن وهذه البلقاء ، وقال بعض الناس هذا الخضر ، فلما تراجع المسلمون والفرس عن القتال أقبل أبو محجن فدخل القصر وأعاد رجليه فى القيد وقال :

لقد علمت ثقيف غير فخر ... بأنا نحن أكرمهم سيوفا
وأكثرهم دروعا سابغات ... وأصبرهم إذا كرهوا الوقوفا
وأنا رفدهم فى كل يوم ... فإن جحدوا فسل بهم عريفا
وليلة قادس لم يشعروا بى ... ولم أشعر بمخرجى الزحوفا
فإن أحبس فقد عرفوا بلائى ... وإن أطلق أجرعهم حتوفا

فقالت له سلمى : فى أى شيء حبسك ؟ فقال ! والله ماحبسنى بحرام أكلته ، ولا شربته ، ولكننى كنت أشرب الخمر فى الجاهلية ، وأنا امرؤ شاعر يدب الشعر على لسانى فقلت :

إذا مت فادفنى إلى أصل كرمة ... تروى عظامى بعد موتى عروقها
ولا تدفننى بالفلاة فإننى ... أخاف إذا مامت أن لا أذوقها

فلذلك حبسنى .

فلما أصبحت اتت سعداً فصالحته ، وكانت مغاضبته ، وأخبرته بخبر أبى محجن فأطلقه ، مخاطباً له : أذهب ، فما أنا مؤاخذك بشيء تقوله حتى تفعله ، فقال : لا جرم لا أجيب لسانى إلى قبيح .

وانتهى هذا اليوم برجحان كفة المسلمين على الفرس .

يوم عماث :

تقدم أنى ذكرت مافعـــله القعقاع فى يوم أغواث ، من البسالة والحيلة ، فى قدوم جنده إلى القادسية عشرة عشرة ، ليوهم جند المشركين بأن جنده كثير العدد ، وإلباسه الإبل لبـاس الفيلة . وقد فكر اليوم أيضاً فى حيلة يدخل بها الرجاء على قلوب المسلمين ، فسرب أصحابه فى الليل إلى المكان الذى فارقهم فيه أمس ، وقال : إذا طلعت الشمس فأقبلوا مائة مائة ، فإن جاء هاشم فذاك وإلا جددتم للناس رجاء . فما طلعت الشمس حتى أقبل أصحاب القعقاع ، فلمـا رآهم كبر وكبر المسلمون ، وحملوا على العدو والمدد متتابع ، فما جاء آخر أصحاب القعقـاع ، حتى انتهى إليهم هاشم ، فأخبره بعضهم بما صنع القعقاع ، فعبأ أصحـابه سبعين سبعين ، وكان فيهم البطل العظيم قيس بن هبيرة بن عبد يغوث ، المعروف بقيس ابن المكشوح المرادى ، فلما صار بجانب جند المسلمين كبر ، فكبر الناس ، وقال : أول القتال المطاردة ثم المراماة ، ثم حمل على المشركين يقاتلهم ، حتى اخترق صفهم إلى العتيق ، ثم عاد .

وممن اشتهر بالبسالة فى هـذا اليوم عمرو بن معد يكرب ، فإنه قاتل قتالا شديداً ، ثم التفت إلى بعض الجند وقال : « إنى حامل على الفيل ومن حول الفيـل ، فلا تدعونى أكثر من جزر جزور ، فإن تأخرتم عنى فقدتم أبا ثور ، (يعنى نفسه) . وأنى لكم مثل أبى ثور ؟ فحمـل وضرب فيهم حتى ستره الغـــبار ؛ وحمل أصحابه ، فأفرج المشركون عنه بعد ماصرعوه ، وإن سيفه لفى يده . وقد طعن فرسه ، فأخذ برجل فرس أعجمى ، فلم يطق الجرى ، فنزل عنه الأعجمى هارباً فركبه عمرو ، واشتد القتال بين المسلمين والفرس حتى أمسوا .

ليلة الهرير:

اشتهر فى هذه الليلة بالقتال طليحة وعمرو والقعقاع ، فما صلى المسلمون العشاء حتى رأى القعقاع أن جيش الفرس زاحف على المسلمين؛ فزحف بقومه عليهم، من غير إذن سعد ، فقال سعد : «اللهم اغفرها له وانصره ، فقد أذنت له ، وإن لم يستأذنى » . ثم قال سعد : « إذا كبرت التكبيرة الثالثة فخالطوا الفرس وباشروا القتال ، وما كبر التكبيرة الثالثة حتى التحمت الجيوش ، ودامت الحرب من صلاة العشاء إلى ظهر اليوم الثانى . وترك المسلمون النوم والكلام ، فما كان يسمع إلا صليل الحديد ، حتى أتم الله النصر للمسلمين وهزمت جيوش الفرس شر هزيمة . ثم إن هلال بن علقمة قصد قائد الفرس رستم فقتله ، ثم حز رأسه ونادى : قتلت رستم ورب الكعبة. وغنم المسلمون غنائم كثيرة من جيش الفرس المنهزم . وقد استشهد من المسلمين فى ثلاثة الأيام الأولى من المعركة ألفان وخمسمائة شهيد ، واستشهد فى ليلة الهرير ستة آلاف شهيد ، فرضى الله عنهم أجمعين ، وفتح لهم أبواب جنته .

ثم فتح سعد بن أبى وقاص عاصمة الأكاسرة (المدائن) وصلى سعد بإيوان كسرى — بعد أن فتح البرس ، وبابل ، وكونى — صلاة الفتح ثمانى ركعات ثم قرأ (كم تركوا من جنات وعيون . وزروع ومقام كريم. ونعمة كانوا فيها فاكهين . كذلك وأورثناها قوماً آخرين) وجمع سعد من الغنائم مايفوق الحصر ومنها ذخائر كسرى وسلاحه وناهيك بذخائر الأكاسرة ! وقسم الغنائم على الجند فأصاب الفارس اثنى عشر ألف درهم ، وبعث بأخماس الغنائم إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وفيها سيف كسرى ومنطقته وزبرجده ، فلما رآها عمر قال إن قوماً أدوا هذا لذوو أمانة . فقال له علىّ رضى الله عنه : إنك عففت فعفت الرعية .

معركة جلولاء :

اجتمع الفرس ثانية بجيش عرمرم بجلولاء، وكان قواد جيشهم من أكبر أبطالهم كمهران الرازى والفيرزان والزينبي وغيرهم، وأحاط الفرس مواقف جندهم بخندق عظيم، ووضعوا عليه أسلاكا من الحديد، وأقاموا الجسور على الخندق لعبورهم، فأمَّر سعد هاشم بن عتبة (ابن أخيه) على جيش بلغ رجاله اثنى عشر ألفاً، وفى مقدمته القعقاع بن عمرو، فسار هاشم من المدائن حتى بلغ جلولاء، ومكث أمام جيش الفرس ثمانين يوماً، ثم اختلف الفرس فيما بينهم فاقتتلوا، وسقط بعض فرسانهم فى الخندق، فعبر الخندق البطل العظيم القعقاع بن عمرو وتبعه هاشم وجنده، وقاتل المسلمون قتالا شديداً قيل إنه كان أشد من قتال ليلة الهرير، فهلكت خيول الفرس من أسلاكهم وبقيت رجالتهم (البيادة) فحصدتهم سيوف المسلمين حصداً ذريعاً، وقيل إن قتلى الفرس فى هذه المعركة بلغوا مائة ألف رجل، جللت دماؤهم مكان المعركة فسمى جلولاء. ثم سار القعقاع فاستولى على حلوان (بفارس). وهرب منها يزدجرد، ثم استولى القعقاع وجنده أيضاً على خانقين، وقتل الزينبي والفيرزان، فهرب يزدجرد إلى الرى، وبلغت غنائم المسلمين فى جلولاء وحلوان وخانقين ثلاثين مليون درهم، أى ثلاثة ملايين دينار، وبعد أن أرسل هاشم لسعد خمس الغنائم ليبعث بها إلى الخليفة أصاب الفارس منهم تسعة آلاف درهم وتسعا من الدواب، وكان فتح جلولاء فى ذى القعدة سنة ١٦ هـ، ثم اختط سعد الكوفة محرم سنة ١٧ هـ، وأقام والياً عليها ثلاث سنين ونصفاً، وكان حسن الأمارة منصفاً بين المسلمين، غير أن أسامة بن قتادة قد سعى بسعد إلى عمر ابن الخطاب، قائلا إنه لا يقسم بالسوية، ولا يعدل فى القضية، ولا يغزو فى السرية، فقال سعد : اللهم إن كان قالها رياء وكذبا وسمعة فأعم بصره،

وأكثر عياله، وعرضه لمضلات الفتن. فأصابته دعوة سعد. ثم دعا سعد على نفر قالوا إنه لايحسن الصلاة فأصيبوا. وكان ممن عابه الجراح بن سنان، فدعا عليه فقطعته الناس بعدئذ بالسيوف عند ما أراد اغتيال الحسن بن على رضى الله عنه بساباط. وقدم سعد المدينة فقال له عمر: كيف تصلى ياسعد؟ قال: أطيل الأوليين، وأخفف الأخيرتين، فقال هكذا الظن بك ياأبا إسحاق. وأراد عمر أن يرده إلى إمارة الكوفة ثانية فأبى، وقال كيف أؤمَّر على قوم يزعمون أنى لا أحسن الصلاة؟ ولما أراد عمر بن الخطاب أن يشاطر سعداً ماله كما كان يفعل ببعض العمال، نظر إليه سعد مغضباً وقال: لقد هممت. فقال له عمر: بأن تدعو علىَّ؟ قال نعم. قال: إذن لاتجدنى بدعاء ربى شقيا: فسكت سعد عن الدعاء على عمر رأفة منه به.

ولما طعن عمر أوصى الخليفة بعده أن يؤمر سعداً.

ولما قتل عثمان بن عفان قال له ابن أخيه هاشم إن مائة ألف سيف تريدك على الخلافة فأبى وقال: إنى أريد سيفاً إذا ضربت به المؤمن لم يقطع شيئاً، وإذا ضربت به الكافر قطع. ثم أبى المبايعة بالخلافة لأى كان مع حبه لعلى كرم الله وجهه. فأرسل معاوية كتاباً يدعوه فيه إلى مبايعته بالخلافة فأجابه سعد بكتاب قائلا:

معاوى داؤك الداء العياء ... وليس لما تجيء به دواء
أيدعونى أبو حسن على ... فلم أردد عليه مايشاء
وقلت له اعطنى سيفاً بصيراً ... تميز به العداوة والولاء
أتطمع فى الذى أعيا علياً ... على ما قد طمعت به العفاء
ليوم منه خير منك حياً ... وميتاً أنت للمرء الفداء

ولما استتبت الخلافة لمعاوية دخل سعد عليه قائلا: السلام عليك أيها الملك. فضحك معاوية وقال: ماكان عليك يا أبا إسحاق لو قلت يا أمير

المؤمنين . فقال سعد : أتقولها جذلان ضاحكا ، والله ما أحب أنى وليتها بما وليتها به (يريد أنه وليها بالمكر والخديعة وسفك الدماء لهذا لما صارت مغالبة صارت ملكا ، فقال له أيها الملك استخفافا بشأنه)

ومات سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه بالعقيق ، وهى على بضعة عشر ميلا من المدينة ، فحمل على أعناق الرجال حتى دفن بالمدينة . وأوصى وهو يحتضر أن يكفن فى جبة عتيقة من الصوف قائلا : كفنونى بها لأنى لقيت المشركين فيها يوم بدر ؛ هى على اليوم ، وإنما كنت أخبئها لهذا . فرضى الله تعالى عنه .



النعمان بن مقرن

النعمان بن مقرن

النعمان بن مقرن بن عائذ ، وينتهي نسبه إلى عثمان ، عمرو بن أد بن طابخة المزنى ، وولد عثمان هم مزينة نسبة إلى أمهم . قال مصعب : إن النعمان بن مقرن وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه سبعة إخوة له وأربعمائة فارس من مزينة فأسلموا كلهم . وقال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه : إن للإيمان بيوتاً وللنفاق بيوتاً ، وإن من بيوت الإيمان بيت ابن مقرن . وقد سكن النعمان بن مقرن البصرة ، ثم سكن بعدها الكوفة ، وكان النعمان رضى الله عنه من أكبر أبطال المسلمين وكماتهم ، فما كان يهنأ له عيش إلا تحت ظلال السيوف . فإنه لم يكد يفرغ من فتح (جنديسابور) و (السوس) حتى عينه عمر بن الخطاب أميراً (لكسكر) ، فكتب إلى عمر يطلب منه أن يعزله عن إمارة كسكر ويبعثه إلى جيش من المسلمين ، فأمّره عمر على جند المسلمين بنهاوند .

سبب معركة نهاوند :

قد علم القارىء ما كان من انتصار المسلمين العظيم بمعركة القادسية ومعركة جلولاء ، وهروب يزدجرد ملك الفرس إلى الرى فمرو . ومنذ يومئذ لم يطمئن له قلب ولم يهنأ له عيش بعدما فقد أكبر قسم من مملكته ، فاجتهد حتى جمع جيشاً عظيما من الفرس بنهاوند ، وقد بلغ عددهم ١٥٠ ألف مقاتل ، وجعل أمير الجيش الفيرزان (قد ذكر قتل الفيرزان بمعركة القادسية ، وقتل الفيرزان بواقعة جلولاء والآن يرد ذكر الفيرزان فى نهاوند ، فلا بد أن تدل كلمة الفيرزان على وظيفة من وظائف الجيش الفارسى الكبرى ، أو أن

تكون لقب عائلة فارسية اشتهرت فى الحرب وكانت تلقب بالفيرزان) وكان على ميمنة الجيش الفارسى الزردق، وعلى ميسرته بهمن جاذويه. ولما بلغ عمر بن الخطاب اجتماع جيش الفرس بنهاوند فاوض سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه فى هذا الأمر، فقال له سعد: إن أهل الكوفة يستأذنونك فى الانسياح فى بلاد فارس وأن يبدءوا الفرس بالشدة، ليكون ذلك أهيب لهم على عدوهم، فجمع عمر بن الخطاب الناس واستشارهم فى أمر الحرب بنهاوند قائلا لهم: هذا يوم له مابعده، وقد هممت فى أن أسير فيمن قدرت عليه فأنزل منزلا وسطا بين هذين المصرين، ثم أستنفرهم. وأكون لهم ردءا حتى يفتح الله على المسلمين ويقضى ماأحب: فإن فتح الله عليهم صببتهم فى بلدانهم.

كلمة طلحة بن عبيد الله:

فقام طلحة رضى الله عنه وقال: (ياأمير المؤمنين قد أحكمتك الأمور وعجمتك البلابل، واحتنكتك التجارب، وأنت وشأنك. ورأيك لا ينبو فى يديك، ولا يكل عليك. إليك هذا الأمر فمرنا نطع، وادعنا نجب، واحملنا نركب، وقدنا ننقد، فإنك ولى هذا الأمر، وقد بلوت وجربت واحتربت، فلم ينكشف شىء من عواقب قضاء الله لك إلا عن خيار) ثم جلس.

كلمة عثمان بن عفان:

وقام عثمان بن عفان رضى الله عنه وقال: (أرى يا أمير المؤمنين أن تكتب إلى أهل الشام فيسيروا من شامهم، وإلى أهل اليمن فيسيروا من يمنهم، ثم تسير أنت بأهل الحرمين إلى الكوفة والبصرة فتلقى جمع

المشركين بجمع المسلمين ، فانك إذا سرت قل عنـدك ما قد تـكاثر من عدد القوم . وإنك يا أمير المؤمنين لاتستبق بعد نفسك من العرب باقية ، ولا تمتع من الدنيا بعزيز ، ولا تلوذ فيهـا بحريز . إن هذا يوم له ما بعـده من الأيام ، فاشهده برأيك وأعوانك ولا تغب عنه) وجلس .

كلمة على بن أبى طالب :

وقام علىّ بن أبى طالب ، كرم الله وجهه ، فأبدى الرأى الصائب فقال:

(أما بعـد يا أمير المؤمنين : فإنك إن أشخصت أهل الشام من شامهم سارت الروم إلى ذراريهم ، وإن أشخصت أهل اليمن من يمنهم سارت الحبشة إلى ذراريهم ، وإن أشخصت من هذه الأرض انتقضت عليك العرب من أطرافها وأقطارها . حتى يكون ماتدع وراءك أهم إليك مما بين يديك من العورات والعيالات . أقرر هؤلاء فى أمصارهم ، واكتب إلى أهل البصرة فليتفرقوا ثلاث فرق : فرقة فى حرمهم وذراريهم ، وفرقة فى أهل عهدهم حتى لاينتقض ، ولتسر فرقة إلى إخوانهم بالكوفة مدداً لهم . إن الأعاجم إن ينظروا إليك غداً قالوا هذا أمير المؤمنين ، أمير العرب وأصلها فكان ذلك أشد لكلبهم عليك ، وأما ما ذكرت من مسير القوم (الفرس) فإن الله هو أكره لمسيرهم منك ، وهو أقدر على تغيير ما يكره ، وأما عددهم فأنا لم نكن نقاتل فيما مضى بالكثرة ولكن بالنصر) ثم جلس .

فقال عمر : « هذا هو الرأى ، كنت أحب أن أتابع عليه ، فأشيروا على برجل أوليه ، وليكن عراقياً » . فقالوا : أنت أعلم بجندك ، وقد وفدوا عليك ، فقال : والله لأولين أمرهم رجلا يكون أول الأسنة إذا لقيها غداً ، فقيل : من هو ؟ فقال : النعمان بن مقرن المزنى . فقالوا : هو لها . وكان النعمان يومئذ أميراً على كسكر كما تقدم . فكتب إليه عمر يأمره بالمسير إلى ماه ، لتجتمع الجيوش عليه ، فأذا اجتمعوا سار بهم إلى نهاوند .

ثم كتب عمر بن الخطاب إلى المسلمين الذين بالأهواز أن يشغلوا الفرس عن المسلمين ، وكان أمراء جند الأهواز، المقترب ، وحرملة ، وذر ، فأقام جند الأهواز بتخوم إصفهان وفارس ، وكان أهم عمل لهم قطع مدد فارس عن أهل نهاوند .

اجتمع الناس على النعمان ، وفيهم حذيفة بن اليمان ، وعبد الله بن عمر ، وجرير بن عبد الله البجلي ، والمغيرة بن شعبة . ولما بلغ جند النعمان رضى الله عنه ثلاثين ألفاً من المجاهدين أمرهم بالرحيل إلى نهاوند ، ثم عبأ النعمان جند المسلمين تعبئة عظيمة ، فجعل على مقدمة الجيش أخاه نعيم بن مقرن ، وأمير الميمنة حذيفة بن اليمان ، وأمير الميسرة أخاه سويد بن مقرن ، وجعل على المجردة القعقاع بن عمرو ، وعلى الساقة مجاشع بن مسعود .

معركة نهاوند :

كانت معركة نهاوند سنة ٢١ هـ . وكانت أكبر معركة قاوم فيها الفرس مقاومة عظيمة . وتسمى العرب واقعة نهاوند « بفتح الفتوح » إذ لم يقم للفرس بعدها اجتماع ، ودخلت مملكتهم كلها فى ملك المسلمين .

ابتدأ القتال فى نهاوند يوم الأربعاء ويوم الخميس بين العرب والفرس ، فلما رأت الفرس ما أبداه المسلمون من البسالة تحصنوا بخنادقهم مدة طويلة ، وكانت خنادق الفرس محمية بأسلاك من الحديد ؛ فضاق صدر النعمان من نكوص الفرس عن الحرب وهو يريد محاربتهم والانتصار عليهم ؛ فجمع النعمان قواد جيشه وقال لهم : قد ترون الفرس واعتصامهم بخنادقهم ومدنهم وأنهم لا يخرجون إلينا إلا إذا شاءوا ولا يقدر المسلمون على إخراجهم ؛ وقد ترون الذى فيه المسلمون من الضيق ، فما الرأى الذى به نستخرجهم إلى المناجزة وترك التطويل ؟ فتكلم عمرو بن سنى وكان أكبر الناس سناً

وكان العرب يحترمون شيوخهم . فقال : التحصن عليهم أشد من المطاولة علينا ، فدعهم وقاتل من أتاك منهم . فردوا عليه رأيه (أى لم يستصوبوا رأيه)، ثم تكلم عمرو بن معد يكرب فقال : ناهدهم وكابدهم ولا تخفهم . فردوا جميعاً عليه رأيه . وقال : طليحة أرى أن نبعث خيلا لينشبوا القتال فإذا اختلطوا بهم رجعوا إلينا استطراداً فإنا لم نستطرد لهم فى طول ما قاتلناهم : فإذا رأوا ذلك طمعوا وخرجوا فقاتلناهم حتى يقضى الله فيهم وفينا ما أحب . فاستصوب المسلمون هذا الرأى . فلينظر القارىء كيف كان المسلمون يقدسون الشورى ويكرهون الاستبداد بالرأى فكان أمرهم شورى بينهم كما أمرهم الله تعالى . فما أعظم موقف عمر وهو يشاور المسلمين فى حرب نهاوند كما تقدم ! وما أكبر شأن النعمان وهو يستشير قواد جيشه فيما يصنع بالفرس !! فاللهم ارزق المسلمين رجالا من ذوى الرأى والحصافة ، وارزقهم أمراء يجعلون الأمر شورى بينهم فيعيد الله مجد المسلمين لسابق عهده ، كما ندعو الله عز وجل أن يرزقهم رجالا مثل هؤلاء الأبطال الذين لا يهنأ لهم عيش إلا تحت ظلال السيوف حباً فى إعلاء شأن دينهم ودولتهم

تقدم أن الرأى قد استقر على أن تخرج فئة من جند المسلمين فيتظاهروا بالهجوم على جند الفرس ، ثم يخدعوهم ويتقهقروا ، وبتلك الخدعة الحربية يتمكن المسلمون من محاربة عدوهم ، فأمر النعمان رضى الله عنه القعقاع ابن عمرو أن يخرج ببعض الجند ، فخرج وهاجم الفرس ، وتظاهر بالتقهقر هو وجنده ، وكان ذلك فى يوم الجمعة . ثم إن النعمان رضى الله عنه قد ارتدى ثوبا أبيض ، ووضع على رأسه قلنسوة بيضاء ، ثم امتطى جواده واستعرض جيش المسلمين ، ووقف على كل راية يذكرهم ويحرضهم ويمنيهم الظفر ، وقال لهم إنى مكبر ثلاثا فإذا كبرت الثالثة فأنى حامل على الفرس فاحملوا عليهم ، وإن قتلت فالأمير بعدى حذيفة ، فإن قتل ففلان ، حتى عد سبعة آخرهم

المغيرة ، ثم وقف رافعاً رأسه ويديه إلى السماء وقال : اللهم إنى أسألك أن تقر عينى اليوم بفتح يكون فيه عز الإسلام ، واقبضنى شهيداً ، فبكى الناس ، ثم رجع إلى موقفه ، وعندئذ كانت الخدعة الحربية التى باشرها قد أثمرت ، فما رأى جند الفرس القعقاع وجنده يتقهقرون حتى خرجوا من خنادقهم ، وهجموا على جند المسلمين ، وكانوا فى خروجهم كأنهم جبال من حديد ، وقد أمر قائد الفرس بعض جنده أن يرموا أسلاكا خلف جند الفـــرس ليخيفهم من التقهقر .

ولما رأى النعمان هجوم الفرس على جند المسلمين كبر ثلاثا ، والمسلمون سامعون مطيعون مستعدون للقتال ، فحمل النعمان والناس معه على الفرس ، وانقضت راية النعمان انقضاض العقـاب ، فاقتتل المسلمون والفرس قتالا شديداً فلم يسمع السـامعون بواقعة كانت أشد هولا منها . وصبر المسلمون صبراً عظيما . وانهزم الفرس شر هزيمة . وقتل منهم ما غشى أرض المعركة دما يزلق النـاس والدواب . فلما أقر الله عين النعمان بالفتح استجـاب له فقتل شهيداً . زلق به فرسه فصرع . وقيل بل رمى بسهم فى خاصرته فقتله . فسجاه أخوه نعيم بثوب وأخذ الراية وناولها حذيفة . فأخذها وتقدم إلى موضع النعمان . وترك نعيما مكانه وقال لهم المغيرة اكتموا مصاب أميركم حتى ننظر ما يصنع الله فينـا وفى أعدائنا لئلا يهن الناس ، فاقتتلوا فلما أظلم الليل تمت هزيمة الفرس . وتركوا القتال وكان وراء خندقهم نار فهوى بعض الفرس فيها فماتوا حرقاً . وبعضهم قتل بالأسلاك التى وضعوها بينهم وبين خندقهم كما تقدم .

وقيل إن من مات من الفرس فى هذه الموقعة كانوا أكثر من مائة وعشرين ألف مقـاتل . ثم هرب الفيرزان قائدهم مع نفر قليل نحو همذان . فاتبعه نعيم بن مقرن والقعقاع فأدركاه بثنية همذان . وهى إذ ذاك مشحونة بمؤونة

الفرس فقتلاه ، ثم استولوا على بغال وحمير موقرة عسلا . فلما رآها المسلمون قال بعضهم إن لله جنوداً من عسل . ولما تم الظفر للمسلمين جعلوا يسألون عن أميرهم النعمان بن مقرن . فقال لهم أخوه معقل . هذا أميركم قد أقر الله عينيه بالفتح . وختم له بالشهادة . فاتبعوا حذيفة . ودخل المسلمون نهاوند يوم المعركة . وأخذوا ما فيها من الأمتعة وغيرها وما حولها من الأسلاب والأثاث . ثم أمنوا كثيراً من الفرس كخشرشنوم والهربز صاحب بيت النار على أن يخرج لحذيفة ذخائر كسرى التي ادخرها عنده لنوائب الزمان . فأمنه حذيفة على ذلك وأخذ منه ذخائر كسرى . وأرسل خمسها مع خمس جميع ما استولى عليه المسلمون في هذه المعركة إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب .

فتح الفتوح :

أما أمير المؤمنين عمر فكان قد أرسل السائب الثقفي ، وكان كاتباً حاسباً، إلى جيش نهاوند ، وقال له : إن فتح الله عليك فقسم على المسلمين فيئهم ، وخذ الخمس منه لبيت المال ، وإن هلك هذا الجيش فاذهب فبطن الأرض خير من ظهرها . فلما فتح الله على المسلمين أخذ السائب خمس الغنائم لبيت المال ، وفرق أربعة أخماس الغنائم على المجاهدين في معركة نهاوند، فخص الفارس من المسلمين ستة آلاف درهم والراجل منهم ألفا درهم .

تقدم أن النعمان بن مقرن كان له سبعة إخوة ، وفد بهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد رأينا أن النعمان كان أميراً على الجيش وأن أخاه نعيم بن مقرن كان قائداً لمقدمة الجيش ، وكان أخوه سويد بن مقرن قائد ميسرة الجيش ، وأن أخاه معقل بن مقرن هو الذي أعلن الجيش بوفاة أخيه النعمان ، فيتبين من هذا حسن فراسة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، إذ

قال إن للإيمان بيوتا وللنفاق بيوتا ، وإن من بيوت الإيمان بيت بن مقرن .

فمن لنا برجل يعلم خفايا القلوب ، فيخبرنا بما كان يدور فى خلد هذا البطل العظيم النعمان بن مقرن وهو خارج إلى ساحة القتال ، وقلبه مملوء بأمرين عظيمين: يقينه بنصر المسلمين فى هذه المعركة العظيمة ، واعتقاده بأنه سيكون شهيدا بعد تمام النصر. ولم كان يتمنى نيله الشهادة فى هذه الساعة التاريخية التى فيها يفاخر المرء بنفسه ، والتى لايجوز فى غيرها الخيلاء ، إذ صح أن النبى صلى الله عليه وسلم رأى فى إحدى المعارك أحد أبطال المسلمين بعد أن قتل من المشركين كثيراً يمشى مشية الخيلاء ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « هذه مشية لايغفرها الله لصاحبها إلا فى هذا الموقف » من لى برجل ماهر يأخذ على لوحة الصور المتحركة (السينما) صورة هذا البطل العظيم ، وهو مرتد رداءه الأبيض ، وقلنسوته البيضاء ، معتل صهوة جواده ، متقلداً سيفه بيمينه ، حاملا الراية بيساره ، يتفقد فرق الجيش فرقة فرقة ، ولواء لواء ثم وقوفه فى وسط الجيش وهو رافع يديه إلى السماء عند دعائه هذا (اللهم إنى أسألك أن تقر عينى اليوم بفتح يكون فيه عز الإسلام واقبضنى شهيداً) ، بمثل هذا البطل العظيم ، ومثل رجال جنده الظافرين تشاد الممالك ، ويرتفع مجد الأمم .

بمثل هذا البطل العظيم تنتصر عقيدة التوحيد بالله عزّ وجلّ — عقيدة الإسلام التى يدين بها الآن أربعمائة وخمسون مليوناً من الناس . أما حبه لنيل الشهادة فى ساعة النصر فربما كان ذلك منه حباً فى التخلص مما سيلقاه من التعظيم والتكريم من الناس ، فإن ما أتاه فى سبيل نصرة الإسلام والمسلمين ما كان إلا حباً فى الله ، لاحباً فى العظمة والفخر ، بل كان يريد لقاء ربه فى هذه الساعة فيظله الملك العلام من سماء عليائه بظلال رحمته ، وتقدم له الملائكة فى جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين أكاليل النصر

وتنثر الحور العين بين يديه الزهور والرياحين فهنيئاً له .

ولنا فى هـــذا المقام أن ندعـــو الله القادر على كل شىء ؛ أن يهب للشرق والإسلام أبطالا مثل هذا البطل الكبير فيعيدوا للإسلام مجده .

ثم رجع السائب إلى المدينـة فقابل أمير المؤمنين عمر ، فقال له عمر ما وراءك ؟ فقال خير ياأمير المؤمنين فتح الله عليك أعظم الفتح ؛ واستشهد النعمان بن مقرن ؛ فقال عمر إنا لله وإنا إليه راجعون ؛ ثم بكى بكاء شديداً ؛ وصعد إلى المنبر وأخبر الناس بفتح نهاوند وانتصار المسلمين . ثم نعى النعمان ابن مقرن ووضع يده على رأسه وبكى ؛ فرضى الله عنهم أجمعين .



عبد الله بن عامر

عبد الله بن عامر

عبد الله بن عامر، بن كريز، بن ربيعة، بن حبيب، بن عبدشمس، بن عبد مناف، أحد أجداد النبي صلى الله عليه وسلم، وأم أبيه عامر، هي أم حكيم البيضاء، بنت عبد المطلب عمة النبي (صلى الله عليه وسلم). وهو ابن خال عثمان بن عفان. ولد فى مكة بعد الهجرة بأربع سنين « ٦٢٦ م » . وتوفى سنة ٥٧ هـ « ٦٧٨ م » وعمره أربع وخمسون سنة .

ولما فتح الرسول (صلى الله عليه وسلم) مكة جيء له بعبد الله بن عامر وهو طفل . فقيل: هذا ابن السلمية . قال: نعم هذا ابننا . وهو أشبهكم بنا ، وهو مسق . فكان عبد الله لا يمر فى أرض ليس فيها ماء، إلا ويأمر بعض جنوده أن يحفر فيها فيجد عيناً من الماء الغزير . وكان شريفاً سخياً كريماً كثير المال والولد .

كانت مملكة فارس عند فتح المسلمين مملكة كبيرة متسعة الأرجاء . وكان من بلدانها الشرقية الأفغانستان وعاصمته كابل . وبلوخستان (أى السند التابعة للهند الآن) .

ومن بلدانها الغربية العراق العجمي ، وخوزستان . ومن أشهر مدنه: المدائن . والنهروان على نهر دجلة . ونهاوند والسوس وجند نيسابور . وكان من قسم فارس الشمالى أزربيجان ، ومن أشهر مدنه تبريز . وقسمها الجنوبى كان يعرف بفارس . وكرمان ومن أشهر مدنه أصطخر . وقد فتحت أكثر هذه البلدان فى عهد الخليفة عمر بن الخطاب بعد واقعة القادسية وواقعتى جلولاء ونهاوند . وبقى قسم كبير من فارس لم يفتح بعد . وكانت بتلك البلدان التى فتحت أو التى لم تفتح بعد، بعض من القوى الفارسية الكامنة

الساخطة من تقويض ملك فارس ؛ فلما توفى الخليفة عمر ثارت على المسلمين أكثر البلدان الفارسية التى فتحت . وكان الوالى على البصرة أبو موسى الأشعرى . والوالى على عمان والبحرين وفارس عثمان بن أبى العاص الثقفى فعزلهما عثمان بن عفان . وولى على البصرة وفارس عبد الله بن عامر سنة ٢٨ ﻫ وعمره أربع وعشرون سنة . فقال أبو موسى لأهل البصرة . يقدم عليكم غلام كريم الجدات والعمات يجمع له الجندان . فما تولى عبد الله ابن عامر هاتين الولايتين حتى أطفأ الثورة التى قامت بالبلاد الفارسية بحسن إدارته وحزمه فى قيادة الجيوش . ثم فتح أفغانستان وخراسان وسجستان وكرمان . ومازال يطارد كسرى يزدجرد حتى قتل . وانقرضت بموته الدولة الساسانية ، وصار للمسلمين ملك الأكاسرة تخفق أعلامهم على أقاصى بلاد فارس الشرقية ، كما بسط المسلمون جناح سلطانهم على فارس الغربية الجنوبية قبل ذلك .

ألا يندهش الإنسان عند ما يعلم كيف استطاع المسلمون فى ذاك الوقت وهم بعيدون عن عاصمة ملكهم (المدينة المنورة) أن يقطعوا هذه المسافات الشاسعة، ويرتقوا هذه الجبال الوعرة، ويمروا من المضايق المنيعة، يستولون على سورية ومصر والأناضول وجباله والقوقاز وبلاد فارس وبلاد الأفغان، مع أن بعض جبال الأفغان كجبال هند وكوش وقوهى بابا تبلغ من الارتفاع أكثر من أربعة آلاف متر ، ولا تقل بعض جبال الأناضول والقوقاز عن هذا الارتفاع الشاهق . وما كانت أسلحتهم تمتاز عن أسلحة أعدائهم ، بل كانت أسلحة الرومان والفرس أجود بكثير من أسلحة العرب . وإن بطلا مثل عبد الله بن عامر فاتح خراسان وأفغانستان وغيرها من البلدان ، أو أمثاله من أبطال المسلمين كسعد بن أبى وقاص ، والقعقاع بن عمرو ، والنعمان بن مقرن الذين أحرزوا النصر فى وقائع القادسية وجلولاء ونهاوند ،

وخالد بن الوليد الذى هزم الرومان شر هزيمة فى واقعة اليرموك يكاد لا يلم بتاريخهم كثير من أفراد الأمة ، مع أن اللورد كتشنر أوف خرطوم يرن ذكره فى جميع أنحاء بلاده ، مع أنه لم يحارب إلا بجنود مصرية ، وبأسلحة من أجود طراز من مدافع رشاشة ، (متراليوز) ، ومدافع كبيرة ، ولم يكن أمامه إلا رجال من إخواننا السودانيين يكادون يكونون عزلا من السلاح إلا بعض بنادق مهشمة لا قيمة لها .

فهل ترضى هذه المقارنة أحداً من المنصفين ؟ .

لما قدم عبد الله بن عامر البصرة ، وفقه الله إلى انتقاء قواده من أعظم القواد .

فعين عبيد الله بن معمر على فارس ، بعد أن كان والياً على خراسان، ففتحت جنوده بلاداً كثيرة ، حتى بلغت النهر . وعين عمير بن عثمان بن سعد، على خراسان ، ففتحت جنوده بلداناً كثيرة حتى بلغت فرغانة . ثم ولى عبد الله بن عمير الليثى على سجستان ، ففتحت جنوده كابل عاصمة الأفغان . وأرسل مجاشع بن مسعود السلمى لفتح كرمان ، ففتحها وفتح بلداناً غيرها . كذلك أرسل الربيع بن زياد الحارسى ففتح بلاداً كثيرة «ككرويه» و«رشت» . ثم أرسل عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب بن عبد شمس والياً على سجستان ، ففتح (زرنج) و (الكش) بناحية الهند و (زابلستان) .

هذا ما كان من أعمال قواده الستة الذين ذكرنا فتوحاتهم، أما هو فلم يكد يبلغه عصيان أهل فارس وثورتهم على عبيد الله بن معمر، وحربه إياهم، واستشهاده رضى الله عنه ، حتى سار بجيش كبير من البصرة ، وكان على مقدمة جيشه عثمان بن أبى العاص ، وعلى ميمنته أبو برزة الأسلمى ، وعلى ميسرته

معقل بن يسار ، وعلى الفرسان عمران بن حصين ، فلقيه الثائرون بأصطخر ، فقتل منهم مقتلة عظيمة ، وفتح أصطخر .

وما كاد يفتح بعدها (دار أبجرد) و (مدينة جور) حتى شبت الثورة مرة أخرى بأصطخر ، فحاصرها طويلا ، ثم فتحها عنوة ، ففنى فيها أكثر البيوتات الفارسية ، لأنهم كانوا لجأوا إليها . ولما عاد عبدالله بن عامر إلى البصرة ثارت أهالى خراسان ، فأتاه الأحنف بن قيس وقال له : « أيها الأمير إن عدوك منك هارب ، ولك هائب ، والبلاد واسعة ، فسر فإن الله ناصرك ومعز دينه . فسار بجنده إلى (نيسابور) ، وعلى مقدمة جيشه الأحنف بن قيس ، ففتح (الطسين) ، وهما قلعتان تحميان خراسان ، وفتح (نيسابور) بعد أن حاصرها أشهراً . وأرسل ابن عامر جنده يضربون فى أقاصى البلاد ، وسار هو بجيش ففتح (طوس) و (هراة) ، ثم فتح الأحنف بن قيس (مرو) وكثيراً من بلدان التركستان الشرقى . ثم فتح (بلخ) وصالحت كثير من هذه البلدان عبد الله بن عامر على بعض المال بعد خضوعها له . فقد أخذ من (نيسابور) مليون درهم ، ومن (أبيور) أربعمائة ألف درهم ، ومن (طوس) ثلاثمائة ألف درهم ، ومن (زرنج) مليونى درهم ، وأخذ من (قهستان) ستمائة ألف درهم .

ولما تم لابن عامر هذا الفتح العظيم ، قيل له : « ما فتح الله لأحد مثل مافتح عليك » . فقال : « لأجعلن شكرى لله علىَّ أن أخرج مُحْرِماً من موقفى هذا » ، فأحْرَمَ من نيسابور ، وأدى فريضة الحج ، ثم زار الخليفة عثمان بالمدينة ، وأنفق كثيراً من المال على أهلها . ولما قتل أمير المؤمنين عثمان ، كان عبد الله بن عامر مقاتلا فى واقعة الجمل لعلى بن أبى طالب كرم الله وجهه ،

لما استتب أمر الخلافة لمعاوية عين عبد الله بن عامر سنة ٤١ هـ والياً على البصرة وخراسان وسجستان ، فولى عبد الله على خراسان قيس بن الهيثم السلمى ، وقد قامت بها ثورة فأطفأها وعادت إلى الطاعة ، ثم ولى عبد الرحمن ابن سمرة على سجستان ، وكانت بها ثورة ، فقمعها وأرجع إلى الطاعة (غزنة) و (كابل) .

وكان عبد الله بن عامر عالى الهمة ، جليل المآثر ، محباً للعمران ، حتى أنه عزم على أن يصل بين العراق والحجاز بالقرى العامرة والمياه ، لتذهب وحشة البادية من النفوس ، ويتمهد طريق القوافل ، فاحتفر ثلاثة أنهر : نهر البصرة الذى يخترقها ، والنهر المعروف إلى ذلك العهد بنهر أم عبد الله (وهى أمه) ، ونهر الأبله . ثم غرس بقرب (البناج) كثيراً من الحدائق . وأنبط عيوناً كثيرة على طريق المدينة ، وبنى قصراً بقرب (قباء) ، ثم بنى حياضاً بعرفة وأجرى إليها الماء ، فازداد لذلك حب الأمة له ، حتى أن معاوية لما سأل قبيصة بن جابر : من ترى للخلافه بعدى ؟ ، قال له قبيصة : وأما فتاها حياءاً وحلماً وسخاء فابن عامر . فخشى منه معاوية ، ثم استدعاه إليـــه وأكرمه إكراما عظيما ، وبعد أيام قال له معاوية : ياعبد الله بن عامر ، إنى أسألك ثلاثاً ، فقال : هى لك ، وأنا ابن أم حكيم (يعنى جدته أم حكيم عمة النبى صلى الله عليه وسلم) . فقال معاوية . ترد على عملى (أى ولاية البصرة) ولا تغضب . قال قد فعلت ، قال : وتهب لى مالك بعرفه . قال : قد فعلت . قال : وتهب لى دورك بمكة . قال : قدفعلت . قال معاوية وصلتك رحم . فقال فقال ابن عامر : وإنى سائلك يا أمير المؤمنين ثلاثاً ، فقل قد فعلت . قال معاوية : قد فعلت وأنا ابن هند . قال : ترد إلىَّ مالى بعرفة . قال : رددت إليك مالك بعرفة . قال : وتزوجنى ابنتك هند . قال : قد فعلت . قال : ولا تحاسب لى عاملا ، ولا تتبع أثرى . قال: قد فعلت. وفرح معاوية بمصاهرته

ابن عامر ، لأنه كان يريد أن يكون تحت نظره خوفا من أن يتطلع للخلافة، وأخباره فى الجود كثيرة.

وقد توفى عبد الله بن عامر عن كثير من المال والولد سنة ٥٧ هـ ودفن فى الطائف بعد أن أتى هذه الأعمال العظيمة فى نصرة الأسلام ، فرضى الله تعالى عنه .



خالد بن الوليد

خالد بن الوليد

خالد بن الوليد بن المغيرة ، بن عبد الله ، بن مخزوم ، بن يقظة ، بن مرة ، أحد أجداد النبي صلى الله عليه وسلم ، وأمه لبابة الكبرى ، بنت الحارث ابن حزن الهلالية ، وهى أخت ميمونة بنت الحارث زوج النبي ، وأخت لبابة الكبرى زوج العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم .

كان خالد بن الوليد فى الجاهلية أحد أشراف قريش ، وكانت اليه القبة (كانوا يضربونها ويجمعون فيها ما يجهزون به الجيش) ، وكانت إليه أعنة الخيل (أى كان خالد المقدم على خيول قريش فى الحرب) .

أسلم خالد فى السنة السابعة للهجرة ، فأعز الله الإسلام به ، فهو البطل المشهور والفارس المأثور ، صاحب الفتوحات العظيمة ، لقبه النبي صلى الله عليه وسلم بسيف الله ، وقل أن يوجد قائد فى العالم وفق إلى النصر فى كل الوقائع كما وفق خالد بن الوليد ، فإن التاريخ لم ينبئنا بخذلانه فى أية واقعة . وذلك لأنه كان شديد الحزم، دائم اليقظة حسن التدبير كثير المراقبة لحركات العدو .

أعماله فى حياة النبي صلى الله عليه وسلم :

١ — شهد خالد غزوة مؤتة (وهى بالبلقاء بمملكة شرقى الأردن اليوم) وكان أمير الجند زيد بن حارثة ، فقاتل المسلمون الروم بمؤتة قتالا شديداً . وقتل زيد بن حارثة ، فتولى القيادة بعده جعفر بن أبى طالب فاستشهد أيضاً ، ثم تولى بعده القيادة عبد الله بن رواحة فقتل أيضاً ، فتولى إمارة الجند بعد استشهادهم رضوان الله عليهم ، خالد بن الوليد ، فقاتل الروم قتالا شديداً حتى اندق فى يده

تسعة أسياف ، ولم يزل يدافع القوم حتى انحازوا عنهم ، ثم عاد بجيش المسلمين . وفى هذه الغزوة سماه رسول الله سيفاً من سيوف الله ؛ وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم وهو بالمدينة أوحى إليه بمن قتل من الأمراء ، فصعد يومئذ المنبر وأعلم بقتل زيد وجعفر وابن رواحة وقال : (ثم أخذ الراية سيف من سيوف الله : خالد بن الوليد ، وفتح الله عليه) ، سمى خالداً سيف الله . وكان خالد من حين أسلم يوليه رسول الله أعنة الخيل فيكون فى مقدمتها .

٢ — وشهد مع النبي صلى الله عليه وسلم فتح مكة ، وأمره يومئذ أن يدخل من أسفل مكة من مكان يسمى الليط ، ومعه أسلم وغفار ومزينة وجهينة وقبائل من العرب ، وهو أول يوم أمَّر فيه رسول الله خالد بن الوليد ، فقاتل خالد عكرمة بن أبي جهل ، وصفوان بن أمية ، وسهل بن عمرو ومن معهم من بنى بكر وبنى الحارث بن عبد مناف ، وهزمهم بعد أن قتل منهم ثلاثة عشر رجلا .

٣ — أرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد فتح مكة داعياً بنى جذيمة للاسلام ، لا مقاتلا ، فقاتلهم لأن صفات الجندية التى يلازمها فى الغالب خشونة الطبع ، كانت متمكنة من نفس خالد ، ولكن الإسلام غير بعد ذلك كثيراً من طباعه فلم تبدر منه هذه الشدة فى حروبه للفرس والروم .

ولما انتهى خبر ما فعله خالد ببنى جذيمة إلى النبي صلى الله عليه وسلم رفع يديه إلى السماء وقال : « اللهم إنى أبرأ إليك مما صنع خالد » ثم أرسل علياً ومعه مال فودى عن الدماء والأموال ، ثم جاء خالد إلى النبي واعتذر .

٤ — بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بطن نخلة ، وكان هناك هيكل الصنم الذى كانت تعظمه قريش وكنانة ومضر وهو العزى ؛ وكان كهان

هذا الهيكل بنو شيبان ، فهدم خالد العزى والهيكل وقال :

ياعُزَّ كفرانك لا سبحانك إنى رأيت الله قد أهانك

٥ — وكان خالد قائداً لبنى سليم فى واقعة حنين ، فجرح خالد فعاده رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونفث فى جرحه فبرىء

٦ — وأرسل النبي خالداً إلى أكيدر بن عبد الملك صاحب دومة الجندل، فأسره وجاء به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فصالحه على الجزية ورده إلى بلده .

وأرسل النبي صلى الله عليه وسلم فى السنة العاشرة للهجرة خالداً إلى بنى الحارث بن كعب بنجران ، وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام ، فإن أجابوا يقيم فيهم ويعلمهم شرائع الإسلام ، وإن أبوا يقاتلهم . فخرج خالد حتى قدم عليهم وبعث الركبان يضربون فى كل وجه ويدعون الناس إلى الإسلام فأسلموا ، وأقام بينهم يعلمهم كتاب الله وسنة نبيه ثم عاد بوفد منهم إلى النبي، ولم يزل خالد مدة صحبته يجاهد بين يدى النبي ويحرص على رضائه .

أعمال خالد بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم :

١ — أرسل أبو بكر رضى الله تعالى عنه خالداً بجيش لمقاتلة طليحة ابن خويلد ومالك بن نويرة، لادعاء أولهم النبوة ، ولامتناع ثانيهم عن أداء الزكاة ، فانتصر خالد على طليحة بن خويلد ومن معه من بنى فزارة،ثم هرب طليحة إلى الشام ، ثم ثاب وعاد إلى الإسلام فى خلافة عمر ، وشهد موقعة نهاوند ، وكان من الشجعان المشهورين ، واستشهد فى تلك الموقعة . ثم بعد ذلك سار خالد إلى البطاح فانتصر على مالك بن نويرة وقتله وتزوج امرأته أم تميم . وكان مالك قد أسلم ،فطلب عمر بن الخطاب من أبى بكر أن يعاقب خالداً ، فقال أبو بكر : ياعمر ، تأول خالد فأخطأ ، فارفع لسانك عن خالد،

فإنى لا أثلم سيفاً سله الله على الـكافرين ، ودخل خالد على أبى بكر فاعتذر ، فقبل الخليفة عذره ، وودى مالـكا من بيت مال المسلمين .

٢ — أرسل أبو بكر خالدبن الوليد إلى حرب مسيلمة الـكذاب باليمامة ، وكان مع مسيلمة بنو حنيفة ، وكان عددهم ٦٠ ألف مقاتل، وكانوا قد انتصروا على عكرمة بن أبى جهل وشرحبيل بن حسنة ، فنشبت الحرب بين جند المسلمين وجند مسيلمة الـكذاب ، واشتد القتال ولم يلق المسلمون حرباً مثلها قط ، فلما رأى خالد كثرة عدوه ، وخاف من هزيمة جنده ، أمر بأن تمتاز قبائل جيشه بعضها عن بعض ، فتستحى كل قبيلة منهم من الفرار ، فلما امتازت قبائل جيش خالد قاتلت قتالا شديداً ، وتم انتصار خالد وجنده على مسيلمة ومن تبعه من بنى حنيفة ، وقتل مسيلمة الـكذاب .

فتوحات خالد بن الوليد :

أمر أبو بكر خالد بن الوليد أن يسير إلى فتح العراق فى المحرم من السنة الثانية عشرة للهجرة ، فانتصر خالد فى واقعة الحفير على الفرس (الحفير قرب خليج البصرة) ، وبارز هرمز صاحب الحفير واحتضنه ثم قتله ، وأخذ سلبه وقلنسوته ، ثم انتصر على الفرس فى عدة وقائع ، وهى واقعة الثنى والولجة والليث (على الفرات) وبرقلى ؛ ثم فتح الحيرة عاصمة العراق ، ثم فتح الأنبار وعين التمر ودومة الجندل ، ومزق صفوف الفرس ومن معهم ، وخضعت كل هذه البلدان إلى دولة الإسلام . وكان من أبطال جند خالد بن الوليد المثنى بن حارثة الشيبانى وبشير بن سعد الأنصارى ، وحنظلة بن الربيع التميمى ، وجرير بن عبد الله البجلى ، والنسير بن دسيم بن ثور ، وحزار بن الخطاب ، وهزار بن الأزور ، والقعقاع بن عمـــرو ، وعتبة بن النهاس ، وغيرهم من أهل البأس ، والأربعة الأخيرون

كانوا من أمراء الثغـــور .

جهز أبو بكر لفتح الشام أربعة جيوش جعل على أحدها عمرو بن العاص ، ووجهته فلسطين ، وعلى الثـانى شرحبيل بن حسنة ، ووجهته الأردن ، وعلى الثالث يزيد بن أبى سفيـان ، ووجهته البلقاء ، وعلى الرابع أمين الأمة ، أبو عبيدة عامر بن الجراح ، ووجهته حمص ، وساروا جميعاً على بركة الله وقد ودعهم أبو بكر ماشياً وأوصاهم بما فيه صلاحهم ، فظلت الجيوش سائرة حتى نزلت حدود الشام ، ولـكن الروم جمعت جموعا كثيرة من الجند لملاقاة الجنود الإسلامية ، فأشار عمرو بن العاص على أمراء جنود المسلمين أن يجتمعوا بجنودهم باليرموك ، وكل واحد يبقى أميرا على جيشه . وكان موقف الرومان باليرموك هكذا : نهر اليرموك عن يمينهم وخلفهم ، ووادى الواقوصة عن شمالهم (وهو واد عميق) وقد حفروا خندقا أمامهم يحجز بينهم وبين جند المسلمين ، ووقفت الرومان والعرب هـذا الموقف ثلاثة أشهر ؛ صفر والربيعين من السنة الثالثة عشرة للهجرة .

فأرسل أمراء المسلمين إلى أبى بكر يستمدونه . فـكتب إلى خالد بن الوليد أن يسير بنصف جنده لنجدة المسلمين باليرموك ، ويستخلف على نصف جنده الآخـر المثنى بن حارثة الشيبانى ، فأطاع خالد أمر الخليفة ، وقال للمثنى بن حارثة ، (ارجع رحمك الله إلى سلطانك غير مقصر ولا وان) وكان المثنى خير كفء لحرب الفرس بعد خالد بن الوليد .

سار خالد فى شهر ربيع الأول سنة ١٣ للهجرة من الحيرة بنصف جنده ، وعدده تسعة آلاف مقاتل ، ينهب الأرض نهباً حتى وصل إلى اليرموك فى ربيع الآخر ، وكان وهو عائد من الحيرة إلى اليرموك يفتح البلدان التى يمر عليها حتى افتتح بصرى من بلاد حوران ، وبعد وصول خالد بن الوليد وجنده الظـافر إلى اليرموك ، بلغ عـدد جنده مع جنود المسلمين الذين

كانوا هناك ٣٦ ألف مقاتل ، ولكن خالداً رأى كل أمير من أمراء الجيوش الأربعة يأبى التنازل عن إمارته ، وعلم أن حال جنود المسلمين مع هذا الاختلاف وهم ٣٦ ألف مقاتل أمام ٢٠٠ ألف مقاتل من جنود الرومان لايبشر بالنصر ، فجمع الأمراء وخطبهم ، قال بعد أن حمد الله وأثنى عليه : (إن هذا يوم من أيام الله، لاينبغى فيه البغى ولا الفخر، أخلصوا جهادكم ، وأرضوا الله بعملكم ، فإن هذا يوم له مابعده ، ولا تقاتلوا قوما على نظام وتعبئة ، وأنتم غير متساندين ، فإن هذا لايحل ولا ينبغى) قالوا : فما الرأى ؟ فقال يؤمر على الجيش كله أمير واحد ، ويتعاورون الإمارة حتى يؤمروا كلهم ، وأن يؤمر هو فى اليوم الأول ، فقبلوا مشورته.

خرج خالد فى تعبئة لم تعبئها العرب قبل ذلك ، فجعل جيشه ٣٦ فرقة كل فرقة ألف رجل ، عليها قائد من الشجعان . وجعل على فرق القلب أبا عبيدة ، وعلى فرق الميمنة عمر وشرحبيل ، وعلى فرق الميسرة يزيد . ثم نشب القتال وتطارد الفرسان وأظهر خالد من الشجاعة والحمية الإسلامية ما أدهش العقول ، وحال خالد بين خيل المشركين ورجالتهم . فانهزم الفرسان وتركوا الرجالة (البيادة) فأفسح المسلمون لفرسان الرومان طريق الهرب ، واشتدوا على رجالة الروم فهزموهم وقتلوا منهم خلقاً كثيراً . وانتهت هذه الواقعة بهزيمة الرومان شر هزيمة . وكان من يريد الهرب من الرومان يقع فى وادى الواقوصة قتيلا أو فى النهر غريقاً ، وكانت الرومان بقيادة تيودور أخى هرقل امبراطور الرومان ، وكان هرقل وقتئذ بأورشليم . فلما علم بانكسار جنوده فى اليرموك فر إلى حمص ، ثم هرب إلى أورفة ، ثم رحل عن سورية سنة ١٦ هـ بعد أن وقعت جميع الأنحاء السورية فى يد العرب ، وقال قبل ركوبه البحر وهو واقف على إحدى الصخور : عليك السلام يا سورية سلاما لا اجتماع بعده .

كانت واقعة اليرموك هذه سبباً فى إبادة الرومان من المشرق بل سبباً فى فتح الشام ومصر.

كنت أتمنى أن أكون شاعراً مجيداً لأستطيع أن أصف واقعة اليرموك، أو لأنظم أنشودة حربية خاصة بها تنشدها الشبيبة من الأمة فتملأ قلوبهم جرأة وإقداما، وحباً للمجد ومعالى الأمور.

وكنت أرجو أن أكون مصوراً ماهراً لأصف موقف الرومان فى واقعة اليرموك، وعددهم مائتا ألف مقاتل، وعليهم الدروع السابغة، وعلى رءوسهم الخوذ اللامعة، وبأيديهم الأسلحة المتنوعة، وهم الطوال القامة، الشديدو العضل، أولئك الرومان أولو البأس الذين اكتسحوا أوربا كلها، وشمال أفريقية، وتوغلوا فى آسيا. وكأنى أسمع صليل سيوفهم ودروعهم وجلبتهم وضوضاءهم، بينما المسلمون أمامهم لا يزيدون على ستة وثلاثين ألفاً من المجاهدين، ولكن قلوبهم قد ملئت إيمانا وجرأة واعتقاداً بالنصر الذى وعدهم الله عز وجل إياه، لا يرهبون موتا، ولا يخافون عدواً مهما كثر عديده، يعتقدون أن أجسامهم ليست إلا ثيابا لأرواحهم الطاهرة التى عاهدوا الله تعالى أن تعيش فى الدنيا كريمة عزيزة، أو تنتقل إلى جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين. لجدير بكل مسلم أن تتملك عواطفه الأحزان، إذا ما أراد أن يوازن بين حال المسلمين يومئذ وحالهم اليوم. فاللهم ابعث للمسلمين رجالا يهدونهم إلى العمل على إعادة مجدهم التليد، وعزهم الأثيل، آمين.

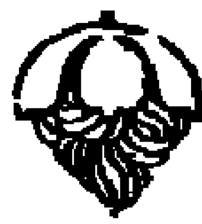
ولما انتهت موقعة اليرموك، سار خالد بجنود المسلمين حتى حاصر دمشق. وفى أثناء حصارها جاء البريد من المدينة بنعى أبى بكر واستخلاف عمر بن الخطاب، وتوسيد عمر لأبى عبيدة امارة الجيش، وعزله خالد بن الوليد، فكتم ذلك أبو عبيدة حتى تم فتح دمشق، وكان لخالد فى فتح دمشق الأثر

المحمود . ومن أحسن مايروى عن خالد أن بعضهم قال له : كيف تجد في فتح بلدان الشام والفتح منسوب الى أبى عبيدة لا لك وقد صنع عمر بك ذلك ؟ فقال : إنما أفتح الشام لله لا لعمر . ثم قال : لا أبالى أن يقال الفاتح أبو عبيدة أم خالد ، إنما يهمنى فتح الشام ، وقد فتحت)

ثم أرسل أبو عبيدة خالداً لفتح قنسرين التابعة لولاية حلب ففتحها . ولما انتهى الخبر بذلك إلى عمر بن الخطاب قال : « قد أمَّر خالد نفسه . رحم الله أبا بكر ، لقد كان أعلم بالرجال منى . ثم استدعاه إلى المدينة فعاتبه خالد ؛ فقال له عمر : « ماعزلتك لريبة فيك ، ولكن افتتن بك الناس فخفت أن تفتتن بالناس » .

وتوفى خالد فى خلافة عمر سنة ٢٣ هـ بحمص وقبره على نحو ميل منها . وقال خالد فى مرضه الذى مات به : « قد دق فى يدى يوم مؤتة تسعة أسياف ، وقد شهدت مائة زحف (حرب) أو نحوها ، وما فى بدنى موضع شبر إلا وبه ضربة ، أو طعنة ، أو رمية ، وهأنذا أموت على فراشى ! فلا نامت أعين الجبناء . ومالى من عمل أرجى من لا إله إلا الله ، وأنا متترس بها » .

وحزن عليه عمر والمسلمون حزناً شديداً . وكان قد وقف فرسه وسلاحه فى سبيل الله : ولما مات خالد لم تبق امرأة من بنى المغيرة إلا حلقت رأسها ووضعت شعرها على قبره ، فرضى الله تعالى عنه .



أبو عبيدة بن الجراح

أبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح ينتهى نسبه إلى النضر بن كنانة، وهم آخر بطون قريش، ولد بعد ميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم باثنتى عشرة سنة (سنة ٥٨٣) وتوفى بعمواس سنة ثمانى عشرة للهجرة وعمره ثمان وخمسون سنة . وكان فى الجاهلية معروفا بالرأى والدهاء حتى قيل (داهيتا قريش أبو بكر وأبو عبيدة بن الجراح) وهو من السابقين إلى الإسلام ، أسلم قبل دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم دار الأرقم . وكان رضى الله عنه قوياً فى دينه متفانياً فى حب نبيه. قال أنس بن مالك: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما معناه : « لكل أمة أمين ، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح» شهد بدراً وأحداً ، والمشاهد كلها مع رسول الله وهاجر إلى الحبشة ثم إلى المدينة وفى واقعة بدر كان أبوه (وهو من المشركين) يتصدى له فجعل أبو عبيدة يحيد عنه ؛ فلما أكثر أبوه قصده قتله أبو عبيدة ؛ فأنزل الله تعالى (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حادّ الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم . . الآية) وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة ; قال عمر بن الخطاب يوماً لجلسائه تمنوا ، فتمنوا ، فقال عمر بن الخطاب لكنى أتمنى بيتاً ممتلئاً رجالا مثل أبى عبيدة بن الجراح . ولما ولى عمر بن الخطاب أبا عبيدة إمارة جند الشام بعد عزله خالد بن الوليد، قال أبو عبيدة: سمعت رسول الله يقول : إن خالداً لسيف من سيوف الله . فقال خالد بن الوليد : ولى عليكم أمين هذه الأمة .

فتوح أبى عبيدة

فتح أبو عبيدة دمشق بعد حصار سبعين ليلة ، ودخلها من أحد

جانبيها صلحاً ، ودخلها خالد بن الوليد من الجانب الآخر عنوة ، فاستخلف أبو عبيدة على دمشق يزيد بن أبى سفيان، ثم سار إلى فحل من أرض الأردن وفل هناك جيوش الروم ، وأتى بيسان وطبرية وحاصرهما فصالحا على صلح دمشق . وسار إلى حمص عن طريق بعلبك وقدم إليها السمط بن الأسود الكندى ، وقدم خالد الى البقاع ؛ ونزل أهل بعلبك إلى أبى عبيدة فصالحوه ثم فتح حمص وسار الى حماة فصالحه أهلها ، ثم فتح حلب وحاصر أنطاكية وفتحها صلحاً ؛ ثم سير جيوشه تضرب فى الشمال والشرق حتى أتمت فتح سورية ، وبلغت الفرات شرقاً ، وآسيا الصغرى شمالا ، وبسط على أهل سورية جناح الرأفة والعدل وعاملهم بما اشتهر به من الرفق حتى بات سلطان المسلمين أحب اليهم من سلطان الروم ، فكانوا عوناً لهم على الفتح . ولما قدم عمر بن الخطاب الشام تلقاه أمراء الأجناد فقال عمر : أين أخى أبو عبيدة ؟ قالوا : يأتيك الآن . فجاء أبو عبيدة على فرس مخطومة بحبل ، فسلم عليه ، ثم قال عمر للناس : انصرفوا عنا . فسار معه حتى أتى منزله فلم ير فى بيته الا سيفه وترسه وبعض كسيرات من الخبز . فقال عمر : لو اتخذت متاعا . قال أبو عبيدة ياأمير المؤمنين، ان هذا سيبلغنا المقيل. فبكى عمر.

وقد وفق الله أبا عبيدة فى اختيار عماله من ذوى الهمة ، وبعضهم ممن يحاكونه فى زهده وورعه ، فانه لما قدم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب حمص امرهم أن يسجلوا له فقراءهم ، ثم رفع السجل فاذا فيه سعيد بن عامر ؛ قال : من سعيد بن عامر ؟ قالوا : ياأمير المؤمنين أميرنا ، قال وأميركم فقير ؟ ! ، قالوا نعم ؟ ! فعجب وقال : كيف يكون أميركم فقيراً ؟ أين عطاؤه ؟ ! ـ أين رزقه ؟ قالوا ياأمير المؤمنين لا يمسك شيئاً . فبكى عمر ، ثم عمد الى الف دينار فصرها وبعث بها اليه ، وقال : أقرئوه عنى السلام ، وقولوا له بعث بها اليك أمير المؤمنين فاستعن بها . فلما نظر سعيد إلى الدنانير جعل يقول (انا

لله وانا اليه راجعون) فقالت له امرأته : ماشأنك ؟ أأصيب أمير المؤمنين ؟! ، قال أعظم ؟ ! ، قالت أفظهرت آية ؟ قال أعظم من ذلك ! قالت فما شأنك ؟ قال الدنيا أتتنى ـ الفتنة أتتنى ، دخلت على . فقالت : فاصنع فيها ما شئت . فبات يصلى طول ليلته حتى أصبح ، فاعترض جيشاً من جيوش المسلمين ففرق هذه الدنانير عليهم ورجع فرحا ، فرضى الله تعالى عنه .

ومات أبو عبيدة بن الجراح الفاتح العظيم أمين الأمة فى طاعون عمواس سنة ١٨ للهجرة، بعد أن استخلف معاذ بن جبل فرضوان الله عليهم أجمعين .



الزبير بن العوام

الزبير بن العوام بن خويلد، بن أسد ، بن عبدالعزى، بن قصي أحد أجداد النبي صلى الله عليه وسلم ، وأمه صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله ، وابن أخي خديجة أم المؤمنين زوج النبي. ولد بعد ميلاد النبي صلى الله عليه وسلم باثنين وعشرين عاماً (٥٩٣ م) . وقتل رضى الله عنه فى يوم الخميس ١٠ جماد الأولى سنة ٣٦ هـ ، وعمره ست وستون سنة ، وأسلم وعمره ست عشرة سنة ، وكان خامس من أسلم . وكان أسمر ربعة ، خفيف اللحية . قال على بن أبى طالب : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان لكل نبي حواريا ، وحواريي الزبير بن العوام . وهو أول من سل سيفا فى الله عزَّ وجلَّ . وكان سبب ذلك أن المسلمين لما كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم بمكة ، وقع الخبر أن النبيّ قد أخذه الكفار ، فأقبل الزبير يشق الناس بسيفه ، والنبي صلى الله عليه وسلم بأعلى مكة ، فقال له : مالك يازبير ؟ قال : أخبرت أنك أخذت . فصلى عليه النبي صلى الله عليه وسلم، ودعا له ولسيفه. وعن عبد الله بن الزبير بن العوام عن أبيه قال : لما نزلت (ثم لتسألن يومئذ عن النعيم) قال الزبير : يارسول الله وأى النعيم نسأل عنه ؟ وإنما هما الأسودان التمر والماء ! قال رسول الله : أما إنه سيكون ». فكان للزبير بعد ذلك ألف مملوك ، وبلغت ثروته نصف مليون من الدنانير. وبنى الزبير ابن العوام قصراً له بالبصرة ، وقصراً بمصر ، وقصراً بالإسكندرية ، وقصراً بالكوفة ، وكان أغلب ثروته من ربحه فى التجارة .

كان رضى الله عنه بطلا عظيما شهد المشاهد كلها مع رسول الله ، ولما استعصى على عمرو بن العاص وجنده فتح حصن بابليون (وهو الحصن الذى بناه الفرس أيام احتلالهم مصر على الضفة الشرقية من النيل قرب الكنيسة المعلقة فى مصر القديمة) سأل أمير المؤمنين عمر أن يمدهُ بجيش ، فأمده بجيش عدده اثنا عشر ألف مقاتل بقيادة البطل العظيم الزبير ابن العوام . ولما قدم الزبير وجنده مصر استقبله عمرو بن العاص ، فطاف الزبير بالخندق الذى حول حصن بابليون . وكان الزبير رضى الله عنه من الذين لا يرهبون الموت ، فقال إنى أهب نفسى لله وأرجو أن يفتح الله بذلك على المسلمين . فوضع سلما على جانب الحصن ، ثم صعد ، وأمرهم إذا سمعوا تكبيره أن يجيبوه جميعا . فما شعروا إلا والزبير على رأس الحصن يكبر ، ومعه السيف . وتحامل الناس على السلم ، وكبر الزبير فكبر الناس معه ، وأجابهم المسلمون من الخارج ، فأوهم عمل الزبير بن العوام الروم أن العرب قد اقتحموهم ، فهربوا إلى الجزيرة ، (جزيرة الروضة) على مراكب أعدوها لذلك . وعمد الزبير إلى باب حصن بابليون مع بعض جنده ففتحوه واستولوا على الحصن . وكانت شجاعة الزبير بن العوام واستيلاؤه على حصن بابليون المنيع سببا فى الاستيلاء على الديار المصرية كلها

كلمة فى عمرو بن العاص

كان عمرو بن العاص واسع الحيلة محباً للإمارة أكثر من قدرته على الحرب . يتبين ذلك من أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسله قائداً فى غزوة ذات السلاسل فى مشارف الشام ، فخاف الحرب ، وبعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستمده ، فندب النبى لنجدته جنداً من المهاجرين والأنصار ، فيهم أبو بكر وعمر بن الخطاب ، وأمَّر عليهم أبا عبيدة بن

الجرّاح الذى لقبه النبي بأمين الأمة ، فلما قدموا على عمرو بن العاص ، قال: أنا أميركم ، فقال المهاجرون : بل أنت أمير أصحابك ، وأبو عبيدة أمير المهاجرين . فقال عمرو ، إنما أنتم مدد أمددت بكم ، فقبل أبو عبيدة أن يكون عمرو بن العاص أميراً منعاً للخلاف ، مع أنه أعظم منه شأناً . كذلك عمرو بن العاص لما استسهل فتح مصر ودخلها بأربعة الآف من الجنود. وبعد أن اتم فتح الفرما ووجد بسالة الروم أسرع يطلب النجدة من أمير المؤمنين عمــــر بن الخطاب ، فحضر إلى مصر اثنا عشر ألف مقاتل بقيادة الزبير بن العوّام الذى وجد عمرا واقفاً أمام حصن بابليون لا يبدى حراكا ، ففتح الزبير بن العوّام حصن بابليون كما تقــدم ذلك ، وعندئذ طلب المقوقس الصلح ، ثم استمر الزبير وجنده يفتحون البلاد حتى فتحوا الإسكندرية . فإن قيل إن عمرو بن العاص هو فاتح مصر ، وجب على المنصفين من المؤرخين أن يقولوا إن فاتحى مصر هما الزبير بن العوّام وعمرو بن العاص ، لا عمرو بن العاص وحده .

وقال هشام بن عروة : أوصى للزبير سبعة من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ، منهم عثمان ، وعبد الرحمن بن عوف ، والمقداد ، وابن مسعود، وغيرهم. وكان يحفظ على أولادهم مالهم وينفق عليهم من ماله . وشهد الزبير واقعة الجمل مقاتلا لعلى ، فناداه على كرّم الله وجهه وقال له : أتذكر إذ كنت أنا وأنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر إلىّ وضحك وضحكت، فقلت أنت لا يدع ابن أبى طالب زهوه ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : ليس على بمزهوٍ ؛ ولتقاتلنه وأنت له ظالم ؟ فذكر الزبير ذلك فانصرف عن القتـــال ، ونزل بوادى السباع وقام يصلى ، فأتاه ابن جرموز فقتله وجاء بسيفه إلى على بن أبى طالب، فقال على : إن هذا سيف طالما فرج الكربة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : بشر قاتل ابن صفية بالنار .

وقيل إن ابن جرموز استأذن على على فلم يأذن له، وقال للآذن : بشره بالنار . .

وكان الزبير بن العوام أحد العشرة المبشرين بالجنة ، وكان كثير الجود ، مدحه حسان بن ثابت رضى الله عنه فقال :

أقام على عهد النبى وهديه   حواريه والقول بالفعل يعدُل
أقام على منهاجه وطريقه   يوالى ولى الحق والحق أعدل
هو الفارس المشهور والبطل الذى   يصول إذا ما كان يوم محجل
وان امرأً كانت صفية أمه   ومن أسد فى بيته لمرفل
له من رسول الله قربى قريبة   ومن نصرة الاسلام مجد مؤثل

فرضى الله عنه .



عبد الرحمن بن عوف

عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة (أحد أجداد النبي) ، ولد بعد ميـــلاد النبي بعشر سنين (سنة ٥٨١م) ، وتوفى فى سنة ٣١ للهجرية بالمدينة ، وعمره خمس وسبعون سنة . كان أبيض مشرباً بحمرة ، حسن الوجه ، رقيق البشرة ، وكان أحـد الثمانية الذين سبقوا إلى الإسلام . وقد هاجر إلى الحبشة وإلى المدينة .وكان رضى الله عنه من كبار أبطال المسلمين ، شهد بدرا وأُحدا والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . وجرح يوم أحد واحـــدا وعشرين جرحا . وأصيب فى رجله فكان يعرج منها . وبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى كلب وعممه بيده وسد لها بين كتفيه ، وقال له إن فتح الله عليك . فتزوج ابنة ملكهم (أو قال شريفهم) . وكان الأصبغ بن ثعلبة بن ضمضم الكلبي شريفهم فتزوج ابنته (تماضر) وولدت له أبا سلمة بن عبد الرحمن. وكان عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد الستة أصحاب الشورى الذين جعل عمر بن الخطاب الخلافة فيهم . وأخبر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توفى وهـو عنهم راض . ولما مات عمر رضى الله عنه قال عبد الرحمن بن عوف لإخوانه الذين جعل عمر فيـه وفيهم الخلافة : من يخرج نفسه منها ويختار للمسلمين ؟ فلم يجيبوه إلى ذلك ، فقال : أنا أخرج نفسى من الخلافة وأختـار للمسلمين . فأجابوه إلى ذلك ، فاختار للخلافة عثمان بن عفان .

وفى أحد الأسفار صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم خلف عبد الرحمن

بن عوف ، وقد كان الرسول رأى عبد الرحمن يريد أن يتأخر ، فأومأ اليه . أن قف مكانك، وصلى الرسول خلفه . ولما تزوج عبدالرحمن بن عوف أتى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : بارك الله لك ! أو لم ولو بشاة .

وعن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم آخى بين المهاجرين والأنصار ، وآخى بين سعد بن الربيع وعبد الرحمن بن عوف ، فقال له سعد : إن لى مالا فهو بينى وبينك شطران ، ولى امرأتان فانظر أيهما تحب حتى أخالعك ، فإذا حلت تزوجها . فقال عبد الرحمن : لا حاجة لى بأهلك ولا بمالك. بارك الله لك فيهما: دلونى على السوق (فقدعزم على أن يشتغل بالتجارة) فكانت دعوة النبي لعبد الرحمن بن عوف بالبركة أن أناله جزاء عفته وترفعه عن مشاطرة سعد بن الربيع ما له « حتى كاد يصبح أغنى رجل فى العرب من ربحه الكثير فى التجارة . وقد دخل عبد الرحمن على أم المؤمنين أم سلمة زوجة النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : ياأماه قد خفت أن تهلكنى كثرة مالى . قالت يابنى أنفق. فكان كثيرالإنفاق فى سبيل‌الله. وروى‌معمرعن الزهرى‌قال: تصدق عبدالرحمن بن‌عوف‌على عهد النبى بأربعة آلاف (درهم) ثم تصدق بأربعين ألف درهم ، ثم بأربعين الف دينار ، ثم حمل على خمسمائة فرس وخمسمائة راحلة فى سبيل الله ، وكان كل ما له من التجارة .

وقدمت لعبد الرحمن بن عوف سبعمائة راحلة تحمل البر والدقيق والطعام،فلما دخلت‌المدينة سمع أهلها رجةً ، فقالت‌عائشة أم‌المؤمنين :ماهذه الرجة ؟ فقيل لها عير قدمت لعبد الرحمن بن‌عوف هى‌سبعمائة بعيرتحمل‌البر والدقيق والطعام. فقالت‌عائشة: سمعت النبي‌صلى‌الله‌عليه وسلم يقول، «يدخل عبدالرحمن‌بن عوف‌الجنة حبوا» فلما بلغ ذلك عبد الرحمن بن عوف، قال : يا أماه! إنى أشهدك أنها بأحمالها وأحلاسها وأقتابهافى‌سبيل الله عز وجل .

وأوصى عبد الرحمن بخمسين ألف دينار فى سبيل الله، وأوصى لمن بقى ممن شهد بدراً ، لكل رجل أربعمائة دينار ، وكانوا مائة فأخذوها . وأخذ عثمان ابن عفان أربعمائة دينار مثلهم . وأوصى عبد الرحمن بألف فرس فى سبيل الله . وأوصى بحديقة لأمهات المؤمنين بيعت بأربعمائة ألف درهم .

وقد مات رضى الله عنه عن ثروة كبيرة ، فكان ماترك من الذهب عظيما جداً . وترك ألف بعير ومائة فرس ، وثلاثة آلاف شاة ترعى فى البقيع. ولما مات قال على بن أبى طالب : اذهب ياابن عوف ، فقد ادركت صفوها . وسبقت زمقها . وكان سعد بن أبى وقاص فيمن حمل جنازته وهو يقول وارجلاه !! فرضى الله تعالى عنهم أجمعين .



طلحة بن عبيد الله

طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن مرة (أحد أجداد النبي صلى الله عليه وسلم) .

ولد قبل الهجرة بأربعة وعشرين عاماً ٥٩٨ م . واستشهد سنة ٣٦ هـ ، وعمره ستون سنة. كان أبيض مشرباً بحمرة ،ويعرف بطلحة الخير ، وطلحة الفياض ، وهو من السابقين الأولين إلى الإسلام ،وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة ، وأحد اصحاب الشورى.ولم يشهد بدرا لأنه كان بالشام مع سعيد بن زيد يتجسسان الأخبار ، ثم رجع الى المدينة يوم واقعة بدر ، فتوجه طلحة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد رجوعه من بدر ، وكلمه فى سهمه ، فقال له النبي : لك سهمك . قال : وأجرى ؟ قال : وأجرك . وكان طلحة رضى الله عنه من أبطال المسلمين . شهد أحداً وجميع المشاهد مع رسول الله، وحارب يوم أحد ، ووقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه ، وتلقى عنه النبل بيده حتى شلت أصبعه ، وضرب ضربة على رأسه . وفى يوم أحد ، وضع رسول الله قدميه على ظهر طلحة ، ثم صعد الصخرة ، وقال طلحة سمانى رسول الله يوم أحد طلحة الخير ، ويوم العسرة طلحة الفياض ، ويوم حنين طلحة الجود . وحارب طلحة على بن أبى طالب فى يوم الجمل ، فذكر له علىّ أشياء من سوابقه كما قال للزبير ، فرجع عن قتاله ، واعتزل فى بعض الصفوف، ولكن مروان بن الحكم رماه بسهم فى ركبته ، فمات من جرحه. وكان طلحة شديداً على عثمان بن عفان رضى الله عنه ، فقال مروان بعد قتل طلحة : لا أطلب بثأرى بعد اليوم . والتفت إلى إبان بن عثمان ، وقال له : قد كفيتك بعض قتلة أبيك . وقال طلحة يوم الجمل :

ندمت ندامة الكسعى لمـا   شربت رضا بنى جرم برغمى
اللهم خذ لعثمان منى حتى يرضى

وقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه لما بلغه مسير طلحة والزبير وعائشة : منيت بأربعة : أدهى الناس وأسخاهم طلحة ، وأشجع الناس الزبير : وأطوع الناس فى الناس عائشة ، وأكثر النـاس غنى يعلى بن منبه ،والله ما أنكروا على منكراً ، ولا استأثرت بمال ، ولاملت بهوى، وإنهم يطلبون حقاً تركوه،ودما سفكوه.ولقد ولوه دونى ،وإن كنت شريكهم فى الإنكار لما أنكروه ، وما تبعة عثمان إلا عندهم . بايعونى ونكثوا بيعتى ،وما استبانوا امرى حتى يعرفوا جورى من عدلى ، وإنى لراض بحجة الله عليهم وعلمه فيهم ، وإنى مع هذا لداعيهم ومعذر إليهم ؛ فإن قبلوه فالتوبة مقبولة ، والحق أولى من صرف إليه ، وإن أبوا أعطيتهم حد السيف ، وكفى به شافياً من باطل . . ولما قتل طلحة ورآه على مقتولا ، جعل يمسح التراب عن وجهه ، وقال .عزيز على أبا محمد أن أراك مجندلا تحت نجوم السماء . وترحم عليه : وسمع على رجلا ينشد :

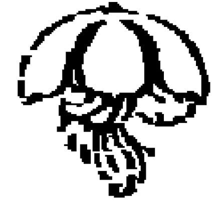
فتى كان يدنيه الغنى من صديقه   إذا ما هو استغنى ويبعده الفقر
فقال ذلك هو أبو محمد طلحة بن عبيد الله.

وقال علقمة اليشكرى : سمعت على بن أبى طـالب يقول : سمعت بأذنى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : طلحة والزبير جاراى فى الجنة . وعن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لطلحة بن عبيد الله : « أبشر يا أبا محمد بان الله قد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، وقد أثبت اسمك فى ديوان المقربين »

وقد كان طلحة بن عبيد الله رضى الله عنه من كبار أغنياء الصحـابة ومن المشهورين بالجود والسخاء، وقد بالغ كثير من المؤرخين فى تقـــدير

ثروته حتى أن المسعودى ذكر أن إيراد طلحة بن عبيد الله من أملاكه فى العراق والشرات كان أكثر من الفين من الدنانير فى اليوم. وروى المسعودى أيضاً أن دار طلحة بالكوفة، كانت شهيرة بدار الطلحيين، أما داره بالمدينة فقد بناها بالطوب والجص والساج .

أما سخاؤه فقد رويت عنه كثير من الروايات، وقد روت سعدة بنت عوف امرأة طلحة، أن طلحة تصدق يوماً بمائة ألف درهم . وقد باع طلحة أرضاً له بسبعمائة ألف درهم، فبات أرقاً من مخافة ذلك المال حتى أصبح ففرقه فى سبيل الله فرضى . الله تعالى عنه .



سعيد بن زيد

سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ، من أجداده كعب بن لؤى (أحد أجداد النبي صلى الله عليه وسلم) ، وأبوه ابن عم عمر بن الخطاب. ولد بعد ميلاد النبي باثنتين وثلاثين سنة (٦٠٣م) ، وتوفى سنة ٥٠ هـ وعمره ٧٠ سنة . أسلم قبل عمر بن الخطاب ، ولا غرو فأبوه زيد بن عمرو ابن نفيل ، وهو أحد من أعتزل عبادة الأوثان فى الجاهلية ، وكان يقول : يامعشر قريش ! أيرسل الله قطر السماء وينبت بقل الأرض ويخلق السائمة فترعى فيه وتذبحونها لغير الله ؟ ما أعلم على وجه الأرض أحداً على دين ابراهيم غيرى . فكانوا يمنعونه بعد ذلك دخول مكة ،وكان أشدهم عليه فى ذلك الخطابُ بن نفيل ، وقال زيد فى تركه عبادة الأصنام :

عزلت الجن والجنان عنى كذلك يفعل الجلد الصبورُ
فلا العزى أدين ولا ابنتيها ولا صنمى بنى طسم اديرُ
أرباً واحداً أم ألف رب أدينُ إذا تقسمت الأمورُ
ألم تعلم بأن الله أفنى رجالا كان شأنهم الفجورُ
وأبقى آخرين ببر قوم فيربو منهم الطفلُ الصغيرُ
رأينا المرء يعثرُ ذات يوم كما يتروَّحُ الغصن النضيرُ

وسئل النبي صلى الله عليه وسلم عن زيد ،فقال يأتى يوم القيامة وحده . وكان سعيد بن زيد من المهاجرين الأولين . وشهد سعيد بن زيد المشاهد كلها مع رسول الله ما عدا بدرا فإن الرسول صلى الله عليه وسلم كان قد أرسله مع

طلحة بن عبيد الله فى طريق الشام يتجسسان الأخبار ، فرجع إلى المدينة يوم واقعة بدر ، وهو من العشرة المشهود لهم بالجنة . وعن عبد الرحمن بن عوف قال . قال رسول صلى الله عليه وسلم : « أبو بكر فى الجنة ، وعمر فى الجنة ، وسعد بن أبى وقاص فى الجنة ، وعثمان فى الجنة ، وعلى فى الجنة ، وطلحة فى الجنة ، والزبير فى الجنة ، وعبد الرحمن بن عوف فى الجنه ، وسعيد ابن زيد فى الجنة ، وأبو عبيدة بن الجراح فى الجنة » .

وكان عمر بن الخطاب زوجا لعاتكة أخت سعيد بن زيد ، وكان سعيد ابن زيد زوجاً لفاطمة أخت عمر بن الخطاب. وقال عمر بن الخطاب: أتحبون أن أعلمكم كيف كان بدء إسلامى ؟ قلنا نعم . قال : كنت من أشد الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبينما كنت فى بعض طرق مكة إذا لقينى رجل من قريش ، وقال لى أختك قد صبأت ، فرجعت مغضباً وقرعت باب سعيد بن زيد ، فقيل من هذا ؟ قلت: ابن الخطاب ، قال وكان القوم جلوساً يقرأون القرآن فى صحيفة معهم ، فلما سمعوا صوتى اختفوا ونسوا الصحيفة . قال : فقامت أختى ففتحت . فقلت ياعدوة نفسها قد بلغنى أنك صبأت . وضربتها حتى سال الدم . فلما رأت أختى الدم بكت ، ثم قالت يابن الخطاب ما كنت فاعلا فافعل فقد أسلمت . فدخلت وأنا مغضب ونظرت فإذا بكتاب فى ناحية البيت فقلت ما هذا الكتاب ؟ أعطينيه . فقالت لا أعطيكه ، لست من أهله ، أنت لا تتطهر ، وهذا لا يمسه إلا المطهرون . قال : فلم أزل بها حتى أعطتنيه ، فإذا فيه: بسم الله الرحمن الرحيم ، فلما مررت بالرحمن الرحيم ذعرت ورميت الصحيفة من يدى ، ثم تناولتها ثانية فإذا فيها (سبح لله ما فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم) قال : فكلما مررت باسم من أسماء الله عزَّ وجلَّ ذعرت ، ثم ترجع إلى نفسى حتى بلغت (آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه)

حتى بلغت إلى قوله : (إن كنتم مؤمنين) قال : فقلت أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله. فخرج القوم يكبرون استبشاراً بما سمعوه مني . ثم قالوا : يا ابن الخطاب أبشر . فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا يوم الإثنين : « فقال اللهم أعز الإسلام بأحد الرجلين: إما عمرو بن هشام وإما عمر بن الخطاب. وإنا نرجوا ان تكون دعوة رسول الله لك فأبشر . ثم ذكر رضى الله عنه كيفية ذهابه إلى رسول الله وإسلامه :

وكان سعيد بن زيد رضى الله عنه بطلا عظيما ، شهد واقعة اليرموك وحصار دمشق . وقد عينه أبو عبيدة والياً على دمشق بعد فتحها ، ثم ذهب أبو عبيدة مع جنده للفتح . فتململ هذا البطل (سعيد بن زيد) من عدم مباشرته الحرب فكتب إلى أبي عبيدة يقول :

سلام عليك ، فإني أحمد الله إليك الذى لا إله إلا هو ، أما بعد فإني ما كنت لأوثرك وأصحابك بالجهاد على نفسي ، وعلى ما يغنيني من مرضاة ربي ، فإذا أتاك كتابي هذا فابعث إلى عملك من هو أرغب إليه مني ، فإني قادم عليك وشيكا إن شاء الله تعالى ، والسلام عليك .

فلما بلغ الكتاب أبا عبيدة قال ليتركنها ، ثم ولى دمشق يزيد بن أبي سفيان . وتوفى سعيد بن زيد بالمدينة ، وصلى عليه عبد الله بن عمر فرضى الله عنهما .



حمزة بن عبد المطلب

حمزة بن عبد المطلب بن هاشم عم الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأخوه فى الرضاعة . وأمه هالة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة ، وهى ابنة عم آمنة بنت وهب أم النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو شقيق صفية بنت عبد المطلب ، وكان أسن من رسول الله بسنتين . ولد فى سنة ٥٦٩ م ، واستشهد فى غزوة أحد فى شوال سنة ٣ هـ ، وكان عمره سبعا وخمسين سنة .

كان حمزة رضى الله عنه أعز رجل فى قريش . وأشدها شكيمة ، وكان يلقب بأسد الرحمن ، وأسد الرسول . وأسلم فى السنة الثانية من مبعث الرسول صلى الله عليه وسلم . وقيل أول لواء عقده رسول الله عقده لحمزة حين بعثه فى سرية إلى سيف البحر من أرض جهينة . وذكر ابن الأثير أن إسلام حمزة قبل إسلام عمر بن الخطاب قال : إن أبا جهل مر بالنبي وهو جالس عند الصفا فشتمه ثم انصرف ، فجلس فى نادى قريش عند الكعبة ، فجاء حمزة من قنصه متوشحاً قوسه ، وكان إذا رجع من القنص لم يصل إلى أهله حتى يطوف بالكعبة ، فقابلته وهو عائد من قنصه يوماً مولاة لعبد الله بن جدعان وكان متوشحاً قوسه ، فقالت له : لو رأيت ما لقى ابن أخيك محمد من أبى الحكم ، (وهو أبو جهل المخزومى خال عمر بن الخطاب) ، فإنه أذاه وشتمه ، ولم يكلمه محمد ، بل رجع إلى بيته . فغضب حمزة غضباً شديداً ، ودخل المسجد وهو مضمر الإيقاع بأبى جهل ، فلما رأى أبا جهل مع القوم أقبل عليه وضرب رأسه بقوسه فشجه شجة كبيرة ، وقال أتشتمه وأنا على

دينه ، فاردد على إن استطعت . فقام رجال من آل أبى جهل من بنى مخزوم لنصرته ، فقال : دعوا حمزة ، فإنى سببت ابن أخيه سباً قبيحاً . ولما علمت قريش بإسلام حمزة تيقنت أنه سيمنع النبى ، فكفوا عن بعض ما كانوا ينالون منه احتراما لسطوة حمزة . ثم أسلم بعده عمر بن الخطاب ، وكان حمزة هو الذى أذن بدخول عمر على النبى حين كان قادما ليسلم ، وقد ظنوا أنه يريد قتل النبى كما كان قد أظهر ،فقال حمزة دعوه يدخل ، فإن كان يريد خيراً بذلناه له ، أو شراً قتلناه بسيفه . وفى غزوة بنى قينقاع ، كان اللواء مع حمزة ، وشهد حمزة بدرا وقاتل فيها بسيفين . وفى غزوة أحد بينما كان حمزة يقاتل المشركين ، ما لقى أحداً يمر به إلا قتله حتى قتل من المشركين واحداً وثلاثين رجلا ، ولقد رآه النبى وهو يقاتل ، فقال : « قاتل أى أسد » . وبينما هو يهدد المشركين بسيفه إذ عثرت قدماه ، فوقع على ظهره وانكشف عنه الدرع ، فطعنه بحربته وحشى الحبشى مولى جبير ابن مطعم فى خاصرته فقتله ، فأقبلت بعض نساء المشركين يبحثن عن القتلى ، وفى مقدمتهن هند بنت عتبة (أم معاوية بن أبى سفيان) ، فلما رأت جثة حمزة ، وكانت شديدة الحقد على المسلمين ، لأن حمزة قتل أباها عتبة ، وابن عمه عبيدة قتل شيبة عمها . وعلى بن طالب كرم الله وجهه خذل أبا سفيان زوجها فى كل حملاته على المسلمين والإسلام ، وقتل ابنها حنظلة أخا معاوية ابن أبى سفيان ، وقتل أخاها الوليد بن عتبة ، وكانوا من المشركين (لعنهم الله) ، فمثلت هند بجثة حمزة ، فبقرت بطنه وقطعت أذنيه ،وكانت تريد أن تبتلع كبده غير أنه سقط من فمها ، ولما وقف عليه النبى صلى الله عليه وسلم ، وقد مثل به ، لم يكن منظر أوجع لقلبه منه، فقال : « رحمك الله أى عمى ،فقد كنت وصولا للرحم ، فعولا للخيرات ، فلئن اظفرنى الله بالقوم لأمثلن بسبعين رجلا منهم » ، فنزلت الآية الكريمة ، (وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به

ولئن صبرتم لهو خير للصابرين. واصبر وما صبرك إلا بالله) ، فصبر النبي ونهى عن المثلة . ولما أقبلت صفية أخت حمزة لتعلم الخبر ، قال الرسول لابنها الزبير : « ردها لئلا ترى أخاها حمزة » فلقيها الزبير فأعلمها بأمر النبي، فقالت : بلغني أنه مثل بأخي ،وذلك في سبيل الله قليل،فما أرضانا بما كان من ذلك ! لأحتسبن وأصبرن. فأمر النبي بأن تراه،فأتت وصلت عليه ، ثم أمر الرسول فدفن ، وكان قبل ذلك قد قال لولا أن تحزن صفية .وأن تكون سنة بعدي، لتركته حتى يحشر من بطون السباع ،وحواصل الطير . وقد وضعه النبي صلى الله عليه وسلم أمامه ، وهم يحضرون له القتلى ليصلى عليهم ، ولم يؤت بقتيل إلا صلى عليه وعلى حمزة معه، ثم أمر بدفنه. ونزل في قبره علي وأبو بكر وعمر والزبير . وجلس الرسول على حفرته وهو حزين عليه، وقال ، حمزة سيد الشهداء ؛ أو خير الشهداء . ولما عاد النبي صلى الله عليه وسلم . سمع النوح على قتلى الأنصار،فقال: ولكن حمزة لا بواكي له.فسمع الأنصار ، فأمروا النساء أن يندبن حمزة قبل قتلاهم ففعلن ذلك . وقد رثاه عبد الله بن رواحة بقصيدة طويلة منها .

بكت عيني وحقّ لها بكاها   وما يغني البكاء ولا العويل
على أسد الإله غداة قالوا   لحمزة ذاكم الرجل القتيل
أصيب المسلمون به جميعاً   هناك وقد أصيب به الرسول

إلى أن قال :

نسيتم ضربنا بقليب بدر   غداة أتاكم الموت العجيل
غداة ثوى أبو جهل صريعاً   عليه الطير حائمة تجول
وعتبة وأبنه خروا جميعاً   وشيبة عضه السيف الصقيل
ألا يا هند لا تبدى شماتاً   لحمزة إن عزكم ذليل

وقبر حمزة عند أحد رضى الله تعالى عنه .

العباس بن عبد المطلب

العباس بن عبد المطلب . بن هاشم ، بن عبد مناف عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولد قبل ميلاد الرسول بثلاث سنين (سنة ٥٦٨ م) ، وتوفى بالمدينة يوم الجمعة ١٢ رجب سنة ٣٢ هـ ٦٥٣ م ، وعمره ثمان وثمانون سنة . وكان رضى الله عنه طويلا جميلا أبيض ، وكان وصولا لأرحام قريش ، ذا رأى سديد . وقال النبي صلى الله عليه وسلم له : هذا العباس بن عبد المطلب أجود قريش كفاً وأوصلها . وقال : هذا بقية آبائى . وأمه نتيلة بنت خباب ، وهى أول عربية كست البيت الحرام بالحرير والديباج . وكان العباس فى الجاهلية رئيساً فى قريش ، كانت له السقاية ، وإليه كانت أيضاً عمارة البيت الحرام (أى رياسة الاجتماعات به) ، وكان لايدع أحداً يسب فى البيت الحرام ولا يقول فيه هجراً ، فقد كانوا لا يستطيعون عن ذلك امتناعا . فاجتمع ملأمن قريش وتعاقدوا على منعهم ،فكانو أعواناً له على ذلك . وشهد مع رسـول الله بيعة العقبة ليشدد له العقـد ، وكان حينئذ مشركا ، وكان من بمكة من المسلمين يثقون به ، وكان لهم عوناً على إسلامهم. ولما أراد الهجرة قال له النبي صلى الله عليه وسلم : « مقامك بمكة خير . وسيختم الله تعالى بك الهجرة كما ختم بى النبوة » وخرج مع المشركين يوم بدر مكرهاً لذلك . قال النبي صلى الله عليه وسلم : « من لقى العباس فلا يقتله ، فإنه أخرج كرهاً » ، وأسر يوم بدر وشد وثاقه ، فسهر النبي صلى الله عليه وسلم تلك الليلة ولم ينم ، فقال له بعض أصحابه : ما يسهرك يانبي الله ؟ فقال : « أسهر

لأنين العباس » .

فقام رجل من القوم فأرخى وثاقه . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مالى لا أسمع أنين العباس؟» . فقال الرجل : « أنا أرخيت من وثاقه » . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فافعل ذلك بالأسرى كلهم . وفدى يوم بدر نفسه وابنى أخيه عقيل بن أبى طالب . ونوفل بن الحارث وأسلم عقيب ذلك ، ثم هاجر إلى النبى وشهد معه فتح مكة ، وانقطعت الهجرة

وشهد حنيناً . وثبت مع رسول الله لما انهزم الناس بحنين، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعظمه ويكرمه ويحبه .

واستسقى عمر بن الخطاب بالعباس فى عام الرمادة . إذ جاء عمر فوجد العباس قاعداً عند المنبر ، فأخذه بيده وقال : « قم فاصعد ياعم رسول الله، فإنك أحق » . فقال العباس : « والله لا أفعله ، أصعد أنت وادع ونؤمن »

قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه إن عمر بن الخطاب خرج يستسقى بالعباس فقال : « اللهم إنا نتقرب إليك بعم نبيك وبقية آبائه . فإنك قلت وقولك الحق (وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين فى المدينة . . . الآية) فحفظتهما لصلاح أبيهما: فاحفظ اللهم نبيك فى عمه فقد أدلينا به إليك مستشفعين ومستغفرين » ثم أقبل على الناس فقال: (استغفروا ربكم إنه كان غفاراً ، يرسل السماء عليكم مدراراً) قال ابن مسعود : « رأيت العباس يومئذ وقد طال عمره وعيناه تنضحان ، وسبابته تجول على صدره وهو يقول : اللهم أنت الراعى فلا تهمل الضالة ، ولا تدع الكثير بدار مضيعة ، فقد ضرع الصغير ، ورق الكبير ، وارتفعت الشكوى ، وأنت تعلم السر وأخفى ، اللهم أغثهم بغياثك من قبل أن يقنطوا فيهلكوا ، إنه لا ييأس من رحمة الله إلا القوم الكافرون » .

فما أتم دعاءه حتى تجمعت السحب، وهدرت السماء ودرت، ونزل المطر الغزير، فطفق الناس يلوذون بالعباس ويقبلونه ويقولون: «هنيئاً لك ساقى الحرمين» وأنشد حسان بن ثابت:

سأل الإمام وقد تتابع جدبنا فسقى الغمام بغرة العباس
عم النبي وصنو والده الذى ورث النبي بذاك دون الناس
أحيا الإله به البلاد فأصبحت مخضرة الأجداب بعد اليأس

وكان له من الولد عشرة ذكور سوى الاناث. أما أولاده فهم: الفضل وعبد الله، وعبيد الله، وقثم، وعبد الرحمن، ومعبد، والحارث، وكثير وعون، وتمام. وأعتق العباس فى حياته سبعين عبداً.

ومن عظيم أدبه رضى الله عنه أنه سئل يوماً: «من منكما أكبر أنت أم النبي صلى الله عليه وسلم؟» فقال هو أكبر، وأنا أسن منه، «فرضى الله تعالى عنه.



جعفر بن أبي طالب

جعفر بن أبى طالب بن عبد المطلب بن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولد قبل الهجرة بثلاث وثلاثين سنة (٥٠٩ م) ومات شهيداً فى موقعة مؤتة سنة ٨ هـ وعمره واحد وأربعون عاماً . وكان أشبه الناس خلقاً وخلقاً برسول الله صلى الله عليه وسلم ، أسلم بعد واحد وثلاثين إنساناً ، وهاجر إلى الحبشة ، ومن الأمور التى عالجها هناك إنقاذه جميع إخوانه المهاجرين بالحبشة من الفتنة التى أثارها عليهم المشركون من قريش ، إذ بعثوا عمرو بن العاص وعبد الله بن أبى أمية ومعهما هدية إلى النجاشى وإلى أعيان الحبشة ، فسارا حتى وصلا إلى الحبشة ، فحملا إلى النجاشى هديتهم ، وإلى أصحابه هداياهم ، وقالا لهم إن ناساً من سفهائنا فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا فى دين الملك ، وجاءوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنتم ، وقد أرسلنا أشراف قومهم لنشير على النجاشى أن يرسلهم معنا من غير أن يكلمهم. وخافا أن يسمع النجاشى كلام المسلمين فلا يسلمهم ، فأشار أصحاب النجاشى عليه بتسليم المسلمين ، فقال لا والله لا أسلم قوماً جاورونى ونزلوا بلادى واختارونى على سواى حتى أدعوهم وأسألهم عما يقول هذان ، فإن كانا صادقين سلمتهم إليهما ، وإن كانوا على غير ما يذكر هذان منعتهم وأحسنت جوارهم . ثم أرسل النجاشى إلى أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فحضروا وقد أجمعوا على صدقه فيما ساءه وسره ، وكان المتكلم عنهم جعفر بن أبى طالب

فقال لهم النجاشي : ما هذا الدين الذى فارقتم فيه قومكم، ولم تدخلوا فى دينى ولا دين أحد من الملل ؟ فقال جعفر : « أيها الملك ، كنا أهل جاهلية ، نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونقطع الأرحام ، ونسيء الجوار ، ويأكل القوى منا الضعيف ، حتى بعث الله إلينا رسولا منا ، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه ، دعانا إلى توحيد الله ، وأن لا نشرك به شيئاً ، ونقلع عما كنا نعبد من الأصنام ، وأمرنا بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن قول الزور ، وأكل مال اليتيم ، وأمرنا بالصلاة والصيام ، (وعدد أمور الإسلام) : ثم قال :فآمنا به وصدقناه ، وحرمنا ما حرم علينا ، وحللنا ما أحل لنا ، فتعدى علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان . فلما ظلمونا خرجنا إلى بلادك ، واخترناك على من سواك . فقال النجاشي : هل معك مما جاء به عن الله شيء ؟ فقال نعم ، فقرأ عليه بعضاً من سورة مريم ، فبكى النجاشي حتى اخضلت لحيته ، وبكى أساقفته ، ثم قال : والله إن هذا والذى جاء به موسى وعيسى ليخرج من مشكاة واحدة ، والله لا أسلمهم إليكما أبداً . فلما خرجا من عنده قال عمرو بن العاص : والله لآتينه غداً بما يبيد خضراءهم ، فقال له عبد الله بن أبى أمية وكان أتقى الرجلين : لا تفعل ، فإن لهم أرحاماً وإن كانوا قد خالفوا ، فلما كان الغد قال عمرو بن العاص للنجاشى ، إن هؤلاء يقولون فى عيسى بن مريم قولا عظيما . فأرسل إليهم فسلهم عما يقولون فيه ، فأرسل إليهم ، قالت أم سلمة فما نزل بنا مثلها ، واجتمع المسلمون وقال بعضهم لبعض : ما تقولون فى عيسى إذا سألكم عنه ؟ فقال جعفر بن أبى طالب ، نقول فيه ما قال الله عزّ وجلّ : وما جاء به نبينا عليه السلام كائناً فى ذلك ما هو كائن ، فلما دخلوا عليه قال لهم ما تقولون فى عيسى بن مريم ؟ فقال جعفر ، نقول إنه عبد الله ورسوله وروحه

وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول . فقال النجاشي للمسلمين : إذهبوا فأنتم آمنون بأرضى ، ما أحب أن لى جبلا من ذهب وأنى آذيت رجلا منكم . فرد هدية قريش . وروى عبد الله بن جعفر قال لقدكاد عمرو ابن العاص لجعفر بن أبى طالب وهو بأرض الحبشة مكايد كثيرة أنقذه الله منها بلطفه حتى أن عمرو بن العاص قد وضع سما فى صحفة طعام كانت مهيأة لأكل جعفر بن أبى طالب ، فاقتربت منها هرة فأكلت ما فى الصحفة فماتت لوقتها ، فتبين لجعفر كيد عمرو بن العاص ، ثم قال عبد الله بن جعفر : ما زال ابن الجزار (عمرو بن العاص) عدواً لنا أهل البيت .

ثم هاجر جعفر رضى الله عنه إلى المدينة . ولما قدم من الحبشة حين فتح خيبر تلقاه رسول الله صلى الله عليه وسلم واعتنقه وقبله بين عينيه ، « وقال ما أدرى بأيها أنا أشد فرحاً : بقدوم جعفر أم بفتح خيبر . ثم أرسله رسول الله لفتح مؤتة » فى سنة ثمان للهجرة ، وكان أمير الجيش زيد ابن حارثة فقتل زيد رضى الله عنه ، فأخذ جعفر الراية منه ، ولما قاتل جعفر قطعت يداه والراية معه لم يلقها ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أبدله الله جناحين يطير بهما فى الجنة ، ولما قتل وجد به بضعة وسبعون جرحاً من ضربة سيف أو من طعنة رمح ، كلها فيما أقبل من بدنه . وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أتاه نعى جعفر دخل على امرأته أسماء بنت عميس فعزاها فيه . ودخلت فاطمة وهى تبكى وتقول واعماه ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : على مثل جعفر فلتبك البواكى . فرضى الله تعالى عنه .



الحسن بن علي

الحسن بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب ، سبط النبي صلى الله عليه وسلم ، وأمه فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سيدة نساء العالمين ، وهو سيد شباب أهل الجنة ، وشبيه النبي صلى الله عليه وسلم .

ولد الحسن رضى الله عنه فى النصف الأول من شهر رمضان سنة ثلاث من الهجرة ، وتوفى رحمه الله بالمدينة ، سنة ٤٩ هجرية ، وعمره ٤٦ سنة ، وكان رضى الله عنه أبيض مشرباً بحمرة ، أدعج العينين .

قال على بن أبي طالب : لما ولد الحسن جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « أرونى ابنى ! ما سميتوه ؟ » . قلت : « سميته حرباً ! » . قال : « بل هو حسن » .

وقد حج الحسن عشرين مرة ماشياً من المدينة إلى مكة ، وقال: «أستحى من الله أن ألقاه ولم أمش إلى بيته» . وقاسم الله ماله ثلاث مرات . قيل كان النبي يصلى ، وفيما هو ساجد أتى الحسن وهو طفل فجلس على ظهره ، فبعد أن أتم النبي السجود رفعه رفعاً رقيقاً ، فقيل له : « ما رأيناك تصنع بأحد ما تصنعه بهذا الصبي» . فقال : « إن هذا ريحانتى ، وإن هذا ابنى ، وعسى الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين » .

بويع الحسن بالخلافة يوم استشهد أبوه علىّ ، وأشار الناس عليه أن يسير إلى الشام ويأخذها من معاوية ، وسار معاوية من الشام يقصده بجيوشه ،

فلما التقى الجمعان علم الحسن أن لن تغلب إحدى الفئتين حتى يذهب أكثر الأخرى ، فرأى المصلحة فى جمع الكلمة وترك القتال ، فكتب إلى معاوية يخبره أنه يترك الأمر اليه بشرط أن يكون هو ولى العهد بعده ، وأن يمكنه من بيت المال ليأخذ حاجته منه ، وأن لا يطالب أحداً من أهل المدينة والحجاز والعراق بشىء مما كان فى أيام أبيه . ففرح معاوية بذلك ، وقام بشروطه ، وكان صلحهما فى بيت المقدس سنة ٤١ للهجرة . وكانت خلافته ستة أشهر واثنى عشر يوما . ولما بايع الحسن معاوية ، خطب الناس قبل دخول معاوية الكوفة فقال : « أيها الناس ، إنما نحن أمراؤكم ، وضيفانكم ، ونحن أهل بيت نبيكم الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا » . وكرر ذلك حتى ما بقى إلا من بكى حتى سمع نشيجه .

ولما دخل معاوية الكوفة وبايعه الناس ، قال عمرو بن العاص لمعاوية : « لتأمر الحسن ليخطب » فأبى . فقال عمرو : « ولكننى أريد ذلك ليبدو عيه فإنه لا يدرى هذه الأمور » . فقال له معاوية : « قم ياحسن فكلم الناس فيما جرى بيننا » . فقام الحسن فى أمر لم يرو فيه ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « أما بعد أيها الناس : فإن الله هداكم بأولنا ، وحقن دماءكم بآخرنا ، ألا إن أكيس الكيس التقى ، وإن أعجز العجز الفجور ، وإن هذا الأمر الذى اختلفت أنا ومعاوية فيه ، إما أن يكون أحق به منى ، وإما أن يكون حق تركته لله عزّ وجلّ ولإصلاح أمة محمد صلى الله عليه وسلم وحقن دمائكم » .

ثم التفت إلى معاوية وقال: (وإن أدرى لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين) فأمره معاوية بالنزول وقال لعمرو : « ما أردتَ إلا هذا ؟ » .

وقد حرض معاوية بن أبى سفيان جعدة بنت الأشعث بن قيس الكندى إحدى زوجات الحسن بأن تسمه ، ووعدها أن يزوجها ابنه يزيد ، فسمت

الحسن رضى الله تعالى عنه ، فبقى مريضاً أربعين يوماً . وسأله أخوه الحسين من تتهم يا أخى حتى نقتله ؟ ، فقال إن يكن الذى أظنه فالله أشد بأساً وأشد تنكيلا ؛ وإن لم يكن هو فما أحب أن يقتل بى برىء . ولما مات رضى الله عنه طلبت جعدة من معاوية أن يزوجها ابنه يزيد — كما وعدها — فقال لها قتلت ابن بنت رسول الله فأخشى أن تقتلى ابنى . وأعطاها بعضاً من المال فانصرفت .

وقيل إن على بن أبى طالب سأل الحسن يوماً قائلا يابنى ما السداد ؟ فقال دفع المنكر بالمعروف . قال فما الشرف ؟ قال اصطناع العشيرة والاحتمال للجريرة . قال فما السماح ؟ قال البذل فى العسر واليسر . قال فما اللؤم ؟ قال إحراز المرء ماله وبذل عرضه . قال فما الجبن ؟ قال الجرأة على الصديق والنكول عن العدو . قال فما الغنى ؟ قال رضى النفس بما قسم الله لها ، وإن قل . قال فما الحلم ؟ قال كظم الغيظ وملك النفس . قال فما المنعة ؟ قال شدة البأس ومنازعة أعز الناس . قال فما الذل ؟ قال الفزع عند الصدمة . قال فما الكلفة ؟ قال كلامك فيما لايعنيك . قال فما المجد ؟ قال أن تعطى فى الغرم وتعفو فى الجرم . قال فما السؤدد ؟ قال إتيان الجميل وترك القبيح . قال فما السفه ؟ قال اتباع الدناءة ومحبة الغواة . قال فما الغفلة ؟ قال ترك المسجد ، وطاعة المفسد ،

وكان رضى الله عنه كريماً . ومما يحكى عن كرمه أنه سمع رجلا يسأل الله عشرة آلاف درهم ، فانصرف الحسن إلى منزله وبعث بها إليه .

وخلف الحسن رضى الله عنه عدة أولاد منهم الحسن المثنى ، وكان جليلا فاضلا ورعاً زاهداً ، توفى سنة ٩٧ هـ ، فرضى الله تعالى عنهما .

الحسين بن على

هو الحسين بن على بن أبى طالب ، وأمه فاطمة الزهراء بنت الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولد بالمدينة فى شعبان فى السنة الرابعة للهجرة ، وقتل رضى الله عنه سنة ٦١ وعمره ٥٧ سنة . وكان أشبه الناس بالنبى ، قال علىّ كرّمَ الله وجهه لما ولد الحسن سميته حرباً فجاء النبى صلى الله عليه وسلم وقال أرونى ابنى ما سميتموه ؟ قلنا حرباً . قال بل هو حسن : فلما ولد الحسين سميته حرباً ، قال بل هو حسين . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « حسين منى وأنا من حسين ، أحب الله من أحب حسيناً . حسين سبط من الأسباط » . وقال أبو بريدة : كان النبى صلى الله عليه وسلم يخطبنا إذ جاء الحسن والحسين عليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران ، فنزل رسول الله من المنبر فحملهما ووضعهما بين يديه . ثم قال : « صدق الله ، إنما أموالكم وأولادكم فتنة ! ! نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثى ورفعتهما » .

وكان الحسين فاضلا كثير الصوم والحج والصدقة ، قيل حج خمسا وعشرين مرة ماشياً . ولما مات معاوية بن أبى سفيان سنة ٦٠ هـ . كان يزيد ابن معاوية قد أخذ الخلافة بعد أبيه وأرسل إلى الوليد بن عتبة بالمدينة أن يأخذ له البيعة بالخلافة على أهلها ، فأبى الحسين وعبد الله بن الزبير أن يبايعاه بالخلافة ، وسارا إلى مكة ، وكان معاوية بن أبى سفيان قد أخذ البيعة لابنه يزيد بولاية العهد من أكثر الأمصار الإسلامية بالقوة والإرهاب إلا المدينة

فإن أهلها أبوا البيعة بولاية العهد ليزيد . (كيف لا ؟ وأهلهـا أهل البيت النبوى ، وكبار أصحـاب الرسول) حتى قدم المدينة معاوية وجمع عبد الله بن عباس ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن الزبير ، وعبد الرحمن بن أبى بكر ، والحسين رضى الله عنه ، وجمع الناس بالمسجد ، وخطبهم خطبة طويلة طلب منهم أن يبايعوا يزيد ابنه بولاية العهد ، فقام الحسين وخطب خطبة منها ، بعد أن حمد الله وصلى على الرسول قال :

« أما بعد : يا معاوية لن يؤدى القائل وإن أطنب فى صفة الرسول صلى الله عليه وسلم من جميع جزءاً . يامعاوية فضح الصبح فحمة الدجى ، وبهرت الشمس أنوار السرج . ولقد فضلتَ حتى أفرطت ، واستأثرت حتى أجحفت ، ومنعت حتى بخلت ، وجرت حتى جاوزتَ ، وفهمتُ ما ذكرته عن يزيد من اكتماله وسياسته لأمة محمد، تريد أن توهم الناس فى يزيد كأنك تصف محجوباً، أو تنعت غائبا ، وتخبر عما كان مما احتويته بعلم خاص ، وقد دل يزيد من نفسه على موقع رأيه ، فخذ بيزيد ما أخذ به من استغوائه الكلاب المهارشة عند التحارش، والحمام السبق لأترابهن، والقينات ذوات المعازف وضروب الملاهى ، تجده ناصراً ، ودع عنك ما تحـاول فما أغناك أن تلقى الله بوزر هذا الخلق بأكثر مما أنت لاقيه ، فوالله ما برحت تقدح باطلا فى جور . وحنقـاً فى ظلم ، حتى ملأت الأسقية وما بينك وبين الموت إلا غمضة ، فتقدم على عمل محفوظ فى يوم مشهود ولات حين مناص » ، وقال عبد الله ابن عمر لمعاوية بعد أن حمد الله وأثنى عليه : « أما بعد : يامعاوية لقد كانت قبلك خلفاء وكان لهم بنون ليس ابنك بخير من أبنائهم ، فلم يروا فى ابنائهم ما رأيت فى ابنك فلم يحابوا فى هذا الأمر أحداً » . وقال له عبد الرحمن بن أبى بكر : « إنك والله لوددنا أن نكلك إلى الله فيما جسرت عليه من أمر يزيد، والذى نفسى بيده لتجعلنها شورى أو لأعيدها جذعة) .

ولما مات معاوية اجتمع أهل الكوفة وتشاوروا وكتبوا إلى الحسين كتابا فى المسير إليهم طمعا فى مبايعته بالخلافة ، فوجه إليهم مسلم بن عقيل وقال إنى سائر على أثره ، فاجتمعوا على مسلم وأخذ عليهم البيعة بالخلافة للحسين ، فبلغ ذلك والى الكوفة النعمان بن بشير ، فكتب إلى يزيد فى ذلك ، فبعث يزيد عبيد الله بن زياد فدخلها ليلا من جهة البادية متنكرا ليوهم أنه الحسين ، فيعلم ما يقول الناس ، فصار كلما اجتاز بجماعة قاموا له وهم يظنونه الحسين ويقولون مرحباً يابن بنت رسول الله ، فانكشفت له أحوالهم ، وقصد دار الأمارة . ولما أصبح الصباح أعمل السيف فى أهل الكوفة فقتل منهم جماعة ثم تحيل على مسلم بن عقيل وقتله . وكان الحسين قد تجهز من مكة وخرج بأهله وولده وخاصته وحشمه ، فخرج يوم التروية ثامن ذى الحجة سنة ٦٠هـ ومعه اثنان وثمانون رجلا . فلما قرب من الكوفه لقيه الحر بن يزيد الرياحى ومعه ألف فارس من أصحاب ابن زياد ، وقال له . أرسلنى عبيد الله عيناً عليك ، وقال إن ظفرت به لا تفارقه أو تجىء به ، وأنا كاره أن يبتلينى الله بشىء من أمرك ، فخذ غير هذا الطريق واذهب إلى حيث شئت ، وأنا أقول لابن زياد إنك خالفتنى فى الطريق ، وأنشدك الله فى نفسك وفيمن معك . فسلك الحسين طريقاً غيرها ، فلما أصبحوا لقوا الحر بن يزيد ، فقال له الحسين : ما جاء بك ؟ قال سعى بى إلى ابن زياد أنى أطلقتك بعد أن ظفرت بك ، فكتب إلى أن أدركك ولا أفارقك حتى تأتى الجيوش ، فلم يعد لى سبيل إلى مفارقتك . فنزل الحسين فى تلك الأرض وتعرف بكربلاء ، وكتب الحر إلى ابن زياد يخبره ، فكتب ابن زياد إلى الحسين يقول : « إن يزيد بن معاوية كتب إلى ألا تغمض جفنك ، إما أن يرجع الحسين إلى حكمى أو تقتله والسلام) .

فلما قرأ الحسين الكتاب ألقاه ، وقال ليس له عندى جواب ، وأتى

الرسول إلى ابن زياد فأخبره بذلك ، فجهز الجند وأرسلها مع عمر بن سعد ، فحال بين الماء والحسين وأصحابه ، وأحدقوا بالحسين من كل جانب ، ووضعوا السيوف فى أصحابه إلى أن قتلوا منهم أكثر من خمسين ، فخرج الحر بن يزيد من المعسكر فأتى الحسين وقال : إنى مقاتل معك حتى أقتل ، أرجو بذلك شفاعة جدك ، فقاتل حتى قتل . فلما قتل جميع أصحاب الحسين حمل الحسين على العسكر ، فقتل كثيراً منهم ، ولكنهم أحدقوا به حتى طعنوه ٣٣ طعنة ، فمات رضى الله عنه . والذى قتله اللعين سنان بن أنس النخعى ، ولما أحضر رأسه ورءوس أصحابه إلى ابن زياد ، جعل ينكت بقضيب بين شفتى الحسين ، فلما رآه زيد بن أرقم قال له ارفع هذا القضيب ، فوالله الذى لا إله غيره ، لقد رأيت شفتى رسول الله على هاتين الشفتين يقبلهما ، وبكى ، ثم قال : أنتم يامعشر العرب عبيد اليوم ! قتلتم الحسين بن فاطمة .

وقال على بن الحسين رضى الله عنه بعد قتل أبيه وردنا على يزيد ونحن اثنا عشر غلاماً مغللين فى الحديد . فقال يزيد : ماعلمت بخروج أبى عبد الله حين خرج ، ولا بقتله حين قتل ، (فكان ذلك من يزيد خداعاً وكذباً) . فقال على بن الحسين : قلت (وما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم إلا فى كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير ، لكى لا تأسوا على مافاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لايحب كل مختال فخور) .

قال فغضب يزيد وجعل يعبث بلحيته وقال (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير) ، يا أهل الشام ، ماترون فى هؤلاء ؟ فقال النعمان بن بشير : اصنع بهم ما كان يصنع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لو رآهم بهذه الحال . قالت فاطمة بنت الحسين رضى الله عنها (يا يزيد بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم) قال : فبكى يزيد حتى كادت نفسه تفيض ، وبكى أهل الشام حتى علت أصواتهم ، فأمر يزيد برجوعهم إلى المدينة بعد أن منحهم الجوائز الكبيرة من الأموال والكسوة .

وقال ابن عباس يوماً وهو فى المدينة رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرى النائم وهو قائم أشعث أغبر بيده قارورة فيها دم، فقلت بأبى أنت وأمى يارسول الله ماهذا الدم ؟ قال هذا دم الحسين لم أزل ألتقطه منذ اليوم، فوجد الحسين قد قتل فى ذلك اليوم. فما أكبر خطيئة معاوية فى حمله الناس على مبايعة ابنه يزيد بولاية العهد ، رضى الله تعالى عن الحسين وعن جميع أهل بيت النبى صلى الله عليه وسلم .



عبد الله بن العباس

عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمه لبابة الكبرى بنت الحارث بن حزن الهلالية ، وهو ابن خالة خالد ابن الوليد ، وكان يسمى البحر لسعة علمه ، ويسمى حبر الأمة . ولد قبل الهجرة بثلاث سنين ، وتوفى بالطائف سنة ٦٨ هجرية ، وعمره ٧١ سنة .
كان رضى الله تعالى عنه. طويلا جسيما جميلا أبيض اللون ، وقد ضمه رسول الله وقال : اللهم علمه الحكمة . قال عبيد الله بن عتبة ، كان عبد الله بن عباس قد فات الناس بعلم ما سبقه ، وفقه فيما احتيج إليه من رأيه ، وحلم ونسب وتأويل ، وما رأيت أحداً كان أعلم بما سبقه من حديث الرسول منه ، ولا بقضاء أبى بكر وعمر وعثمان منه ، ولا أفقه فى رأى منه ، ولا أعلم بشعر ولا عربية ولا بتفسير القرآن ، ولا بحساب ، ولا بفريضة منه ، ولا أثقب رأياً فيما احتيج إليه منه . ولقد كان يجلس يوما ولا يذكر فيه إلا الفقه ، ويوماً التأويل ويوما المغازى ، ويوماً الشعر ، ويوماً أيام العرب ، ولا رأيت عالما قط جلس إليه إلا خضع له . وما رأيت سائلا سأله الا وجد عنده علماً . وقال ليث بن أبى سليم ، قلت لطاوس ، لزمتَ هذا الغلام (ابن العباس) ، وتركت الأكابر من أصحاب الرسول . قال : إنى رأيت سبعين رجلا من الصحابة إذا تدارءوا فى أمر صاروا إلى قول ابن العباس .
واستعمله على بن أبى طالب على البصرة فبقى عليها أميراً . ثم فارقها قبل أن يقتل على بن أبى طالب ، وعاد إلى الحجاز ، وشهد مع على صفين ، وكان أحد الأمراء فيها . وكان ابن عباس أحد أمراء الجند الذى أرسله الخليفة

عثمان مدداً لجيش مصر، والذى فتح أفريقية بقيادة بن أبى السرح فكان ابن عباس رضى الله تعالى عنه بطلا فى الحرب، كما كان حبر الأمة فى علوم الدين. قال ابن عباس: كنت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: «إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشىء لم ينفعوك إلا بشىء كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك إلا بشىء قد كتبه الله عليك. رفعت الأقـــلام وجفت الصحف». ولما وقعت الفتنة بين عبدالله بن الزبير، وعبد الملك بن مروان، ارتحل عبدالله بن عباس، ومحمد بن الحنفية بأولادهما ونسائهما حتى نزلوا مكة، فبعث عبد الله بن الزبير اليهما يبايعان فأبيا، فألح عليهما إلحاحا شديداً، فقال لهما فيما يقول: لتبايعن أو لأحرقنكم بالنار. فبعثا أبا الطفيل إلى شيعتهم بالكوفة وقالا: إنا لا نأمن هذا الرجل: فما شعر أهل مكة إلا وقد حضر أربعة آلاف من الكوفة لنصرة ابن عباس وابن الحنفية، ودخلوا مكة وكبروا تكبيرة سمعها أهل مكة، فهرب ابن الزبير حتى دخل دار الندوة، وقال أنا عائذ بالبيت، ثم قال رجال الكوفة لابن عباس ذرنا نرح الناس منه (أى ابن الزبير)، فقال لا! هذا بلد حرام، ثم خرج بهم حتى نزل الطائف، وكان ابن عباس قد عمى فى آخر حياته فقال:

إن يأخذ الله من عينى نورهما ... فنى لسانى وقلبى منهما نور
قلبى ذكى وعقلى غير ذى دخَل ... وفى فمى صارم كالسيف مأثور

ومن لطيف ما يروى عن عبد الله بن عباس، أن عبد الله بن الزبير تزوج أم عمرو ابنة منظور بن زبان الفزارية، فلما دخل بها قال لها: أتدرين من معك فى حجلتك؟ قالت. نعم: عبد الله بن الزبير بن العوام. قال ليس غير هذا؟، قالت فماذا تريد؟. قال معك من أصبح فى قريش بمنزلة الرأس من الجسد لا بمنزلة العينين من الرأس. قالت أما والله لو أن بعض بنى

عبد مناف حضرك لقال لك خلاف قولك . فغضب وقال : الطعام والشراب على حرام حتى أحضرك الهاشميين وغيرهم من بنى عبد مناف ، فلا يستطيعون لذلك إنكاراً . قالت : نصحتك لا تفعل : فخرج إلى المسجد ، فرأى حلقة فيها قوم من قريش منهم عبد الله بن العباس ، وعبد الله بن الحصين بن الحارث ابن عبد المطلب ، فقال لهم ابن الزبير : أحب أن تنطلقوا معى إلى منزلى ، فقام القوم بأجمعهم حتى وقفوا على باب بيته ، فقال ابن الزبير : ياهذه اطرحى عليك سترك . فلما أخذوا مجالسهم دعا بالمائدة ، فتغدى القوم ، فلما فرغوا قال لهم : إنما جمعتكم لحديث ردته على صاحبة الستر ، وزعمت أنه لو كان بعض بنى عبد مناف حضرنى لما أقر لى بما قلت . وقد حضرتم جميعاً ، وأنت يا ابن عباس ما تقول ؟ إنى أخبرتها أن معها فى خدرها من أصبح فى قريش بمنزلة الرأس من الجسد لا بمنزلة العينين من الرأس ، فردت على مقالتى . فقال عبد الله بن عباس إن شئت أن أقول قلت . وإن شئت أن أكف كففت . قال : بل قل ، وما عسى أن تقول ؟ ألست تعلم أنى ابن الزبير ، حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأن أمى أسماء بنت أبى بكر الصديق ذات النطاقين ، وأن عمتى خديجة سيدة نساء العالمين ، وأن صفية عمة الرسول جدتى ، وإن عائشة أم المؤمنين خالتى ، فهل تستطيع لهذا إنكاراً ؟ قال عبد الله بن عباس . لا ، ولقد ذكرت مشرفاً شريفاً ، وفخراً فاخراً ، غير أنك تفاخر من بفخره فخرت ، وبفضله سموت . قال : وكيف ذلك ؟ قال لأنك لم تذكر فخراً إلا برسول الله ، وإنا أولى بالفخر به منك . قال الزبير لو شئت لفخرت عليك بما كان قبل النبوة . قال ابن عباس : قد أنصف القارة من راماها : نشدتكم الله أيها الحاضرون ، أعبد المطلب أشرف ، أم خويلد فى قريش ؟ قالوا : عبد المطلب ، قال : أفهاشم كان أشرف فيها أم أسد ؟ قالوا بل هاشم . قال : أفعبد مناف أشرف أم عبد العزى ؟ قالوا عبد مناف ، فقال ابن عباس :

تنافرنى يا ابن الزبير وقد قضى عليك رسول الله لا قول هازل
ولو غيرنا يا ابن الزبير نفرتـه ولـكنما ساميت شمس الأصائل

قضى لنا رسول الله بالفضل فى قوله : « ما افترقت فرقتان إلا كنت فى خيرهما ، فقد فارقناك من بعد قصى بن كلاب ، أفنحن فى فرقة الخير أم لا ؟ إن قلت نعم خصمت ، وإن قلت لا كفرت . فضحك بعض القوم ، فقال ابن الزبير : أما والله لولا تحرمك بطعامنـا ياابن عبـاس لقتلتك قال ابن عباس ، ولم ؟ أبباطل ؟ « فالباطل لا يغلب الحق ، أم بحق ؟ ، فالحق لا يخشى من الباطل ، فقـالت المرأة من وراء الستر : انى والله لقد نهيته عن هذا المجلس فأبى إلا ما ترون . فقال ابن عباس ، صه أيتها المرأة اقتنعى ببعلك ، فما أعظم الخطر ؛ وما أكرم الخبر . فأخـذ القوم بيد ابن عباس فقالوا : انهض أيها الرجل فقد أفحمته من مرة . فنهض قائلا :

ألا ياقومنا ارتحلوا وسيروا فلو ترك القطا ليلا لناما

ولما مرض عبدالله بن عباس بالطائف قال فى مرضه لمن معه : إنى أموت فى خير عصابة على وجه الأرض ، أحبهم إلى الله ، وأكرمهم عليه ، وأقربهم إلى الله زلفى ، فإن مت فيكم فأنتم هم . فما لبث إلا ثمانى ليال بعد هذا القول حتى توفى وصلى عليه محمد بن الحنفية رضى الله عنهما .

عبيد الله بن العباس

عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب هو ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأمه لبابة الكبرى خالة خالد بن الوليد .

ولد قبل الهجرة بسنتين ، وتوفى سنة ٥٨ ﻫ ، وعمره ستون سنة، وكان رضى الله عنه جميلا عظيم الكرم والجود يضرب به المثل فى السخاء، واستعمله على بن أبى طالب على اليمن ، وكان أميراً للحج سنة ٣٦ و ٣٧ ﻫ .

ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصفّ عبد الله وعبيد الله ولدى العباس ، ثم يقول : « من سبق إلىّ فله كذا وكذا ، فيستبقان إليه ويقعان على صدره فيقبلهما . وكان هو وأخوه عبد الله رضى الله عنهما إذا قدما إلى أهل المدينة أوسعهم عبد الله علماً ، وأوسعهم عبيد الله طعاماً .

وروى محمد بن الوليد أبو الحجاج الفزارى أن عبيد الله بن العباس خرج فى سفر ومعه مولى له ، حتى إذا كان فى بعض الطريق رفع لهما بيت أعرابى ، فقال لمولاه : « لو أنا مضينا فنزلنا بهذا البيت وبتنا به » ، قال : فمضى فلما رآه الأعرابى عظمه وقال لامرأته : « لقد نزل بنا رجل شريف » ، ثم أتى اليها وقال : « هل من عشاء لضيفنا هذا ؟ » فقالت . « لا ، إلا هذه الشويهة (نعجة صغيرة) وحياة ابنتك من لبنها » . قال : « لابد من ذبحها » قالت : « أفتقتل ابنتك » قال : « وإن » ثم إنه أخذ الشاة والشفرة (السكين) وجعل يقول :

يا جارتى لا توقظى البنية   إن توقظيها تنتحب عليَّه
وتنزع الشفرة من يديَّه

ثم ذبح الشاة وهيأ منها طعاماً ، ثم أتى به عبيد الله ومولاه فعشاهما ؛ وعبيد الله يسمع كلام الأعرابى لامرأته ومحاورتها ، فلما أصبح عبيد الله قال لمولاه : « هل معك شيء ؟ » . قال : « نعم ، خمسمائة دينار فضلت من نفقتنا » . قال : « ادفعها إلى الأعرابى . » قال : « سبحان الله ! أتعطيه خمسمائة دينار ؟ وإنما ذبح لك شاة ثمنها خمسة دراهم. قال : ويحك والله لهو أسخى منا وأجود ، إنما أعطيناه بعض ما نملك وجاد هو علينا وآثرنا على مهجة نفسه وولده .

ومن جوده أيضا أن معاوية حبس عن الحسين بن على رضى الله عنه صِلاته ، حتى ضاقت عليه حاله ، فقيل لو وجهت إلى ابن عمك عبيد الله فإنه قدم بنحو ألف ألف درهم ، فوجه إليه مع رسول كتابا ذكر فيه حبس معاوية عنه صلاته وضيق حاله ، وأنه يحتاج إلى مائة ألف درهم . فلما قرأ عبيد الله كتابه وكان من أرق الناس قلباً وألينهم عطفاً ، انهملت عيناه ثم قال : ويلك يا معاوية ، ما اجترمت يدك من الإثم حين أصبحت لين المهاد رفيع العماد والحسين يشكو ضيق الحال ، وكثرة العيال ، ثم قال لقهرمانه: احمل إلى الحسين نصف ما أملكه من فضة وذهب وثوب ودابة ، وأخبره أنى شاطرته مالى ، فإن أقنعه ذلك ، وإلا فارجع واحمل إليه الشطر الآخر. فلما أتى الرسول برسالته إلى الحسين ، قال إنا لله ، حملت والله على ابن عمى ، وما حسبته يتسع لنا بهذا كله ، وأخذ شطر ماله فرضى الله عنهم أجمعين .



عبد الله بن الزبير

ولد عبد الله بن الزبير بن العوّام ، فى السنة الثانية للهجرة (سنه ٦٢٤م) وبويع بالخلافة سنة ٦٤ هـ . وقتل يوم الثلاثاء ١٧ جمادى الأولى سنة ٧٣ هـ وعمره اثنتان وسبعون سنة ، وأمه أسماء بنت أبى بكر الصديق ، وهو أول مولود ولد فى المدينة بعد الهجرة ، ففرح المسلمون بولادته فرحاً عظيما وكبروا تكبيرة واحدة ، لأن اليهود كانوا يزعمون أنهم سحروا المسلمين فلا يولد لهم ، فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله . وهو فارس قريش فى زمانه ، وحاكم الحجاز واليمن والعراق وخراسان ، وشهد مع أبيه الزبير عدة مشاهد ، وكان معه فى واقعة الجمل مقاتلا لعلى بن أبى طالب ، وجرح جروحاً كثيرة ، ثم نجا وبرىء . وكان عظيم البأس شديد الجرأة ، ولما تولى معاوية الخلافة كان عبدالله من زعماء جنده ، وذهب فى غزوة القسطنطينية التى جهزها معاوية فى سنة ٥٠ هـ . وغزا عبد الله بن الزبير مع عبد الله بن سعد بن أبى السرح أفريقيا ، فلاقاهم جرجير قائد الرومان فى مائة وعشرين ألف مقاتل ، وكان جيش المسلمين عشرين الفا فارتاع المسلمون ، ولكن عبد الله بن الزبير نظر فرأى جرجير عامل الرومان مابين طنجة وطرابلس فقتله . ثم كان النصر فى هذه الموقعة العظيمة على يديه .

ولما توفى معاوية سنة ٦٠ هـ امتنع عبد الله بن الزبير عن مبايعة يزيد . ولما قتل الحسين رضى الله عنه سنة ٦١ هـ ، ثار عبد الله بالحجاز ، ثم بويع بالخلافة وأرسل العمال ، وولى الولاة ، فلما توفى يزيد سنة ٦٤ هـ كانت

لعبد الله بن الزبير أكثر البلاد الإسلامية ما عدا الشام .

ثم إن مروان أخذ منه مصر ، ولما تولى عبد الملك سنة ٦٥ هـ ، وثارت فتن كثيرة على ابن الزبير ، وخصوصاً بالكوفة لتضيقه على محمد بن الحنفية ليأخذ البيعة منه ، وكان أهل الكوفة أنصاراً لمحمد بن الحنفية بعد قتل أخيه الحسين ، اشتغل ابن الزبير بقتال الأمويين من جهة ، والمختار المستبد بالكوفة من جهة ، فوجه عبد الملك الحجاج بن يوسف الثقفى لقتال ابن الزبير ، فحاصره بمكة ستة أشهر وسبعة عشر يوما . ولما اشتد على عبد الله بن الزبير الحصار دخل على أمه أسماء بنت أبى بكر الصديق ، وهى مريضة ، وكانت عجوزاً كبيرة ، فقال لها : إن فى الموت لراحة ، فقالت له : لعلك تمنيته لى ما أحب أن أموت حتى يأتى على أحد طرفيك ، إما قتلت فأحتسبك ، وإما ظفرت بعدوك فتقر عينى . فضحك ودنا منها وقبل رأسها ، ثم قال لها إدعى لى ياأماه ! فقالت : اللهم ارحم طول ذلك القيام فى الليل الطويل ، وذلك النحيب فى الظلماء ، وذلك الصوم فى هواجر مكة والمدينة ، وبره بأبيه وبى . اللهم إنى قد أسلمته لأمرك ورضيت بما قضيت فأثبنى عليه ثواب الصابرين .

ولما كان اليوم الذى قتل فيه دخل عليها ، فقالت له : يابنى لا تقبلن منهم خطة تخاف فيها على نفسك الذل مخافة القتل ، فوالله لضربة بسيف فى عز خير من ضربة بسوط فى ذل ، فخرج على الناس ، وقاتلهم فى المسجد وكان لايحمل على ناحية إلا هزم من فيها من جند الشام ، ثم أنشد :

ولست بمبتاع الحياة بسبة ولا مرتق من خشية الموت سلما

فأتاه حجر من ناحية الصفا فوقع بين عينيه ، فنكس رأسه وهو يقول :

ولسنا على الأعقاب تدمى كلومنا ولكن على أقدامنا تقطر الدما

ثم أرسلت إليه زوجته قائلة ، أأخرج فأقاتل معك ؟ فقال لا وأنشد :

كتب الحرب والقتال علينا وعلى الغانيات جر الذيول

ثم اجتمعوا عليه فقتلوه . فلما قتلوه كبر أهل الشام ، فقال عبد الله بن عمر : المكبرون عليه يوم ولد خير من المكبرين عليه يوم قتل . وصلبت جثته حتى قالت أمه أسماء رضى الله عنها : أما آن لهذا الراكب أن ينزل ؟ وقد كانت تقول : اللهم لا تمتنى حتى تقر عينى بجثته ، فلما دفنته لم يأت عليها أيام قليلة حتى ماتت ، وأرسل الحجاج رأس عبد الله بن الزبير إلى عبد الملك.

ومما يروى عن عبد الله بن الزبير ، أن عمر بن الخطاب، بينما كان يسير فى إحدى طرق مكة ، إذ رأى عبد الله بن الزبير، وهو صبى يلعب مع الصبية، فهربوا جميعاً إلا عبد الله ! فقال له ابن الخطاب ، لم لم تذهب مع الصبية ؟ : فقال له ما أجرمت فأخاف منك ، وما الطريق بضيق فأوسع لك ! ! فعجب أمير المؤمنين عمر من فصاحة عبد الله بن الزبير . فرضى الله عنهما .



عبد الله بن عمر بن الخطاب

عبد الله بن عمر بن الخطاب ، ولد قبل الهجرة باثنتى عشرة سنة ،وتوفى سنة ٧٤ ﻫ وعمره ست وثمانون سنة ، كان رضى الله عنه من أبطال المسلمين، وشهد واقعة الخندق ، وغزوة مؤتة ، وشهد واقعة اليرموك ، وشهد فتح مصر ، وحرب أفريقيا ، وشهد حروب فارس ، وكان رضى الله عنه من كبار علماء الصحابة ، وكان شديد الاحتياط والتقوى لدينه فى الفتوى ، حتى أنه ترك المنازعة فى الخلافة مع كثرة ميل أهل الشام إليه ومحبتهم له . وقال له مروان بن الحكم ليبايع له بالخلافة :إن أهل الشام يريدونك . فقال : فكيف أصنع بأهل العراق ؟ قال ، تقاتلهم ، قال : والله لو أطاعنى الناس كلهم إلا أهل فدك ما أجزت لنفسى أن يقتل منهم رجل واحد ، فتركه ، وقال نافع دخل ابن عمر الكعبة فسمعته وهو ساجد يقول قد تعلم يارب ما يمنعنى من مزاحمة قريش على الدنيا إلا خوفك. ولم يقاتل فى شىء من الفتن ، ولم يشهد مع على بن أبى طالب حروبه ، ثم كان بعد ذلك يندم على تركه القتال معه . وقال عبد الله بن عمر ، أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما ببعض جسدى ، وقال :« ياعبد الله كن فى الدنيا كأنك غريب ، وكأنك عابر سبيل، وعد نفسك فى أهل القبور» ثم قال لى : « ياعبد الله بن عمر ، فانه ليس ثمَّ دينار ولا درهم ، إنما هى حسنات وسيئات جزاء بجزاء، وقصاص بقصاص ، ولا تتبرأ من ولدك فى الدنيا فيتبرأ الله منك فى الآخرة ويفضحك على رءوس الاشهاد . من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة . وقال نافع : كان ابن عمر إذا

قرأ هذه الآية « ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله » بكى حتى يغلبه البكاء ، وقال ابن عمر : البر شيء هين ، وجه طلق وكلام لين . وكان كثير الاتباع لآثار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ينزل منازله ، ويصلى فى كل مكان صلى فيه ، حتى أن النبي نزل تحت شجرة ، فكان ابن عمر يتعهدها بالماء لئلا تجف . وعن نافع رضى الله عنه قال : خرج ابن عمر فى بعض نواحى المدينة ، ومعه أصحاب له ووضعوا لهم المائدة ، فمر بهم راعى غنم ، فسلم فقال ابن عمر ، هلم ياراعى ، فلتأكل معنا . فقال له إنى صائم ، فقال ابن عمر : أتصوم فى مثل هذا اليوم الحار الشديد سمومه وأنت فى هذه الحال ترعى هذه الغنم ؟ فقال: والله إنى أبادر أيامى هذه الخالية .فقال ابن عمر وهو يريد أن يختبر ورعه : فهل لك أن تبيع لنا شاة من غنمك هذه ، فنعطيك ثمنها ، ونعطيك من لحمها ما تفطر عليه ؟ قال : إنها ليست لى بغنم ، إنها غنم سيدى . فقال له ابن عمر : فما يفعل سيدك إذا فقدها . فولى الراعى عنه رافعاً أصبعه إلى السماء وهو يقول : فأين الله . قال : فجعل ابن عمر يردد قول الراعى يقول : قال الراعى فأين الله ؟ قال : فلما قدم المدينة بعث إلى مولاه فاشترى منه الغنم والراعى ، فأعتق الراعى ووهب له الغنم .

وقتل عبد الله بن عمر مسموما بعد قتل عبد الله بن الزبير بثلاثة أشهر، وكان سبب قتله أن الحجاج أمر رجلا فسم طرف رمح وزحم عبد الله بن عمر فى الطريق ، ووضع الرمح المسموم فى ظهر قدمه ، وقد فعل الحجاج ذلك لأنه خطب يوما وأخر الصلاة ،فقال له عبد الله بن عمر ، إن الشمس لا تنتظرك ، فقال له الحجاج : لقد هممت أن أضرب الذى فيه عيناك. قال : إن تفعل فإنك سفيه مسلط .

وكان عبد الله بن عمر كثير الجـود ، وربما تصدق فى المجلس الواحد بثلاثين ألف (درهم) ، وقال عبد الله بن عمر ، حـين حضرته الوفاه : ما أجد فى نفسى من الدنيا إلا أنى لم أقاتل الفئة الباغية (أى معاوية ، وفئته الذين حاربوا على ابن أبى طالب كرم الله وجهه ظلما وعدواناً) ، فرضى الله تعالى عنه .



عبد الله بن مسعود

عبد الله بن مسعود ينتهي نسبه إلى مدركة أحد أجداد النبي صلى الله عليه وسلم ، وأمه أم عبد بنت عبد ود بن سواء من هذيل أيضاً .

ولد رضي الله عنه بعد ميلاد النبي صلى الله عليه وسلم بخمس وعشرين سنة (٥٩٦ م) ، وكان سادس من أسلم . وعن عبد الرحمن عن أبيه ، قال : قال عبد الله لقد رأيتني سادس ستة ما على ظهر الأرض مسلم غيرنا . وكان رضي الله عنه من الشجعان ، ومن أكابر علماء الصحابة رضوان الله عليهم ، فقد أتى عبد الله (ابن مسعود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلا : علمني من هذا القرآن ، فمسح النبي صلى الله عليه وسلم رأسه ، وقال إنك غلام معلم . قال عبد الله بن مسعود : لقد أخذت عن النبي صلى الله عليه وسلم سبعين سورة ، ما نازعني فيها أحد . وعن حذيفة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وتمسكوا بعهد ابن أم عبد (عبد الله بن مسعود) . وعن علي كرم الله وجهه ، قال : قال رسول الله : « لو كنت مؤمراً أحداً من غير مشورة لأمرت ابن أم عبد) .

وكان قوم جلوساً عند علي كرم الله وجهه ، فقالوا ما رأينا رجلا أحسن خلقاً ، ولا أرفق تعليما ، ولا أحسن مجالسة ، ولا أشد ورعا من عبد الله بن مسعود .

وكان ابن مسعود يخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان يرفع الحجاب عن النبي ، ويدخل عليه فيوقظه إذا نام ، ويلبسه نعليه ، ويمشي

معه ، وعن أبي الأسود بن يزيد أنه سمع أبا موسى يقول :

لقد قدمت أنا وأخي من اليمن ، وما نرى إلا أن عبد الله بن مسعود رجل من أهل بيت النبي ، لما نرى من دخوله ودخول أمه على رسول الله. وعن عبد الرحمن بن يزيد ، قال : أتينا حذيفة ، فقلنا حدثنا عن أقرب الناس إلى الرسول هدياً فنأخذ عنه ، ونسمع منه ، قال : أقرب الناس هدياً وسمتا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن مسعود .

ولقد علم المحفوظون من أصحاب رسول الله أن ابن أم عبد هو من أقربهم إلى الله زلفى . وعن عروة بن الزبير عن أبيه ، قال : كان أول من جهر بالقرآن بمكة بعد رسول الله عبد الله بن مسعود . اجتمع يوماً أصحاب رسول الله ، وقالوا : والله ما سمعت قريش هذا القرآن يجهر لها به قط ، فمن رجل يسمعهم ؟ ، فقال عبد الله بن مسعود : أنا ، فقالوا ، إنا نخشاهم عليك ، إنما نريد رجلا له عشيرة تمنعه من القوم إن أرادوه ، فقال دعونى فإن الله سيمنعنى . فغدا عبد الله حتى أتى المقام فى الضحى ، وقريش فى أنديتها ، فقال رافعاً صوته: بسم الله الرحمن الرحيم ، الرحمن علم القرآن . السورة : فجعلت قريش تتهامس وتقول : ما يقول ابن أم عبد ؟ ثم قالوا: إنه ليتلو بعض ما جاء به محمد . فقاموا وجعلوا يضربون فى وجهه ، وجعل يقرأ حتى أتم سورة الرحمن ، ثم انصرف إلى أصحابه ، وقد أثر الضرب فى وجهه . فقالوا : هذا الذى خشينا عليك . فقال : ما كان أعداء الله قط أهون على منهم كالآن ، ولئن شئتم غاديتهم بمثلها غداً . قالوا : حسبك قد أسمعتهم ما يكرهون . وعن أبي رزين قال ابن مسعود : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : اقرأ على سورة النساء . قال أأقرأ عليك وعليك أنزل ؟ قال إنى أحب أن أسمعها من غيرى ، فقرأت عليه حتى بلغت (فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً . . .)

فقاضت عيناه صلى الله عليه وسلم .

وقد هاجر عبد الله بن مسعود إلى الحبشة، ثم هاجر إلى المدينة ، وشهد بدراً وأحدا والخندق ، وبيعة الرضوان ، وسائر المشاهد مع رسول الله ، وبعد موت النبي صلى الله عليه وسلم شهد اليرموك . وهو الذى قتل أباجهل عدو النبي . ثم أن عمر بن الخطاب أرسله إلى الكوفة و كتب إلى أهلها : (إنى قد بعثت عمار بن ياسر أميراً ، وعبد الله معلما ووزيرا . وهما من النجباء من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم من أهل بدر فأطيعوا أمرهما واسمعوا قولهما . وقد آثرتكم بعبد الله بن مسعود على نفسى) فرضى الله تعالى عنه .



قتيبة بن مسلم

هو ابن مسلم بن عمرو بن الحصين بن ربيعة بن خالد بن أسيد الخير الباهلى. ولد رضى الله تعالى عنه سنة ٤٩ هـ، وقتل سنة ٩٦ هـ. ولاه الحجاج الثقفى والى العراقين إمارة البحرين ثم ولاه خراسان سنة ٨٦ هـ فمكث واليا عليها عشر سنين، وكان من أكثر الفاتحين شجاعة وجرأة وتوفيقا فى الفتوح. وكان فى اثناء ولايته على خراسان يطلب من الخليفة أن يأذن له بمباشرة الجهاد والفتح؛ إذ كان قواد المسلمين حينئذ يفضلون الجهاد على الولاية حباً فى نشر كلمة الاسلام. فالنعمان بن مقرن طلب من الخليفة عمر أن يعزله عن امارة كسكر ويبعثه إلى جيش من جيوش المسلمين فأمره على جند المسلمين بنهاوند. وكذلك فعل سعيد بن زيد فقد طلب من أبى عبيدة أن يعفيه من ولاية دمشق بعد أن ولاه عليها بضعة أيام ويرسله الى جيش من جيوش المسلمين. وقد ظفر قتيبة بأمنيته فأمره الخليفة الوليد بمباشرة الفتح، ولم يكد يصله هذا الأمر حتى عرض قتيبة جنده بمرو وخطبهم هذه الخطبة الخالدة قال:

«إن الله قد أحلكم هذا المحل ليعزّ دينه ويذب بكم عن الحرمات، ويزيد بكم المال استفاضة، ووعد نبيه صلى الله عليه وسلم النصر بحديث صادق وكتاب ناطق فقال سبحانه عزّ وجل: «هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون» - ووعد المجاهدين فى سبيله أحسن الثواب وأعظم الأجر عنده فقال: - «ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأٌ ولا نصبٌ ولا مخمصةٌ فى سبيل الله ولا يطأون مَوْطئاً

يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا إلا كتب لهم به عمل صالح ، إن الله لا يضيع أجر المحسنين . ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون وادياً إلا كتب لهم ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون » ثم أخبر الله عمّن قتل فى سبيله أنه حيٌّ مرزوق فقال تعالى : « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون » فتنجزوا موعد ربكم ووطنوا أنفسكم على أقصى أثر وأمضى ألم . وإياى والهوينا .

ثم عرض الجند واستخلف على مرو إياس بن عبد الله بن عمرو ، وعلى الخراج عثمان بن السعدى ، وسار إلى الطالقان ، ثم خرج منها إلى بلخ ، وهى أول مدينة هاجمها وفتحها ، فقابله عظماؤها وساروا معه ، فقطع النهر فتلقاه ملك الصاغنيان بهدايا ومفاتيح من ذهب ، ثم سلم بلاده إليه . ثم توجه قتيبة بجنده إلى مدينة آخرون ، ثم إلى مدينة شومان ففتحها ، ثم غزا بيكند حيث أغار على الصغد وقاتلهم قتالا شديداً فهزمهم ، ثم طلبوا منه الصلح فصالحهم وولى عليهم والياً من قبله ، فغدروا به وقتلوه ؛ فاضطر قتيبة إلى فتحها ثانية وغنم منها مغانم كثيرة ، ثم عاد إلى مرو مستخلفا أخاه صالح ابن مسلم على جنده .

وبعد أن قضى قليلا فى مرو استخلف عليها أخاه بشار بن مسلم وعاد إلى الفتح فافتتح كاشان وأوشت (وهى من فرغانة) وفتح أخشيكت ، وهى مدينة فرغانة القديمة وكان معه نصر بن سيار فأبلى يومئذ بلاء حسناً ثم فتح بلاد كرمينية ثم سار إلى بخارى سنة ٩٠ هـ ، ولم يكد يقترب منها حتى اتفق طرخان أمير صغد وخداوند هنك وخداوند وردان وقرنكنوم بن أخت إمبراطور الصين على قتال قتيبة وحاصروه أربعة أشهر أو شهرين على رواية ابن الأثير فاستعمل البطل قتيبة دهاءه السياسى فى التفرقة بينهم ، فنزلت الملكة خاتون عن العرش وكانت حاكمة على سكان مابين النهرين

وخضع طرخان أمير الصغد للعرب ، وانسلخ عن ملك الفرس خلفاؤه وبذلك انتصر قتيبة انتصاراً مؤزراً وفتح بخارى سنة ٩٠ هـ وهزم ملكها وردان خذاه وفرض على تلك البلدان عشرين ألف مقاتل ، ثم فتح فى سنة ٩٣ هـ مدائن خوارزم صلحاً . ثم غزا سمرقند سنة ٩٣ هـ وفتحها بعد قتال شديد وبنى بها مسجداً وخطب فيه بنفسه وأخذ منها غنائم قدرت بستة ألف ألف وثلاثين ألف درهم ، ثم استخلف عليها أخاه عبد الله بن مسلم ورجع إلى مرو فمكث بها سنة . ثم عاد إلى فتوحه ففتح فرغانة وخوجندة بعد حرب طاحنة أحرز فيها نصراً مبيناً . وفى سنة ٩٤ هـ فتح كابل عاصمة الأفغان والشاش .

ولما بلغت أخبار فتوحاته العظيمة الخليفة الوليد بن عبد الملك بعث إليه بكتاب هذا نصه :

« قد عرف أمير المؤمنين بلاءك وجدك فى جهاد أعداء المسلمين ، وأمير المؤمنين رافعك وصانع بك كالذى يجب لك ، فأتمم مغازيك وانتظر ثواب ربك ، ولا توخر عن أمير المؤمنين كتبك حتى كأنى أنظر إلى بلادك والثغر الذى أنت به » .

ولم يكتف قتيبة بما فتحه من البلاد بل هاجم التركستان الصينية ففتح عاصمتها كاشغر واستولى على جميع أنحائها . ثم تحفز بعد ذلك بملك الصين وهمّ بفتح بلاده فطلب إمبراطور الصين من قتيبة أن يرسل إليه وفداً يفاوضه فيما يريد فأرسل إليه وفداً مؤلفاً من اثنى عشر رجلا من الموصوفين بالشجاعة والبأس وحسن السمت وعلى رأسهم هبيرة بن المشمرج الكيلابى فلما بلغ هذا الوفد عاصمة الصين استدعاه ملكها وقال لهبيرة رئيس الوفد : انصرفوا إلى صاحبكم فقولوا له ينصرف عن بلادنا فإنى قد عرفت حرصه وقلة أصحابه وإلا بعثت عليكم من يهلكه

ويهلككم معه . فرد عليه هبيرة بقوله « كيف يكون قليل الأصحاب من أول خيله فى بلادك وآخرها فى منابت الزيتون ؟ وكيف يكون حريصاً من خلف الدنيا قادراً عليها وغزاك ؟ وأما تخويفك إيانا بالقتل فإن لنا آجالا إذا حضرت فأكرمها القتل، فلسنا نكرهه ولا نخافه » . قال « فما الذى يرضى صاحبكم ؟ » قال « إنه حلف أن لا ينصرف حتى يطأ أرضكم ويختم ملوككم (يشم أعناقهم) ويعطى الجزية » : قال « فإننا نخرجه من يمينه بأن نبعث إليه بتراب من أرضنا فيطؤه، وببعض أبنائنا فيختمهم، ونبعث إليه بجزية يرضاها » ثم بعث إليه بصحاف من ذهب فيها تراب، وبعث بحرير وذهب وأربعة غلمان من أبناء ملوكهم . ثم أجاز الوفد فأحسن جوائزه، فرجعوا حتى قدموا على قتيبة فقبل الجزية وختم الغلمان وردهم ووطىء التراب . وبعد أن أتم ذلك قتيبة أوفد هبيرة إلى الخليفة الوليد يبلغه أخبار الفتح وما فعله مع ملك الصين؛ ولكن هبيرة مات بقرية من بلاد فارس، فرثاه سوادة فقال :

لله قبر هبيرة بن مشمرج	ماذا تضمن من ندى وجمال
وبديهة يعيا بها أبناؤها	عند احتفال مشاهد الأقوال
كان الربيع إذا السنون تتابعت	والليث عند تكعكع الأبطال
فسقت بقرية حيث أمسى قبره	غرٌ يرحن بمسيل هطال
بكت الجياد الصافنات لفقده	وبكاه كل مثقف عسّال
وبكته شعث لم يجدن مؤاسيا	فى العام ذى السنوات والإمحال

مقتـــل قتيبه بن مسلم

أراد الخليفة عبد الملك بن مروان أن يخلع أخاه عبد العزيز بن مروان والى مصر من ولاية عهده وأن يجعلها لابنه الوليد؛ ولكن المنية أدركت

عبد العزيز قبل أن يتم ذلك . كذلك أراد الوليد أن ينقل ولاية عهده من أخيه سليمان إلى ابنه عبد العزيز فوافقه على هذا الأمر الحجاج الثقفى وقتيبة ابن مسلم فاتح التركستان وغيرها ، ولكن الموت عاجله قبل أن يبلغ ماأراد. فتولى الخلافة سليمان بن عبد الملك وكان من أول مافكر فيه الانتقام من قتيبة (اذ كان الحجاج قد توفى قبل وفاة الخليفة الوليد) . وأحس قتيبة ذلك فجرت بينه وبين سليمان رسائل تأكد منها قتيبة أن الخليفة يريد أن يفتك به كما فتك بمحمد بن القاسم فاتح السند .

ولما عزلَ قتيبة وكيع بن حسان عن جند بنى تميم وولى مكانه عليهم ضرار بن حصين الضبى افترى وكيع بن حسان على قتيبة أنه قد خلع الخليفة وأشاع هذه الفرية فى بنى تميم حتى ثاروا معه عليه وحاربوه حتى قتلوه وقتلوا معه أحد عشر من إخوته وأهله ، منهم إخوته عبد الرحمن وعبد الله وصالح : وحصين وعبد الكريم أولاد مسلم وابنه كثير بن قتيبة . ولو أن قيساً تزعم أن قتيبة لم يخلع الخليفة سليمان وأن وكيعاً افترى عليه ذلك . وقد صادف قتل قتيبة بن مسلم هوًى فى نفس سليمان . وقد تولى وكيع أمر خراسان تسعة أشهر ثم ولىَّ سليمان بن عبد الملك يزيد بن المهلب مكانه .

قتل قتيبة وعمره ٤٧ سنة ولو طال عمره لفتح بلاد الصين كلها ، فإن ضربه الجزية عليها ماكان إلا مقدمة لفتحها : يؤيد ذلك ماورد فى رثاء الأصمّ بن الحجاج لقتيبة وسنذكره . وقد قال رجل من أهل خراسان « يامعشر العرب قتلتم قتيبة سيد العرب ، والله لو كان منا لجعلناه فى تابوت فكنا نستفتح به إذا غزونا » .

وقد رثاه جرير بقوله :

ندمتم على قتل الأغرِّ بن مسلم ... وأنتم إذا لاقيتم الله أندم
لقد كنتم من غزوه فى غنيمة ... وأنتم لمن لاقيتم اليوم مغنمُ
على أنه أفضى إلى حور جنة ... وتطبق بالبلوى عليكم جهنم

وقد رثاه عبد الرحمن بن جمانة الباهلى فقال

كأن أبا حفص قتيبـــة لم يسر بجيش إلى جيش ولم يعل منبرا
ولم تخفق الرايات والقوم حوله وُقوف ولم يشهد له الناس عسكرا
دعتـه المنايا فاستجـــاب لربه وراح إلى الجنات عفا مطهرا
فما رزىء الاسلام بعد محمد بمثل أبى حفص فبكيه عبهرا (١)

أما قول الأصم بن الحجاج فى رثاء قتيبة الذى يؤيد ما كان عازما عليه من فتح الصين قوله :

ألم يأن للأحياء أن يعرفوا لنا بلى نحن أولى الناس بالمجد والفخر
نقـــود تميما والموالى ومذحجاً وأزدا وعبد القيس والحىّ من بكر
نُقتل من شئنا بعزة مُلكنا ونجبر من شئنا على الخسف و القسر
سليمان كم من عسكر قد حوت لكم أسنتنا والمُقربات بنا تجـــرى
وكم من حصون قد أبحنا منيعة ومن بلد سهل ومن جبل وعر
ومن بلدة لم يغزها النـاس قبلنا غزونا نقود الخيل شهراً إلى شهر
ولو لم تعجلنا المنايا لجـــاوزت بنا سدّ ذى القرنين ذا الصخر والقطر
ولكن آجـــالا قضين ومدة تناهى إليها الطيبون بنو عمرو (٢)

وقد قتل مسلم والد قتيبة مع مصعب بن الزبير. وقتيبة هو جد أبى عمرو سعيد بن مسلم بن قتيبة الذى تولى أرمينية والموصل والسند وطبرستان وساجستان والجزيرة ، وكان سيداً كبيراً مات سنة ٢١٧ هـ .

فرضى الله تعالى عن قتيبة بن مسلم الفاتح العظيم الذى أعاد للخلافة ما انتقض عليها من البلدان وفتح الفتوحات العظيمة كبلخ وبخارى وسمرقند وطشقند وكشغر وغيرها . فرضى الله تعالى عنه وعن اخوته وابنه .

---

(١) عبهر احدى نسائه (٢) أولاد مسلم بن عمرو

محمد بن القاسم

محمد بن القاسم بن محمد بن الحكم (إبن عم الحجاج الثقفى) الفتى الشجاع والفاتح العظيم ،ولد سنة ٧٢ هـ ومارس الحرب وهو يافع فى جند المسلمين بخراسان.وقد توسم فيه الحجاج الثقفى والى العراقين البطولة والنجدة والاقدام على المخاطر والعظائم فولاه قيادة جيش فى ستة آلاف من جند الشام سنة ٨٩ هـ وعهد إليه فتح السند وكان عمره إذ ذاك سبع عشرة سنة وأمره بالسير من فارس إلى الرى ،فأقام محمد بن القاسم بجنده فى شيراز أياماً نظم فيها جيشه وأصلح من شأنه وأعد له العدة من سلاح،ثم وجه الاجناد والعتاد فى السفن إلى الديبل (كراتشى ثغر السند) وكان من قواد جيشه جهم بن زحر الجعفى ، ومحمد بن مصعب بن عبد الرحمن الثقفى ،وزائدة بن عمير الطائى ، والقاسم بن ثعلبة بن عبد الله بن حصن الطائى ، وغيرهم من أبطال المسلمين. سار محمد بن القاسم بجيوشه إلى مكران ففتحها ثم أتى قنزبور ففتحها ثم سار إلى أرمائيل ففتحها ثم إلى الديبل فوافته السفن هناك مملوءة بالرجال والسلاح فأتم حصار هذا الثغر بجنده وسفنه براً وبحراً ونصب أمامه منجنيقاً يسمى العروس وكان أكبر منجنيق ظهر فى الحرب إلى ذاك العهد،إذ كان يعمل به خمسمائة جندى، وكان بكراتشى معبد كبير لبوذا له أبراج مثل معابد البوذيين اليوم، وكان أحد أبراج هذا المعبد شاهقاً فرماه محمد بن القاسم بهذا المنجنيق فدكه دكاً ، فراع البوذيين ما رأوا من هدم معبدهم وكانوا يعتقدون أن من مسه بسوء هلك من فوره.حينئذ تزلزل إيمانهم بعقيدتهم، وشدد محمد بن القاسم

عليهم الحصار حتى فتح الله عليه هذا الثغر الكبير وهرب عامله وأسكنه أربعة آلاف من المسلمين وبنى به مسجداً. ثم سار إلى البيرون ففتحها صلحاً، ثم عبر نهر دون مهران ففتح سربيدس صلحاً وسار إلى سهبان ففتحها، ثم سير جيشاً بقيادة محمد بن مصعب بن عبد الرحمن الثقفى إلى سدوسان فاستولى عليها . وانضم إلى جيش محمد بن القاسم أربعة آلاف من الزط فزاد جيشه قوة على قوة . ثم إن محمد بن القاسم استعان بجرأته وحنكته وحيلته على عبور نهر مهران بجيشه حتى عبره فلم يسع داهر ملك السند إلا أن يقف بجيوشه الجرارة وفيلته وقواده من التكاكرة لصد محمد بن القاسم وكان ذلك فى مدينة اسمها بير همناباد . فاقتتل الجيشان قتالا شديداً كتب الله تعالى فيه النصر لجيش المسلمين ،وانهزم المشركون شر هزيمة بعد أن قتل منهم ثمانية آلاف وقيل ستة وعشرون ألف قتيل فيهم الملك داهر .

قال ابن الكلبي إن الذى قتل داهر هو القاسم بن ثعلبة بن عبد الله بن حصن الطائى وقال :

الخيل تشهد يوم داهر والقنا ومحمد بن القاسم بن محمد
أنى فرجت الجمع غير معرد حتى علوت عظيمهم بمهند
فتركته تحت العجاج بجندلا متعفر الخدين غير موسَّدِ

ثم فتح محمد بن القاسم مدينة راور عنوة ومضى لفتح الرور (وهى من مدائن السند واقعة على جبل شاهق) فحاصرها بضعة أشهر ثم فتحها صلحاً وبنى بها مسجداً ،ثم فتح بغرور وساوندرى صلحاً ثم أسلم أهلها جميعاً، ثم تقدم الى بَسْمِد ففتحها صلحاً ثم قطع نهر بياس إلى الملتان (جاء فى صبح الأعشى أن البيرونى يعد الملتان من السند ولكن ابن حوقل يعدها من بلاد الهند) فأتم محمد بن القاسم فتحها بعد قتال شديد أبلى فيه زائدة بن عمير الطائى بلاء عظيما ،وبعد هزيمة المشركين دخل جنود المسلمين الظافرون

المدينة وكان بها معبد عظيم لبوذا كان الوثنيون يحجون اليه وينذرون له نذوراً كبيرة من المال .وحسبك بيانا لأهمية هذا المعبد عند الوثنيين أن عدد سدنته كان يبلغ ستة آلاف أسرهم المسلمون جميعاً . وأصاب المسلمون من هذا المعبد ذهباً كثيراً ملأ بيتا طوله عشر أذرع فى ثمانى أذرع .

ثم فتح محمد بن القاسم البيلمان والكرج وقتل عاملها دوبهر . وقد أرسل محمد إلى الحجاج خمس الغنائم من المال فكان مجموعه مائة وعشرين مليون درهم ؛ فكأن مجموع غنائم محمد بن القاسم من مال السند ستمائة مليون درهم — وقد أنفق الحجاج على هذا الجيش ستين مليونا من الدراهم — فقال الحجاج الثقفى عندئذ « شفينا غيظنا وأدركنا ثأرنا وازددنا ستين ألف ألف درهم ورأس داهر وفتح بلاده » ولم يكن محمد بن القاسم فاتحاً فحسب ، بل كان إداريا حسن التدبير ؛ وكان أشبه بموسى بن نصير وقتيبة بن مسلم فى نشرهما الأمن وبسطهما العدل وتأييدهما للاسلام فى جميع البلدان التى فتحاها . فكان محمد بن القاسم محبوبا فى بلاد السند كلها حتى أنهم بكوه بكاء شديداً عند مانكبه الخليفة سليمان بن عبد الملك .

توفى الوليد بن عبد الملك وتولى أخوه سليمان بن عبد الملك الخلافة فلم يأخذ بيد محمد بن القاسم حتى يتم فتح الهند بل عزله عن ولايته وأرسل يزيد بن أبى كبشة السكسكى واليا على السند وأمره أن يقيد محمد بن القاسم فى الأغلال والسلاسل ويحمله إلى العراق .وأمر صالح بن عبد الرحمن الذى كان متوليا خراج العراق أن يقتل محمد بن القاسم وقد صادف ذلك هوى فى نفس صالح بن عبد الرحمن لأن أخاه آدم كان من الخوارج وقد قتله الحجاج. وقد قال محمد بن القاسم قبل قتله

أضاعونى وأى فتى أضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغر

وقال أيضاً :

فلئن ثويت بواسط وبأرضها رهن الحديد مكبلا مغلولا
فلرُبَّ فتية فارس قد رُعتها ولرب قرن قد تركت قتيلا

وقال أيضاً :

لو كنت جمعت القرار لوطئت إناث أعدت للوغى وذكور
وما دخلت خيل السكاسك أرضنا ولا كان من عك على أمير
وما كنت للعبد المزونى تابعاً فيالك دهر بالكرام عثور

وقتل محمد بن القاسم سنة ٩٥ هـ وعمره ثلاث وعشرون سنة فرثاه حمزة بن بيض الحنفى بقوله :

إن المروءة والسماحة والندى لمحمد بن القاسم بن محمد
ساس الجيوش لسبع عشرة حجة ياقرب ذلك سؤدداً من مولد

فرضى الله تعالى عنه .

اتفق المؤرخون على ان من أقوى الاسباب فى زوال ملك بنى أمية غدرهم بقواد الفتح الذين فتحوا لهم الامصار ووطدوا لهم العرش .

فقد غدر سليمان بن عبد الملك بموسى بن نصير فاتح أفريقيا والبرتغال وإسبانيا لسبب واه وهو أن سليمان حين كان ولياً للعهد أمر موسى بن نصير بأن يبطىء السير حتى يصل إلى عاصمة الخلافة (دمشق) بعد وفاة أخيه الوليد (إذ كان الوليد مريضاً) وكان موسى بن نصير رضى الله تعالى عنه رجلا لايخشى إلا الله فلم يجب طلب سليمان هذا وقال : سأسير على بركة الله لا متباطئاً ولا متعجلا . ووصل دمشق قبل موت الوليد . فما كان من سليمان بن عبد الملك بعد توليه الخلافة إلا أن عزل موسى بن نصير وصادر أمواله وعزل ابنه عبد الله عن ولاية أفريقيا وقتل ابنه عبد العزيز


والى إسبـــانيا .فياله من جزاء لهذا الفـــاتح العظيم الذى كان يريد فتح أوربا جميعها .

وقد غدر سليمان بن عبد الملك بقتيبة بن مسلم فاتح خوارزم وخراسان والأفغان وضارب الجزية على الصين لما قيل من أن قتيبة كان ممن أطاعوا الوليد بن عبد الملك فى إقصائه عن ولاية عهد الخلافة ولم يكتف بعزله عن الممالك التى فتحها بل أثار عليه قائداً من قواد جيشه فقتله .

وغدر سليمان بن عبد الملك بمحمد بن القاسم لا لجرم ارتكبه بل لأنه ابن عم الحجـــاج . فما أعجب جزاءه لهذا الفاتح العظيم !

لم تمض على هذه الحوادث التى وقعت فى سنة ٩٥ هـ سبع وثلاثون سنة حتى ثل الله عرش بنى أمية وأدال العباسيين منهم سنة ١٣٢ هـ . ولله ميراث السموات والارض .





إمارة قرطبة
في نواحي سنة ٢٠٠ هجرية
مملكة اشتوريش
نبارة
برغش
اوبورتو
الوادي الجوفي
طلمنكة
طليطلة
وادي ايبره
برشلونة
جزر البليار
ميورقة
ميورقة
يابسة
بلنسية
وادي تاجه
اشبونة
وادي يانه
قرطبة
الوادي الكبير
اشبيلية
غرناطة
قادس
طنجة

موسى بن نصير

ولد البطل العظيم والفاتح الكبير الأمير موسى بن نصير سنة ١٩هـ (سنة ٦٤٠م) بقرية بالشام تسمى كفر مثرى، كما ورد فى معجم البلدان لياقوت الحموى ج ٧ ص ٢٦٧ .وكان رضى الله تعالى عنه تابعياً محدثاً ، روى عن تميم الدارى ، وروى عنه ابنه عبد العزيز ويزيد بن مسروق اليحصبى .وقد ذكر الطبرى وابن كثير والبلاذرى أن خالد بن الوليد بعد أن فتح الأنبار سار إلى عين التمر ، وكانت تابعة للفرس ، فتغلب على قائدها مهران بن بهرام جوبين ، وعلى حليفه عقة بن أبى عقة ، وكان من العرب التابعين للفرس ، وهم عرب إياد والنمر وتغلب ، ولما فتح خالد بن الوليد حصن عين التمر سبى من فيه ، وكان منهم أربعون غلاماً يتعلمون بكنيسة الحصن، فكان منهم سيرين (أبو محمد بن سيرين) وأبو عمرة (جد عبد الله بن الأعلى الشاعر) ، وأبو زياد (مولى ثقيف) ، ونصير (والد موسى بن نصير) فكان نصير من نصيب بعض بنى أمية وقد أعتقه فيما بعد ، وروى بعضهم أنه من عرب أراشة ، وروى بعض آخر أن نسبه فى بنى يشكر أو لخم بالولاء ، ولكن جمهور المؤرخين على الرواية الأولى .

كان موسى بن نصير رجلا مؤمناً صريحاً لا يهاب مخلوقاً . ولا أدل على هذا من أنه القائد الأموى الوحيد الذى أبى محاربة على بن أبى طالب ، فقال له معاوية بن أبى سفيان : ما منعك من الخروج معى لحرب علىّ وأنا ولىّ نعمتك ؟ فأجابه بقوله : لا أشكرك بكفر من هو أولى بشكرى وهو الله

عزّ وجلّ . فلا أحارب عليّ بن ابى طالب أبداً فأغض ومض . فأعفاه معاوية من محاربة على بن أبى طالب . ولما اشتد القحط بافريقيا سنة ٩٣ ﻫ استسقى بالناس موسى بن نصير ، وخطبهم ، ولم يذكر اسم الخليفة الوليد ، فعوتب فى ذلك فقال : هذا مقام لا يدعى فيه لأحد ، ولا يذكر إلا الله عزّ وجلّ . فنزل المطر وسقيت النـــاس . وكم غنم موسى بن نصير من الأموال التى اختص بها كقائد للجيش ، بل لقد أرسل له عبد الملك بن مروان مائة ألف درهم كان أخذها منه ظلماً بعد عزله من عمله بالبصرة بدسيسة من الحجاج الثقفى ، اعترافاً من عبد الملك بأعمال موسى العظيمة فى فتوحاته ، فسارع موسى بن نصير وأنفق هذا المـال وجميع ما أختص به من أموال الغنائم فى عتق جميع الأسرى الذين أسلموا . فلم يكن موسى بن نصير فاتحاً فحسب ، بل كان فاتحاً وهادياً .

كان موسى بن نصير طوالا جسيما أبيض الوجه ، عرف الإمارة من حداثة سنه ، فقد ذكر ابن كثير أن معاوية بن أبى سفيـان بعث بموسى بن نصير لغزو قبرص ، فغزاها وبنى بها حصنين : المـاغوصة وبانس . وقد وردفى النجوم الزاهرة خبر قدوم موسى بن نصير لمصر سنة ٦٤ ﻫ مع مروان ابن الحكم ، وكان من أظهر رجالات عبد العزيزبن مروان الذى تولى إمارة مصر فى أول رجب سنة ٦٥ ﻫ ، وبقى واليا عليها عشرين سنةوعشرة أشهر وثلاثة وعشرين يوماً ، إذ توفى فى ١٠ جمـادى الأولى سنة ٨٦ ﻫ (١) . ولم تمض بضع سنوات على مجىء موسى إلى مصر حتى استدعاه الخليفة عبد الملك ليكون معيناً لأخيه بشر بن مروان عنـــد ما ولاه ولاية البصرة . ولما ولىّ عبد الملك بن مروان الحجاج بن يوسف البصرة عزل موسى بن

(١) ومما يذكر عن عبد العزيز بن مروان أنه اشترى سنة ٧٠ ﻫ حلوان من القبط بعشرة آلاف دينار وهى التى ولدبها ابنه الخليفة العـادل عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه .

نصير من عمله ، فاستدعاه عبـــد العزيز بن مروان لمصر ثانية . ولما أضاف الخليفة عبد الملك برقة التي كانت تابعة لولاية مصر إلى حسان بن النعمان والى أفريقيا ، وعلم بذلك عبد العزيز بن مروان طلب من حسان أن يترك برقة فأبى،فقال له عبد العزيز : ألا تعرف أنى صنو أمير المؤمنين ؟! ، وعزله عن إمارة أفريقيا ، وولى موسى بن نصير والياً عليها فى صفر سنة ٧٩ هـ ، وأقر الخليفة عبد الملك ولايته عليها .

خطة موسى بن نصير الحربية والسياسية

لما تولى موسى بن نصير ولاية افريقيا لم يكن فتح الا بعض بلدان قليلة بين مصر وتونس ،وكانت تلك البلدان تثور وتنتقض من آن لآخر فكانت فى حالة شديدة من الفوضى . فوضع موسى بن نصير له خطة ترضى آماله الكبيرة التى لاتقف عند حد فى التوسع فى الفتح ،فعزم عزماً قاطعاً أن يفتح جميع شمال افريقيا من حدود مصر إلى المحيط أى حدود مراكش وأفريقيا الغربية.أما خطته السياسية فكانت تقضى بجعل هذه الأمم المتعددة أمة واحدة تدين بأكملها للإسلام وتكون لغتها اللغة العربية . فابتدأ بتنفيذ هذه الخطة بأن أعتق جميع من اختص به من الأسرى بعد أن دانوا للإسلام؛ وأعقب ذلك بأن أسكن كثيراً من قبائل العرب تلك الممالك التى فتحها فكان بعمله هذا أول من وضع الحجر الأساسى لنزوح كثير من قبائل العرب إليها فامتزجوا بأهلها من البربر بالمصاهرة حتى صار جميع سكان شمال أفريقيا عربيا ، دينه الاســـلام ولغته العربية بل ودمه . فكان الفتح والاسلام يسيران جنباً إلى جنب فى جميع فتوحاته . وبذا نالت سياسة موسى بن نصير الحكيمة توطيد أركان هذه المملكة وصارت أمم البربر جميعاً أمة واحـدة لافارق بينها وبين العرب فى دين أو لغة؛ فابتدأ موسى

أعماله بعزله صالحاً الذى كان استخلفه حسان على أفريقيا وابتدأ بفتح زغوان .وكان أكبر فتح فرح به الخليفة عبدالملك وأخوه عبد العزيز،إذ بلغ مجموع الأسرى ثلثمائة ألف أسير ، ثم سار إلى القيروان عاصمة أفريقيا فأمضى بها شهرى رمضان وشوال سنة ٧٩ هجرية (١) ثم استخلف موسى بن نصير ابنه عبد الله على القيروان وسار موسى بجيوشه الظافرة ففتح هوارة وزناتة ، وقتامة، وصنهاجة ،وساجومة ، وأرساف ،وغنم من هذه الفتوحات غنائم كثيرة جداً. ثم أرسل ابنه مروان ففتح بلاد السوس ، ولم يكد موسى يتم تنظيم أسطوله حتى بعث ابنه عبد الله لفتح جزيرة صقلية ففتحها ،وأرسل عياش بن أخيل ففتح سرقوسة سنة ٨٦هـ، وأرسل عبد الله بن مُرة ففتح سردينية سنة ٨٩هـ، وبعد أن أتم موسى هذه الفتوحات العظيمة ولم يبق أمامه من شمال أفريقيا إلا سبتة ، وقد كان يحكمها جوليان Julien من قبل لذريق Roderic ملك القوط. « وقيل إن سبتة كانت تابعة لحكومة القسطنطينية وكان يحكمها جوليان نائباً عنها » فصالح موسى على أن يكون تابعاً له، وأن يدفع الجزية التى يفرضها موسى عليه،فقبل منه موسى ذلك ،وقد كان وقع عداء شديد بين جوليان ولذريق ملك القوط لأمرين هامين : أولهما إغتصاب لذريق الأميرة فلورنده ابنة جوليان ، وثانيهما أن جوليان كان صهراً لأولاد غطشة الذى كان أبوهم

(١) والقيروان هى المدينة التى انشأها عقبة بن نافع الفهرى سنة ٥٠ هـ وجعلها عاصمة لأفريقيا وجعل موضعها بعيداً عن البحر باثنى عشر ميلا خوفا من مفاجأة الأفرنج لها بالغزو بحراً . ولم تكن عزيمة موسى لترضى أن يقيم شهرين بلا غزو أو عمل مجد كبير فعزم على شق قناة بين القيروان والبحر لتكون مرسى لأسطوله ومشتى للمراكب وما علم القوم بعزم موسى على شق هذه القناة حتى أظهروا له صعوبة العمل بل استحالة تنفيذه ولكن عزيمة موسى سخرت من قولهم وفتح هذه القناة بل أتم هذا العمل العظيم بسرعة مدهشة .



الملك لذريق مع الأميرة فلورينده بنت يليان صاحب سبتة التى من اجل قصتها اغرى يليان العرب يغزو إسبانيا

ملكا على إسبانيا قبل لذريق. وقد اغتصب لذريق أملاك أبيهم وكانوا ثلاثة أبناء وهم ألموندو Alemundo ورُملو Romulo وأردبست Ardabast » فحرض جوليان موسى على فتح الأندلس، فاستشار موسى الخليفة الوليد فأذن بغزوها، فجهز موسى مراكب الغزو، واستولى على مراكب جوليان أيضاً، ثم بعث موسى أولا طريف بن مالك النخعي ومعه خمسمائة جندي سنة ٩١ هـ — ٧١٠م فغزا مكاناً بجنوب الأندلس يسمى مدينة طريف، (١) ولما رأى موسى نجاح طريف فى غزواته أرسل سنة ٩٢ هـ — ٢١ مارس سنة ٧١١ م طارقا، (٢) بجيش من العرب والبربر يقرب عددهم من اثنى عشر ألفاً إلى الأندلس لغزوها فنزل إلى جبل كلبي Calpi الذى سمى فيما بعد جبل طارق، فاحتله فى أبريل سنة ٧١١ م، وقد ورد فى دائرة المعارف للبستانى أن طارق بن زياد بنى حصناباً كته، وفى سنة ٩٢٥ م بنيت القلعة التى لا زالت موجودة بالطرف الشرقى من الصخرة، وفى سنة ١١٦١ م عززت تحصينات هذه القلعة تحت نظارة الحاج يعيش المهندس المغربى المشهور، فكان العرب أول من عرف أهمية جبل طارق الحربية.

ولم يكد طارق ينزل الأندلس، حتى جهز لذريق ملك القوط Goths والأسبان الرومانيين، جيشاً كبيراً، (قال ابن خلدون إن عدده قد بلغ أربعين ألفاً، وقال المؤرخ كونديه Condé إن عدده تسعون ألفاً، وقال المؤرخ كوبيه Coppé إن عدده مائة ألف) فكم كان الفارق عظيما بين قوة كل من الجيشين ؟! جيش طارق اثنا عشر ألف جندي، وجيش لذريق مائة

---

(١) طريف بن مالك هو الذى سمى باسمه «غار طريف» الذى يسميه الفرنج «طرافلجار» ويترجمه البعض خطأ بالطرف الأغر.

(٢) وقد قال المؤرخ كوبيه Coppé ان طارق بن زياد بن عبد الله فارسى همذانى وقد صار مولى موسى بن نصير من صغره وقال غيره انه بربرى من نفزه وكان طويل القامة أحمر الشعر

ألف جندى ، ولكن النصر لله يؤتيه من يشاء ، فانتصر طارق بن زياد وجنده على لذريق وجنده فى واقعة شريش Xerez. الشهيرة التى دامت ثلاثة أيام ، كرواية دائرة المعارف الفرنسية الكبرى (ج ١٦ ص ٣٢٦) وعلى رواية مؤرخى العرب أن موقعة شريش هذه دامت ثمانية أيام ، ولم تنته حتى قتل لذريق وانهزم قائده تدمير وانهزمت جيوشه، واستولى طارق على أستنجه Eciga ومالقة Malaga وقرطبة Cordovue وطليله Tolède وكان من أهم أسباب هزيمة رودريك أن كثيراً من جنده كان كارهاً له حتى انحاز أوباس وأبناء غيطشة (الذين اغتصب لودريك عرش أبيهم) إلى جيش العرب

ومن أظهر أعمال البطل العظيم طارق بن زياد أنه لم يكد يصل بجنده إلى اسبانيا حتى أمر بحرق جميع السفن التى نقلت جنده إليها ، ليلهب الحماسة فى قلوب جنوده ، وليعلمهم أن ليس لهم إلا أحد أمرين : إما النصر وإما الموت. ثم خطبهم خطبته الخالدة (١) وقد قتل طارق لذريق، وانتصرت

(١) وهى بعد حمد الله والثناء عليه : أيها الناس أين المفر ؟ البحر وراءكم والعدو أمامكم وليس لكم والله الا الصدق والصبر . واعلموا أنكم فى هذه الجزيرة أضيع من الأيتام فى مأدبة اللئام وقد استقبلكم أهل البلاد بجيشهم وأسلحتهم وأقواتهم موفورة وأنتم لاوزر لكم الا سيوفكم ولا أقوات لكم الا ماتستخلصونه من أيديهم وان امتدت بكم الأيام على افتقاركم ولم تنجزوا لكم أمراً فشلتم وذهب ريحكم واستعاضت القلوب من رعبها منكم الجرأة عليكم . فادفعوا عن أنفسكم خذلان هذه العاقبة . بمناجزة هذا الطاغية فقد ألقت به اليكم مدينته الحصينة، وان انتهاز الفرصة فيه لممكن ان سمحتم لانفسكم بالموت. وانى لم أحذركم أمراً أنا عنه بنجوة ولا حملتكم على خطة أرخص متاع فيها النفوس ولم أبدأ فيها بنفسى واعلموا أنكم ان صبرتم على الأشق قليلا استمتعتم بالأرفه الألذ طويلا فلا ترغبوا بأنفسكم عن نفسى فما حظكم فيه بأوفى من حظى، وقد انتخبكم الوليد بن عبد الملك أمير المؤمنين من الأبطال عرباناً ، ورضيكم لملوك هذه الجزيرة أصهاراً واختاناً ، ثقة منه بارتياحكم للطعان وسماحكم بمجالدة الأبطال



ملاقاة موسى بن نصير مع طارق بن زياد بأرض طليطله

جيوش طارق كما تقدم فى واقعة شريش وغيرها ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم . كان موسى قد أمر طارقا ألا يفتح طليطلة خوفاً على جند المسلمين خصوصاً بعد أن استشهد منهم الكثير ، فلم يستمع لأمر أميره موسى وفتحها ، فغضب عليه موسى لاعتباره عمل طارق بن زياد من المخالفات العسكرية التى قد تقضى بعض الدول العصرية على مرتكبها اليوم بالاعدام لأن مخالفة القيادة إن نجحت مرة فلا بد أن تخفق مراراً ، بل ربما كان فيها تقويض معالم ممالك برمتها ، ولكن منزلة طارق فى قلب موسى كانت كبيرة جداً لبعد أثره فى الجهاد ، فعفا عنـــه بعد أن توسط الخليفة الوليد بينهما ، وليس الأمر كما ادعى بعض المؤرخين من أن موسى حسد طارقاً ، وأراد أن يتم الفتح على يده ، وما كان موسى بن نصير ليحسد مولاه ولم يكن إلا حسنة من صنع يديه (١) وما كان لموسى بن نصير أن يحسد أحداً ، ولم يفتح الله على يد أحد فى عصره ما فتح الله على يديه . وقد فتح موسى إبان خـلافة معاوية قبرص واستمر موسى فاتحاً لأفريقيا والبحر الأبيض المتوسط من سنة ٧٩ ﻫ إلى سنة ٩٣ ﻫ أى قبل فتح الأندلس بأربعة

والفرسان ليكون حظى منكم ثواب الله على إعلاء كلمته واظهار دينه بهذه الجزيرة وليكون مغنمها خالصا لكم من دونه ومن دون المؤمنين سواكم . والله تعالى ولى انجادكم على مايكون لكم ذكراً فى الدارين . واعلموا أنى أول مجيب الى مادعوتكم اليه وانى عند ملتقى الجمعين حامل بنفسى على لذريق كبير القوم فقاتله ان شاء الله . فاحملوا معى فإن قتلت بعده فقد كفيتم أمره ولم يعوزكم بطل عاقل تسكلون أموركم اليه ، وان هلكت قبل وصولى اليه فاخلفونى فى عزيمتى هذه واحملوا بأنفسكم عليه واكتفوا القوم بقتله فانهم بعده يخذلون .

(١) كان يزيد بن عبد الملك ولى عهد الخلافة بعد سليمان بن عبد الملك غير أن سليمان أوصى بالخلافة لعمر بن عبد العزيز فقال ابن لعمر بن عبد العزيز لابن لسليمان بن عبد الملك : أبى كان خيراً من أبيك . فأجابه ابن سليمان : ما كان أبوك الا حسنة من حسنات ابى لأنه هو الذى أوصى له بالخلافة ولم تكن له .

عشر عاماً ، فكان موسى بن نصير فاتح زغوان ، وهوارة ، وزناتة ، وقتامة، وصنهاجة ، وساجومة ، وأرساف ، وبلاد السوس ، وجميع بلاد البربر ، كوريتانيا وغيرها، بل كان رأس موسى بن نصير متوجاً بإكليل النصر، لأنه فضلا عن فتوحاته الكثيرة فى البر فقد فتح فى البحر جزيرة ميورقة ، ومانورقه ، وجزيرة صقلية ، وجزر سردينية، وسرقوسة ، بل الحقيقة التى أثبتها المحققون من المؤرخين أن طارق بن زياد عند ما رأى أن فتوحاته أثرت فى ملوك الأفرنج ، وأن جيوش أعدائه تألبت عليه من كل جانب ، استغاث بأميره موسى بن نصير فولىَّ موسى ابنه عبد الله القيروان وطنجة والسوس ، وأبحر موسى من أفريقيا بجيش كبير عدده ثمانية عشر ألف ، ومعه حبيب بن منده القائد المشهور، وكان يوم إبحاره فى يوم خميس من شهر صفر سنة ٩٣ ﻫ يونيه سنة ٧١١ م ، فلم يكد يصل إلى الأندلس حتى سلك فيها طريقاً غير التى سلكها طارق ، ففتح أشبيلية وماريد وميناء برشلونه ، وجميع مدن الوادى الكبير ووادى كنديانا ، ثم انضم إليه جيش طارق بطليطلة فافتتح سرقسطة وبنى بها مسجداً وفتح بلنسية ودانيه وغيرها حتى وصلت جيوشه إلى جبال البرنيه فعبرها وغزا ولاية لانجدوك ، واستولى على قرقشونة (كاركاسون)وأربونه (نربون) فى مدة لم تتجاوز سنة واحدة ، وقد عزم موسى أن يتوغل فى أوربا حتى يصل إلى دمشق عاصمة الخلافة براً ، فما علم الوليد بعزم موسى حتى أرسل أحد قواده ليمنع موسى بأمر الخليفة من التوغل بأوربا،خوفاً من المغامرة بجيوش المسلمين، وأمره إن عصى موسى أمره هذا أن يؤمر بدلا منه ، وهذا مثل ما فعل موسى بطارق تماماً ، ولكن طارقاً عصى أمر مولاه ، أما موسى فقد أطاع أمر الخليفة على غير ما يحب ويرى ، فقد قال موسى : والله لو تركونى



عبد العزيز بن موسى بن نصير فى أثناء عهده لتدمير سنة ٩٣ هجرية

لافتتحت أوروبا واستوليت على روما وتخوم آسيا، حتى أصل لدمشق مقر الخلافة

« وقد قال جوستاف ليبون المستشرق الشهير فى كتابه حضارة العرب ما نصه : وقد عزم موسى بن نصير بعد فتح إسبانيا على العودة إلى سوريا من بلاد الغول والمانيا والقسطنطينية ، أى بعد أن يكون قد أخضع العالم القديم إلى أحكام القرآن، ولم ينثنى عن عزمه العظيم إلا طاعة لأمر الخليفة الذى استدعاه إلى دمشق . ولو وفق موسى بن نصير لذلك لكان قد جعل أوربا مسلمة ولكان حقق للأمم المتمدينة ما تنشده من الوحدة الدينية ولكان قد أنقذ أوربا من ظلمات العصور الوسطى التى لم تعرفها إسبانيا بفضل العرب »

فاستخلف موسى ابنه عبد العزيز على أسبانيا فى يوليه سنة ٧١٣ م ، ثم استخلف ابنه عبد الملك على طنجة ، واستخلف ابنه عبد الله على أفريقيا .

أما ابنه عبد العزيز فقد اتخذ مدينة أشبيلية عاصمة لحكومته لاتصالها بالبحر تنفيذا لأمر أبيه موسى ، وقد عامل القوط وغيرهم من أهالى إسبانيا باللين والعدل ، واعتدل فى فرض الضرائب ، وكتب معاهدة صلح بينه وبين تدمير ، أخذ بها سبع مدائن كانت باقية فى حوزة تدمير وهى : أريون . وفانتولا . واليكانت . ومولا . وفاكاسورا . وبجيرا . وأورا . ولارقه . (١)

---

(١) نص شروط الصلح التى اتفق عليها وأقسم باتباعها كل من عبد العزيز بن موسى بن نصير وتدمير أمير القوط .

بسم الله الرحمن الرحيم إن تدمير يبقى آمنا ولا يتعرض انسان بأذى لشخصه أو ماله أو أولاده أو نسائه أو كنائسه على أن يسلم المدن السبع وأن لايقبل ولايساعد اعداء الخليفة ولايكتم من نيتهم شيئا وان يدفع فى كل سنة عنه وعن كل رجل من القوط دينارا واحدا واربعة كيلات حنطة ومثلها شعيرا وقدرا من الزيت والعسل . واتباعهم نصف ذلك . كتبت لأربع خلت من شهر رجب من السنة الرابعة والتسعين من الهجرة .

فكان من أثر هذه المعاملة السمحة اعتناق كثير من القوط وخصوصاً عظمائهم الإسلام ، وتزوج عبد العزيز بن نصير إيجيليون Egilone. أرملة ملك القوط لذريق .

وفى سنة ٧١٥ م ، أى بعد سنتين من ولاية عبد العزيز على أسبانيا ، أرسل الخليفة سليمان بن عبد الملك من قتله غيلة، خوفا من انتقاضه عليه لما صنعه بأبيه موسى ، بل لقد بلغ من فظاعة سليمان بن عبد الملك عند ما أحضرت إليه رأس عبد العزيز أن استدعى والده موسى بن نصير وقال له : أتعرف هذا الرأس ياموسى ؟ قال : نعم . هذا رأس ابنى عبد العزيز ، فرحمة الله تعالى عليه. فلعمر الله ما علمته نهاره إلا صواماً ، وليله إلا قواماً ، شديد الحب لله ولرسوله بعيد الأثر فى سبيله ، شديد الرأفة بمن وليه من المسلمين ، فإن يك عبد العزيز قضى نحبه فغفر الله له ذنبه ، فو الله ما كان بالحياة شحيحاً ولا من الموت هارباً . ثم خنقته العبرات ، فلم يبق بمجلس الخليفة سليمان وقتئذ أحد إلا أذرف الدمع مدراراً على ما صنع سليمان بموسى وابنه عبد العزيز .

وتولى حكم أسبانيا بعد عبد العزيز ، أيوب بن حبيب بن أخت موسى ابن نصير ، وأسس بأسبانيا مدينة تسمى قلعة أيوب Calatayub ، وعاد موسى إلى أفريقيا سنة ٩٤ هـ ومعه مائة رجل من أبناء الملوك من البربر والأسبان، ومعه الكثير من الغنائم التى لم يسمع بمثلها، واستقبله ابن رفاعه

وقد كتبت هذه المعاهدة بين عبد العزيز بن موسى بن نصير وتدمير بالعربية واللاتينة وكان شهودها من العرب عثمان بن أبى عبده وحبيب بن أبى عبيدة وادريس ابن ميسرة وابوالقاسم الموصلى . وحفظت هذه المعاهدة فى مكتبة الاسكوريال Escnial بمدريد . وذكر المؤرخ جيبون انها محفوظة بالجزء الثانى صحيفة ٦٠٥ ٦٠٦ بالعربية واللاتينية من كتاب Bibbiotheca Orabico Hispana

والى مصر بأمر الخليفة الوليد بالطريق قبل أن يصل إلى مصر زيادة فى الاحتفاء به ولما وصل موسى لمصر سنة ٩٥ هـ أقام بها ثلاثة أيام وقد سبق أن أقام بها قبل ذلك خمسة عشر سنة من سنة ٦٤ هـ إلى سنة ٧٩ هـ كما تقدم، ووصل الكثيرين من أهل مصر بالمال، وأهدى هدايا كثيرة لأولاد عبد العزيز بن مروان، ثم سار متوجهاً لفلسطين، فتلقاه آل روح بن زنباع فنزل بهم وأجازهم جوائز كثيرة، وأقام عندهم يومين، وخلّف بعض أهله وصغار ولده عندهم (١) مثل مافعل عند ذهابه من مصر للفتح، إذ خلّف بها بعض أهله وصغار ولده (٢).

---

(١) ورد فى تاريخ سينا لنعوم بك شقير صورة موسى ابو نصير رئيس قبيلة القرارشة التى من فروعها النصيرات ووصف موسى هذا بأنه كان طويل القامة شهماً مهوبا توفى عن ٨٠ عاما فى ١١ اكتوبر سنة ١٩١٢ .

«٢» وقد ذكر الجبرتى ج ٢ ص ١٩٦ فى ترجمة المرتضى الزبيدى مؤلف تاج العروس فى شرح القاموس والمتوفى سنة ١٢٠٤ هـ مانصه : وسافر المرتضى الزبيدى الى الصعيد ثلاث مرات واجتمع بأكابره واعيانه وعلمائه واكرمه شيخ العرب همام واسماعيل ابو عبد الله واولاد وافى واولاد نصير وجادوه وبروه وكذلك ارتحل الى الجهات البحرية مثل دمياط ورشيد والمنصورة وصنف عدة رحلات فى انتقالاته فى البلاد القبلية والبحرية .

وقد جاء فى النجوم الزاهرة ج ١ ص ٣١٦ - ما نصه :

ذكر ولاية عبد الملك بن مروان على مصر : هو عبد الملك بن مروان بن موسى بن نصير اللخمى أمير مصر، ولاه الخليفة مروان بن محمد بن مروان على الصلاة والخراج معا بعد موت المغيرة بن عبيد الله الفزارى. وكان عبد الملك هذا قد ولى خراج مصر قبل أن يلى الامرة والصلاة. فلما مات المغيرة جمع له مروان الخراج والصلاة، وذلك فى جمادى الاخرة سنة ١٣٢ هـ. ولما تم أمره جعل أخاه معاوية ابن مروان بن موسى بن نصير على الشرطة ثم أن عبد الملك المذكور أمر باتخاذ المنابر فى الجوامع، ولم يكن قبل ذلك منبر، وانما كانت ولاة مصر يخطبون على العصى الى جانب القبلة، ثم خرج عليه قبط مصر بعدذلك

أما الخليفة الوليد فلم يسعه إذ كان مريضاً إلا أن أرسل رسله لموسى يتعجلونه بالمجيء اليه ، بينما كتب سليمان بن عبد الملك ـ وكان ولى عهد الخلافة إلى موسى بن نصير أن يتمهل فى قدومه لدمشق رجاء أن يموت الوليد فيقدم عليه فى صدر خلافته بالغنائم ، ولكن موسى قال لرسل سليمان : والله حييت وما غدرت ، فالآن لا أتأخر ولا أتربص ، ولكنى أسير بمسيرى فإن أوافه حياً (أى الوليد بن عبد الملك) لم أتخلف عنه ، وإن عجلت منيته فأمره إلى الله ، فرجعت الرسل إلى سليمان وأعلموه بذلك ، فقال : لئن ظفرت بموسى لأصلبنه .

واجتمعوا لقتاله فحاربهم وقتل كثيراً منهم وانهزم من بقى منهم . وفى مدة ولايته قدم صالح بن على بن عبد الله بن عباس فى طلب مروان آخر خلفاء بنى أمية الهارب الى مصر .

وفر مروان الخليفة الاموى الى بوصير وبصحبته عبد الملك بن مروان بن موسى بن نصير والى مصر وغيره من حواشيه وامرائه واقاربه من بنى أمية فقتله صالح بن على بن عبد الله بن العباس فى يوم الجمعة ٢١ ذى الحجه ثم عاد صالح بن على ودخل الفسطاط فى يوم الاحد ٨ محرم سنة ١٣٢ هـ وبعث برأس مروان الى الشام والعراق وزالت دولة بنى أمية . أما عبد الملك بن مروان بن موسى بن نصير صاحب الترجمة فانه كان لما ولى مصر أحسن السيره ولم يسيء فى حق بنى العباس فأمنه صالح وأمن أخاه معاوية وعفى عنهما (مع أنه قتل حوثره بن سهيل وحسان ابن عتاهية اللذين كانا واليين على مصر قبل عبد الملك) وبويع السفاح عبد الله ابن محمد بن على بن عبد الله بن العباس بالخلافة فى ٣ ربيع الاول سنة ١٣٢ هـ ثم خرج القائد صالح بن على بن عبد الله بن عباس من مصر فى شعبان سنة ١٣٣ هـ لتعينه أميرا على فلسطين وسار معه عبد الملك بن مروان بن نصير الذى كان امير مصر مكرما معظما .١

وصول موسى لمقر الخلافة :

قدم موسى لدمشق فى يوم جمعة من شهر صفر سنة ٩٦ هـ وكان الوليد مريضاً لكنه حضر إلى الجامع الأموى (١) فامتلأ المسجد بالعظماء ورجال الدولة وجمهور لايحصى عدده ، وكان اسم موسى وقدومه يدويان على ألسنة الناس ، وما صعد الخليفة إلى المنبر حتى بعث موسى برسله مع ثلاثين رجلا من أبناء ملوك البربر والجزائر والرومان والإسبان البسوا الثياب الملكية الزاهية ، ووضع على رأس كل منهم تاج ، وأوقفوا على يمين المنبر ويساره ، ثم بعد قليل من الوقت بعث موسى خمسمائة من مواليه يحملون الغنائم الكثيرة من الأموال والجواهر واللؤلؤ والياقوت والزبرجد والكساء الموشى بالذهب والمرصع باليواقيت ، ووضعوها جميعاً أمام أنظار الخليفة ، وبعد قليل من الوقت أرسل موسى بن نصير أيضاً كبار قولده من قريش والبربر والعرب للجامع يصحبون ملوك البربر والأسبان والروم والأفرنج الذين قوض موسى دعائم عروشهم ، ثم مضت على ذلك فترة ليست قليلة كان الناس فيها فى سكون تام ، مأخوذين مما يرون ، منتظرين قدوم موسى ، وما أقبل موسى بن نصير على القوم حتى ضجوا بصوت واحد : موسى !! موسى !! فسلم موسى على الوليد ، ثم خطب الخليفة خطبة، نزل بعدها فخلع على موسى ثلاث مرات ، وأجازه بخمسين ألف دينار ، وفرض لولده جميعا وللخمسمائة من مواليه فى الشرف ، وأحسن الجوائز لكبار قريش والعرب من قواد موسى .

وقد توفى الخليفة الوليد ، وتولى بعده الخلافة سليمان بن عبد الملك فى ربيع الأول سنة ٩٦ هـ بعد مجىء موسى لدار الخلافة بأربعين يوماً ، فلم يكن من سليمان بن عبد الملك إلا ما كان منتظراً منه ، فعذب موسى عذاباً أليما ، وأخذ مااختص به موسى بن نصير من الغنائم ، وأرسل من قتل

---

(١) الجامع الاموى انشاه الخليفة الوليد وانفق عليه احد عشر مليونا ومتى الف دينار أى ما يوازى ستة ملايين من الجنيهات المصرية

عبدالعزيز بن نصير والى أسبانيا غدراً ، وعزل عبد الله بن نصير عن ولاية أفريقيا، وكان يريد قتل موسى، لولا محبة عمر بن عبد العزيز له، ومن الكلمات المأثورة عن عمر بن عبد العزيز قوله لموسى :(يا ابن نصير، إنى أحبك لأربع : الواحدة : بعد أثرك فى سبيل الله ، وجهادك لعدو الله . والثانية : حبك لآل محمد ، صلى الله عليه وسلم . والثالثة : حبك عياض بن عُقبه لما تعلم من حسن رأيي فيه - وكان عياض من عباد الله الصالحين - والرابعة : أن لوالدى عندك يداً وصنيعة وأنا أحب أن تتم صنيعته حيث كانت) .

وعند ماعزم الخليفه سليمان على الحج دعا موسى لصحبته . ولما قدما المدينة قال موسى لبعض القوم : سيموت رجل بعد يومين ، قد بلغ ذكره المشرق والمغرب ، فظنو أنه ربما يعنى الخليفة ، فماكان اليوم الثانى حتى سُمِعَ الناس يقولون : مات موسى بن نصير . وكان موسى بن نصير سياسياً حكيما خبيراً بإدارة الممالك ، محباً للمجد ، وقد توفى وعمره ثمانية وسبعون عاما ، وكانت وفاته سنة ٩٧ هـ — ٧١٥ م فصلى عليه سليمان بن عبد الملك فرضى الله تعالى عنه (١) .

---

(١) ترجمة موسى بن نصير لخصت من الطبرى ج ٤ ص ٢١ — ابن كثير ج٩ ص ١٧١ — ابن الاثير ج ٢ ص ١٦٥ و ج ٤ ص ٢٢١ و ٢٢٧ - النجوم الزاهرة ج ١ ص ١٩٨ — الامامة والسياسة لابن قتيبة فتوح البلدان للبلاذرى ص ٢٣٨ — ابن خلكان ج ٢ص ١٧٦ — الفتوحات الاسلامية لابن دحلان - حقائق الأخبار فى دول البحار لسرهنك باشا ج ١ ص ١٩٦ — الاسلام السياسى للاستاذ حسن ابراهيم حسن ص ٤٨٥ — أشهر مشاهير الأسلام للعظم ج ١ ص ١٦٣ — الاعلام للزركلى ج ٣ ص ١١٥ — دائرة المعارف للبستانى ج ٤ و ٦ و ١١ - دائرة المعارف لوجدى ج ٩ دائرة المعارف الفرنسية الكبرى ج ١٦ص ٣٢٦ - الجبرتى طبعة ميرى سنة ١٢٩١ هـ ج ٢ ص ١٩٦ الحلل السندسية للامير شكيب أرسلان - تاريخ سينا لنعوم بك شقير ص ١١٢ .

حضارة العرب جوستاف لبون - ابن خلكان ج ٢ ص ١١٦ - معجم البلدان لياقوت الحموى ج ١ ص ٢٦١ .

الجزء الثاني

أبطال الفتح الإسلامي

من الترك

« الأبطال الذين سجل أخبارهم هذا الكتاب هم الفاتحون لبلاد كانت غير »
« تابعة للحكومة الاسلامية. أما أبطال الاسلام الذين أسسوا ملكهم على »
« أنقاض دول إسلامية مثل السلطان سليم الأول ومحمد على باشا »
« وغيرهما ، أو الابطال الذين دافعوا عن الممالك الاسلامية مثل السلطان »
« محمود نور الدين بن زنكى وصلاح الدين الأيوبى والشيخ شامل بطل »
« القوقاز والأمير عبد القادر الجزائرلى وتيبو صاحب وغيرهم فسنفرد »
« لهم كتاباً يدون أخبارهم وينشر آثارهم إن شاء الله تعالى »

مقدمة
فى تاريخ الترك السياسى والأدبى

الترك أمة من أشهر أمم العالم وأقدمها . وقد اتفق المؤرخون من عرب وإفرنج على أنهم من ولد يافث بن نوح ، وأبوهم ترك الذى سماه هيرودوت ترجيثاوس ، وذكر فى التوراة باسم نوجرما ، خرجوا من جبال التائى وتفرقوا فى آسيا العليا .

وقال ابن خلدون إن من أجناس الترك التغزغز وهم التتر والخطا ، وكانوا بأرض طمغاج بلاد ملوكهم فى الاسلام ، وهى التركستان وكشغر ومنهم الخزلجية والغز الذين كان منهم السلاجقة والهياطلة الذين منهم الخلج وبلادهم الصغد قريبا من سمرقند ويسمون بها أيضا . ومنهم الغور والخزر والقفجاق واللان (الشركس) والبلغار وغيرهم .

وقد ورد فى بعض الروايات أن أوغورخان بن قراخان هو الذى أسس بفتوحاته وشرائعه دولة الترك ، وكان فى أيام ابراهيم الخليل عليه السلام ، وأنه ترك الوثنية لعبادة أصح منها ، وحارب أخاه حربا دينية ومدنية استمرت سبعين سنة . وكان أبوه قراخان يشتو فى قراقروم، ويصيف فى جبال اورطاغ . ثم ظفر أوغورخان بأخيه ومات عن ستة أبناء قسمت مملكته عليهم . وكان لكل منهم أربعة أبناء فكانوا آباء أربع وعشرين قبيلة تركية إكتسحوا كل البلاد الواقعة بين جيحون وسيحون وتقدموا حتى نهر الطونة والبوسفور . ولما ظهر جنكزخان انتقلت سلطتهم من الترك إلى أولاد عمهم التتار ، وبذلك انحطت دولتهم فى آسيا الصغرى وفى العراق وما والاها بعد أن كانت تابعة للسلاجقة . وبعد موت تيمورلنك عاد الترك فاستعادوا ملكهم .

وقد ذكر ملتبرون أن أمة التتار مزيج من أمم الترك وينقسمون إلى أربع طوائف كبيرة عددها ست عشرة قبيلة : —

١ — أتراك التركستان

٢ — التركمان الذين هم فى شرقى بحر الخزر ببلاد العجم وأرمينية وآسيا الصغرى .

٣ — الازبكية فى خيوا وبخارى الكبرى .

٤ — البخاريون فى مدن بخارى الكبرى والصغرى .

٥ — أتراك قرمان الذين أتوا من التركستان .

٦ — العثمانيون أو أتراك الأناضول والقسطنطينية وغيرهم وهم من تركستان .

٧ — تتر فوغابيس فى بلاد القرم وكوبان وبساربيا ، ويقال لهم منكات وبينهم وبين المغول نسب وثيق ، ومن هؤلاء قسم فى قوه قاف . ومنهم أيضا الكرج والشركس والأباظه وغيرهم .

٨ — الكومانيان وهم الآتون من سفح قوه قاف إلى كومانيا الكبرى والصغرى وبلاد المجر .

٩ — القفجاق ومنهم تترقازان الذين هم أكثر التتر تمدناً وأفصحهم لغة ، وتتر أوفا وأورنبرج والبشكير الذين كان بينهم وبين البلغار والفنة صلات ، والمكجرياك وهم كالبشكير والقراقليك وهم فى شمال بحر أورال .

١٠ — القرغيز وهم فى صحارى تركستان .

١١ — أهل سيبريا وهم قبائل كثيرة .

١٢ — تتركرا سنوارسك وكوتزنيسك وأمة السوبيته .

١٣ — الكاجنزية .

١٤ — تترجوليم .

١٥ — التلبوته أو الكلموك البيض والابنزية والبلتسيرية والبير
بوسية وهم فى أعالى بينسى .

١٦ — الياقوتية وهم على نهر لينا .

* * *

استولى الترك على مملكة عظيمة من حدود الصين إلى بحر الخزر؛ ثم فى سنة ٧٤٤ م ظهرت على مملكتهم أمة تسمى الويغور وهى أول قبيلة تركية استعملت الكتابة ، وكانوا أولا بوذيين ثم تمجسوا على مذهب زرادشت وأسلموا فى القرن التاسع الميلادى .

وكانت منازل الأمة التركية بين الصين وفارس . ولما انقسمت دولة الصين إلى ثلاث حكومات استطاع الترك عندئذ امتلاك دولة الصين سنة ٣٠٨ م أما الترك الذين نزلوا بين نهرى الأورال والفولجا فقد شرعوا منذ القرن الخامس للميلاد يتقدمون حتى الدانوب ، وعرفوا باسم الهون ، ومن بقاياهم المجر والبلغار والتركمان والمغول .

وكان يعاصر كلا من جستنيان الثانى امبراطور القسطنطينية سنة ٥٦٥-٥٧٨م وكسرى أنوشروان ٥٣١ - ٥٧٠ م ملك تركى عظيم الشأن يسمى الخاقان بومن امتدت مملكته من حدود الصين حتى نهر جيحون ونزل سائر الأتراك الشاردة فى الشمال من قبقاج وسواهم من مملكته على طول نهر الفولجا . وكان مصاهراً للأسرة الملكية الصينية . فلما توفى بومان‌خان انقسمت مملكته بين أولاده فاكتسح إمبراطور الصين لى‌يان بلادهم . ولما مات هذا الفاتح الصينى تراجعت الصين عن فتوحه فى‌التركستان

وفى هذا الحين فتحت الدولة الاسلامية العربية أرمينية وفارس وكان ملك الترك إيلى خان هو الذى حمى يزدجرد ملك الفرس الذى قتل فى فرغانه سنة ٦٥١ م سنة ٣١ هـ .

وذكر السيد محمد بيرم فى كتابه صفوة الاعتبار (جـ ١ ص ٢٣) أن

إمبراطور الصين - سوتيسنغ - استنجد بالخليفة أبى جعفر المنصور وقت أن ثارت عليه رعاياه فأرسل اليه أربعة آلاف جندى كانوا سببافى اخضاع الصين له ؛ ولذا أجاز إمبراطور الصين للمسلمين الأقامة فى الصين والتزوج ببنات أعيانها وأن يكونوا مستقلين فى اداراتهم وعباداتهم، احراراً فى اقامة شعائرهم حتى بلغ عددهم فى هذا العصر ستين مليوناً إلى آخر ما ذكر من أحوالهم.

وكان هذا دافعا للترك عن الصين بتأثير مزاحمة العرب لهم فيها، بل وتقرب الترك من العرب واعتناقهم الاسلام. وكانت سياسة العباسيين إزاء الترك أفعل من سواها فى نشر الاسلام فيهم. ولم يكد يشيع بينهم أن أم الخليفة المعتصم تركية حتى أسلم من الترك فى سنة ٢٤٩ ﻫ مليون من الأنفس كما ذكر ابن الأثير. ثم عم الاسلام جميع الترك. وقد جلب الخليفة المعتصم الى بغداد كثيراً من اولاد امراء الأتراك وأقطعهم القطائع فى سر من رأى (سامرا) ومنهم جفْ من أولاد ملوك فرغانة وهو جد محمد بن طغج بن جف الاخشيدى الذى كان ملكا على مصر من ٣٢٤ الى ٣٣٥ﻫ ٩٣٥-٩٤٦م. وأشهر الدول التركية هى بنو ساسان فيما وراء النهر وخراسان. ملكوا ١٧٠ سنة وانقرضوا سنة ٣٩٠ ﻫ؛ ثم بنو سبكتكين المعروفة دولتهم بالدولة الغزنوية وعاصمتها غزنة، وملكوا بلاد السامانية ودام ملكهم ١٧٢ سنة وانقرضوا سنة ٤٢٩ ﻫ واشتهر من ملوكهم السلطان محمود الغزنوى فاتح الهند. ثالثا السلجوقيون وملكوا ١٤٠ سنة وانقرضوا سنة ٥٨٩ﻫ. وتفرع من الدولة السلجوقية عدة دول ملكت حلب والشام وآسيا الصغرى وانقرضت دولهم بظهور الدولة العثمانية سنة ٦٩٩ ﻫ بتولية عثمان بن أرطغرل سلطاناً عليها.

أما جنكزخان المغولى (ومن ذريته تيمورلنك وهولاكو) فهو من

قبيلة تترية كانت تقيم حول بحيرة بيكال ؛ وكانوا لا يزيدون على أربعمائة ألف نفس ،كانوا يتبعون الخان الأكبر ملك التتار وكانوا يسمون المغول . وقد استولى جنكزخان على قره كروم سنة ٦٠٣ هـ سنة ١٢٠٦ م وغزا الصين سنة ١٢١٦ م ثم انتصر على الروس بالقرب من مدينة مريوبول سنة ١٢٢٤م.

وأسس باتو أحد أحفاده مدينة سراى على نهر الفولجا ؛ وقد استمرت سيادة التتار على روسيا أكثر من قرنين ؛ حتى تمكن أمير موسكو الروسى بالحيلة على ملوك التتار بتعهده بجمع الخراج من باقى أمراء الروس فكان ذلك اكبر مساعد على اتحاد أمراء الروس بزعامة أمير موسكو؛ وساعد على ذلك انقسام التتار بالروسيا الى ثلاث إمارات ؛ القرم وقازان واستراخان؛ فعندئذ كونت الروس مملكة لهم عاصمتها موسكو .

وفى أثناء فتوح جنكزخان العظيمة فرت أمام جنوده قبيلة قابى خان برآسة سليمان شاه ابن قبا آلب وهو جد آل عثمان. ولما غرق سليمان شاه دفن بقلعة جعبر سنة ٦٢٩ هـ أما ابنه ارطغرل فقد نصر عسكر سلطان قونية السلجوقى على عسكر المغول فمنحه سلطان قونية بعض مدن منها أسكى شهر وغيرها . وقد ولد له فى سكود عثمان مؤسس الدولة العثمانية سنة ٦٥٦ هـ وقد تولى الحكم بعد أبيه سنة ٦٨٠ هـ وأعلن نفسه سلطاناً على البلاد التى يحكمها سنة ٦٩٩ هـ وأسس الدولة العثمانية .

وذكر المغفور له احمد جودت باشا فى الجزء الاول من تاريخه : أن جيوش الجنكيزيين بعد أن عبروا بحر الخزر (قزوين) استولت على قازان وجعلتها مقراً لحكومتها وأكرهت الروسيا على دفع الجزية لها ؛ ثم استولت على القرم التى كان أمراؤها يلقبون بكراى خان . وبعد موت السلطان اينتشم خان سلطان قازان من غير ولد انضمت مملكته إلى أمراء القرم،

ثم ذكر جودت باشا تاريخ منكلى خان الذى طلب من السلطان محمد الفاتح اعتبار بلاده قسما مستقلا من الدولة العثمانية. وذكر تاريخ دولت كراى خان الذى استولى على موسكو عاصمـــة الروس بعد أن حاصرها أربعين يوما، وأورد تاريخ دولت كراى الثانى الذى استولى على كثير من أراضى الروسيا وكان لنشاطه وقوته أكبر فضل فى انتصار تركيا على روسيا سنة ١١٢٣ هـ بجوار نهر البروت فى الواقعة التى حصلت بين بلطجى محمد باشا والقيصر بطرس الاكبر.

وذكر ابن بطوطة فى رحلته ســـنة ٧٣٢ هـ أحوال سلاطين التتار بآسيا والقرم وقازان وذكر احتفالاتهم وتمسكهم بالاسلام.

* * *

الأمة التركية هى أمة سيف وقلم؛ فجميع سلاطين الأتراك وأمرائهم من العلماء والشعراء. وقد ظهر فى الترك كثير من العلماء أمثال ابن سينا وإسمه أبو على الحسين بن عبد الله ويلقب بالشيخ الرئيس، وهو من بلخ ولد سنة ٣٧٠ هـ وله كتب كثيرة فى الطب والفلسفة والتوحيد والفقه والمنطق؛ وله خمسة عشر مؤلفاً فى العلوم والطبيعة والرياضة أغلبها بمكاتب أوربا. وله مؤلفات فى الآداب السياسية والموسيقى. ومنهم أبو نصر بن اسماعيل بن حماد الجوهرى صاحب كتاب الصحاح وسماه تاج اللغة وصحاح العربية وهو من فاراب ببلاد الترك، وخاله اسحاق بن ابراهيم الفارابى صاحب ديوان كتاب الأدب.

ومنهم شمس الدين الذهبى ولد سنة ٦٧٣ هـ وهو محمد بن احمد بن عثمان بن قايماز التركمانى؛ له مؤلفات كثيرة منها تاريخ الاسلام وطبقات مشاهير الأعلام. ومنهم أبو المحاسن تغرى بردى ولد سنة ٨١٣ هـ فى القاهرة وأبوه مملوك تركى للسلطان الظاهر برقوق وهو صاحب كتاب النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة، الذى تطبعه الآن دار الكتب. وكاتب شلبى توفى

سنة ١٠٦٧ هـ وهو صاحب كتاب كشف الظنون فى أسامى الكتب والفنون، وكتاب تحفة الكبار فى أسفار البحار، وكتابه المسمى جهانما وغيره من الكتب التى جعلته من أشهر المؤلفين والمؤرخين .

ومنهم شانى زاده محمد عطاء الله وهو من المؤرخين، توفى سنة ١٢٤٢ هـ وله مؤلفات فى الطب والطبيعيات. ومن مؤلفاته مرآة الأبدان فى التشريح. وله مؤلفات فى الحساب والهندسة والجبر والمقابلة . وله كتاب من أهم كتب التاريخ .

ومنهم العلامة سعد الدين صاحب كتاب تاج التواريخ. والصدر الأعظم محمد راغب باشا وكان من كبار العلماء والشعراء وهو صاحب كتاب السفينة وله عدة تآليف فى السياسة وغيرها من العلوم .

والمؤرخ الكبير أحمد جودت باشا ، وأمير البحر بيرى ريس الذى ألف كتابين فى الجغرافية عن بحر الارخبيل والبحر الأبيض المتوسط ؛ وأمير البحر سيدى على الذى ألّف جملة ابحاث رياضية وبحرية. وألّف كتابه الذى سماه بالمحيط وصف فيه بحار الهند .

أما شعراؤهم فمنهم الغازى فاضل وعلى شير نواى واحمد كمال باشا الذى له ديوان شعر يسمى البنجارستان يشبه ديوان السعدى المسمى جولستان . (حديقة الورد) والشاعر الباكى ، وله قصيدة رثاء فى السلطان سليمان. والشاعر الفضولى وله قصيدة فى حب ليلى ومجنونها. وشناس وكمال بك وأكرم بك وزعيم الروائيين الاتراك حامد بك عبدالحق . ومن شعراء الاتراك بمصر ابن منجك وحسن حسنى باشا الطويرانى ، ومن العلماء عارف باشا وغيرهم . وكان من الخمسة والثلاثين سلطاناً من سلاطين آل عثمان واحد وعشرون سلطاناً ينظمون الشعر .

وكانت العظمة والنبوغ من حظ كثير من الاتراك . فكان جنكزخان أكبر

الفاتح عرفته الدنيا ؛ فقد استولى على امبرطورية الصين بأكملها وأكثر أنحاء آسيا ، واستولى فى أوربا على كثير من ممالكها كالروسيا ورومانيا وبلغاريا ويوغسلافيا والمجر وغيرها ، فكانت حدود مملكته الشرقية بحـــر الصين وحدودها الغربية بولونيا والمانيا والنمسا . أما تيمورلنك فكان أظلم وأجرأ قائد فى عصره كما أن هولاكو كان أكبر مدمر للممالك . وكان محمـــود نور الدين بن زنكى ملك مصر والشام والموصل أتقى ملك فى عصره . طلبت منه زوجته بعض المال فأعطاها ثلاثة دكاكين فى حمص كانت له يحصل منها فى السنة عشرين ديناراً؛ فلما استقلتها قال ليس لى إلا هذا ، وجميع ما بيدى أنا فيه خازن للمسلمين لا أخونهم فيه ولا أخوض نار جهنم لأجلك. ومثله فى التقوى طوغرل بك مؤسس السلطنة السلجوقية كان يقول إنى لأستحى من الله أن أبنى داراً ولا أبنى إلى جانبها مسجداً . ومثله أيضاً ملك شاه السلجوقى فقد روى الهمذانى أنه لما اجتاز هذا السلطان بمشهد على ابن موسى الرضى بطوس وهو ذاهب لحرب أخيه تكس سأل وزيره نظام الملك وقد أطالا الدعاء بأى شىء دعوتَ ، قال دعوت الله أن ينصرك ويظفرك بأخيك . فقال أما أنا فلم أدع بهذا بل قلت اللهم انصر أصلحنا للمسلمين وأنفعنا للرعية . وكان أيمن وأبرك سلطانين على الاسلام السلطان محمود الغزنوى فاتح الهند وناشر الاسلام بها ، بالهند مائة مليون مسلم والسلطان محمد الفاتح الذى عناه رسول الله صلى الله عليه وسلم بحديثه الشريف «لتفتحن لكم القسطنطينية ؛ فلنعم الأمير أميرها ،ولنعم الجيش ذلك الجيش» وأكبر أمير بحر عرفته البحار الى هذا العصر خير الدين باشا بربروس الذى تدرس مناوراته وخططه البحرية الحربية بجميع مدارس البحرية فى العالم. ومن الذين نبغوا فى هذا العصر من الأتراك مصطفى كمال باشا بطل غاليبولى وصاحبه القائد العظيم والسياسى الكبير عصمت باشا رئيس الجمهورية التركية ؛ فهما

البطلان العظيمان اللذان أنقذا تركيا وجعلاها من أعظم دول الشرق .

وبما يسر العالم الاسلامى الخطوات العظيمة التى قام بها أخيراً فخامة رئيس الجمهورية التركية عصمت باشا وأصحابه أمثال القائد الكبير رئيس مجلس الأمة كاظم قره بكير باشا ،والمرشال فوزى باشا تشقمق واخوانهم فى سبيل الاسلام ، فأعادت الحكومة التركية تعليم القرآن الكريم بالمكاتب، وانشأت كلية للشريعة الاسلامية بالاستانة . وقد قرر المجلس الوطنى الكبير بتركيا فى شهر يونيه سنة ١٩٤٧ تنظيم التعليم الدينى وتأسيس معاهد دينية ، ووضعت وزارة المعارف التركية مواد هذا القانون ووافق عليه مجلس الوزراء بما اعتبر نصراً كبيراً للحركة الدينية التى انتعشت أخيراً فى تركيا .

وفق الله مصر وتركيا وجميع دول الشرق لأعادة مجد بلادهم وزيادة رفاهيتها .





السلطان محمود بن سبكتكين الغزنوي
فاتح الهند

السلطان محمود بن سبكتكين الغزنوى

٣٦٠هـ — ٤٢١هـ

ولد البطل العظيم والفاتح الكبير السلطان محمود بن سبكتكين بن آلب تكين فى مدينة غزنة فى ١٠ محرم سنة ٣٦٠ هـ . وكان جده آلب تكين أحد القواد الأتراك فى جيش ملوك السامانيين ملوك خراسان وما وراء النهر ،فترك آلب تكين خدمة السامانيين وقدم إلى غزنة واستولى عليها سنة ٩٦٢ م وألف بها جيشاً من الأتراك وبسط بهذا الجيش مملكته . ثم توفى وخلفه ولده سبكتكين سنة ٩٧٦ م ففتح كابول (عاصمة الأفغان) ثم فتح جميع البلاد الأفغانية واستعز بشعبها الباسل .

وفى سنة ٩٩٧ م منحت الدولة السامانية سبكتكين بلاد ما وراء النهر مكافأة له على انجاده إياها فى ثورة ثارت عليها فى بلادها .

ومن هذا الوقت طمع سبكتكين فى غزو الهند وشن الغارات على البنجاب فجمعت راجاوات لاهور ودهلى وأجنير وقنوج وكالنجار وهم من راجاوات الهند العظام جيشاً كبيراً به مائة ألف من الفرسان لمحاربة سبكتكين . فنصر الله سبكتكين عليهم وفرق شملهم ثم توفى رضى الله تعالى عنه سنة ٣٨٨هـ

خلف سبكتكين ولده محمود سنة ٣٨٨ هـ وهو السلطان العظيم صاحب الفتوحات الكبيرة فى الهند وناشر الإسلام فيها . فتح بخارى وخلف الدولة السامانية فيها سنة ٣٨٩هـ وامتدت سلطته على أفغانستان وتركستان وخراسان وطبرستان وسجستان . وقد تألبت عليه راجاوات (أمراء) لاهور وآننغبال ودهلى وأجمير وقنوج وكنغليور وكاليجار وأودجايين بجميع جيوشها وفيلتها وما تملكه من معدات القتال فكأن العالم البرهمى قد وقف أمام العالم

الإسلامى . وحصلت الموقعة الهائلة بينهما فى باتنـداه فتمزق شمل الهنود وانتصر السلطان محمود الغزنوى نصراً مبيناً ثم ابتدأ غزواته الثلاث عشرة للهند من سنة ٣٩٢ هـ إلى سنة ٤١٦ هـ غنم فى فتوحاته بالهند مغانم لم يذكر التاريخ لها مثيلا .

ففى غزوته الأولى سنة ٣٩٢ هـ والتى كان عدد جنوده بها خمسة عشر ألف جنـدى استولى على بلاد الملك جيبال الهندى كما استولى على غنـائم كثيرة منها قلادة هذا الملك التى قومت بمائتى ألف دينار غير خمسمائة ألف من الأسرى .

وفى غزوته الثانية سنة ٣٩٥ هـ استولى على بهاضيته

وفى غزوته الثالثة سنة ٣٩٦ هـ فتح الملتان وكواكير وهى من أكبر حصون الهند المنيعة بعد أن حاصرها ثلاثة وأربعين يوماً

وفى غزوته الرابعة سنة ٣٩٧ هـ استولى على بعض بلدان الهند

وفى غزوته الخـامسة سنة ٣٩٨ هـ استولى على شاطىء نهر هندمند بعد أن إنتصر على ابرهمن بال ابن أندبال ، كما إستولى على بهيم نغر وهى من مدن الهند العظيمة . وممـا غنمه منها تسعون مليون درهم شاهية ، ومن الذهب والفضة سبعمائة ألف واربعمائة مَنّ .

وفى غزوته السادسة سنة ٤٠٠ هـ استولى على نارين .

وفى غزوته السابعة سنة ٤٠٤ هـ استولى على ناردين

وفى غزوته الثامنة سنة ٤٠٥ هـ استولى على تانيشر

وفى غزوته التاسعة سنة ٤٠٦ هـ استولى على بعض بلدان الهند أيضاً .

أما فى غزوته العاشرة سنة ٤٠٧ هـ فقد استولى على كشمير صلحاً وهو دب بعد ان هزم صاحبها كالكند وغنم فى هذه الغزوة كثيراً من الغنائم ، منها

خمسة أصنام من الذهب مرصعة بالجواهر حتى بلغ وزن ذهبها ٦٩٠٣٠٠ مثقالا . وكذا فتح قنوج ثم عبر نهر الكنج وماؤه مقدس عند الوثنيين وفتح سبع مدن عظيمة على هذا النهر وهدم الهياكل التى كانت قائمة على ضفافه . كما فتح قلعة آسى وشروى وسبي كثيراً من الأسرى حتى كان يباع الواحد منهم بعشرة دراهم .

وفى الغزوة الحادية عشرة سنة ٤٠٩ ﻫ قاتل بيدا أعظم ملوك الهند بعد أن عبر نهر الكنج ففر بيدا والتحقت جيوشه المهزومة بجيوش الملك برو بجيبال فأصبح الجيشان يفوقان جيش السلطان محمود بكثير . ولكن السلطان محمود سحق هذين الجيشين وفتح بارى . وكان من ضمن غنائمه فى هذه الغزوة مائتا فيل .

وفى الغزوة الثانية عشرة سنة ٤١٤ ﻫ فتح بلدانا كثيرة فى الهند أيضاً

أما فى الغزوة الثالثة عشرة سنة ٤١٦ ﻫ فقد استولى على كوجرات وحطم صنمها سيمونات أكبر أصنام الهند ، وكان الهنود يحجون إلى هذا الصنم فى أوقات خاصة حتى كان يبلغ عددهم أحياناً مائة ألف نفس . وكان الهنود يزعمون أن الأرواح إذا فارقت الأجساد اجتمعت عند هذا الصنم ، وعلى مذهب التناسخ ينشئها فيمن شاء . وأن المد والجزر الذى عنده إنما هو عبادة البحر له على قدر استطاعته . وقد وقف الهنود عشرة آلاف قرية للانفاق على هذا الهيكل وسدنته . وكانوا يقدمون لهذا الصنم نفيس الجواهر . وكان سدنته ألفاً وثلثمائة رجل . وكان به أيضاً خمسمائة سيدة وثلثمائة رجل يلقون الأناشيد ويرقصون داخل المعبد . وكانوا يعتقدون أن البلاد التى فتحها السلطان محمود والأصنام التى حطمها إنما كان ذلك لغضب الصنم سيمونات عليها ، ولذا قتلوا جميعاً فى الدفاع عن هذا الصنم حتى بلغت قتلاهم خمسين ألفاً وقد غنم السلطان محمود فى هذه الغزوة

عشرين مليون دينار من الذهب والفضة والجواهر . ولقد شيد السلطان محمود بغزنة عاصمة ملكه جامعه الكبير وجعل عتبته من أحجار الصنم سينمونات .

وقد قال بديع الزمان الهمذانى واصفاً فتح هذا البطل العظيم بأنه «الفتح الذى تضاءلت أمامه الفتوح . وأثنت عليه الملائكة والروح » ومابلغ الخليفة العباسى القادر بالله أخبار هذه الفتوحات حتى لقب محمود الغزنوى بلقب سلطان وسماه يمين الدولة ويمين الملة

وقد قال المسيو رينيه غروسه René Grousset صاحب كتاب تاريخ آسيا الذى ظهر سنة ١٩٢٢ م فى ثلاثة مجلدات ممحصاً من روايات أكابر المحققين وذلك فى بحث الهند لعهد الاسلام ماترجمته :

إن محمودا أقام بصليبية اسلاميــــة(يعنى بذلك سلسلة حروب أشبه بالحروب الصليبية)استمرت الى القرن الثامن عشر،وكانت كسائر الصليبيات جامعة بين روح الدعوة الدينية وروح الطمع فى الفتح ؛وأن محموداً بقيت صورته العالية مشرقة على ثمانية قرون ملآى بالفتوح لأن الجهاد الذى كان هو أول أبطاله لم يبلغ حد النهاية إلا فى فجر العصر الحديث بعد أن عرفت أرض البراهمة من جبال الهملايا إلى سواحل كورماندل باسم الله تعالى ودانت لسلاطين الترك المغولين .

وقال ولسلى هيج W. Haig فى كتاب Encyclopaedia of Islam جـ ٢ ص ١٣٤ « يمكننا الى حد ما أن نعتبر محمود الغزنوى سلطاناً هندياً خالصاً فقد فتح فى خريف حياته إقليم البنجاب ونشر الاسلام فى ربوع الهند وفتح طريقاً سلكه بعده كثيرون » وذكر ستانلى لينبول فى كتابه The Mohammadan Dynasties ص ٢٨٤ « أن حملات الغزنويين فى بلاد الهند واتخاذهم لاهور مقراً لهم يمكن اعتباره بدء حكم المسلمين الحقيقى فى

هذه البلاد فقد مهدت الدولة الغزنوية فى لاهور السبيل امام محمد بن سام الغورى وخلفائه الذين تولوا سلطنة دلهى والذين نشروا نفوذ المسلمين فى كافة ارجاء البلاد الهندية الشمالية » .

وقد اعترف جميع المؤرخين من عرب وإفرنج بأن محمود الغزنوى لم يكن فاتحاً فحسب ، بل كان سلطاناً عاقلا أديباً جمع بين دولتى السيف والقلم لأنه بعد أن فتح العراق العجمى واستولى على أصبهان والرى التى انتزعها من بنى بويه ، وعلى نيسابور وطوس وهراة جعل غزنة عاصمة ملكه مركزاً للعلم والعرفان والحكمة والأدب ، فجمع بها الفيلسوف نصر الفارابى ، والشاعر الأكبر هوميروس العجم الفردوسى الذى نظم له الشاهنامة ، والعلامة الكبير أبو الريحان البيرونى صاحب الجغرافية ، وأبو الفضل بديع الزمان الهمذانى ، وأبو بكر الخوارزمى والمؤرخ العتبى الذى كتب للسلطان محمود بن سبكتكين تاريخاً خاصاً به ، وأبو الحسن الخمّار الطبيب ، وأبو نصر العـراق الرياضى وغيرهم من الشعراء مثل الفروخلى والاسجودى .

وقد أشاد المؤرخون والشعراء بمدح السلطان محمود قال فيه بديع الزمان الهمذانى هذه القصيدة :

تعالى الله ما شاء وزاد الله إيمانى
أإفريدون فى التاج أم الأسكندر الثانى
أم الرجعة قد عادت إلينا بسليمان
أظلت شمس محمود على أنجم سامان
وأمسى آل بهرام عبيداً لابن خاقان
اذا ما ركب الفيل لحرب أو لميدان
رأت عيناك سلطاناً على منكب شيطان

فمن واسطة الهند إلى ساحة جرجان
ومن قاصية السند إلى أقصى خراسان
على مقتبل العمر وفى مفتتح الشان
فيوما رسل الشاه ويوما رسل الخان
فما يغرب بالمغرب عن طاعتك إثنان

توفى السلطان محمود بن سبكتكين الغزنوى رضى الله تعالى عنه فى ربيع الآخر سنة ٤٢١ هـ سنة ١٠٣٠ م وكان قد أوصى لأبنه محمد بالملك وهو أصغر من ابنه مسعود ؛ ولكن مسعودا تغلب على أخيه محمد وأخذ منه الملك ولم يسىء إليه بل أحسن السيرة معه .

كما أن سبكتكين والد السلطان محمود كان قد أوصى بملكه لإبنه اسماعيل وهو أصغر سنا من محمود ؛ ولكن السلطان محمود استولى على ملكه بعد سبعة أشهر وأحسن إلى اخيه أيضا فرضى الله تعالى عنهم ؟





السلطان الغازي عثمان خان

ولد ٦٥٦ جلس ٦٩٩ توفى ٧٢٦

السلطان الغازى عثمان الاول

سنة ٦٥٧ هـ - ٧٢٦هـ

ولد السلطان عثمان سنة ٦٥٧ هـ سنة ١٢٥٩ م واعتلى العرش سنة ٦٩٩هـ سنة ١٢٩٩ م وتوفى سنة ٧٢٦ هـ سنة ١٣٢٦ م وهو ابن أرطغرل بن سليمان شاه قائد قبيلة الأوغوز إحدى قبائل الترك التى نزحت من سهول آسيا الغربية إلى آسيا الصغرى أمام اكتساح التتار لآسيا الغربية .

وكان من رجال هذه القبيلة الفارس من أشجع فرسان الترك استقرت أولا بأرمنية ثم أراد سليمان شاه أن يعود إلى وطنه الأول وكان له أربعة بنين سنقور تكين وكون طوغدى وأرطغرل ودندار . فنى أثناء عودته غرق فى أحد روافد الفرات فدفنوه بقلعة جعبر قرب أورفه . وانقسمت قبيلته إلى قسمين عاد القسم الأول إلى وطنه مع ولديه سنقور تكين وكون طوغدى وسار القسم الثانى بقيادة ولده أرطغرل ورئاسته ومعه أخوه دندار ، إلى اسيا الصغرى قاصدين الاقامة بها . وكان من حسن حظ أرطغرل أن قابل وهو فى طريقه جيشين يتقاتلان وعلم أن احدهما بقيادة السلطان علاء الدين سلطان قونية (١) وان الجيش الآخر جيش تترى كان أكثر عدداً وأشد بأساً من جيش علاء الدين فساعد أرطغرل بجيشه علاء الدين فكان ذلك سبباً فى هزيمة التتار ففرح السلطان علاء الدين

---

(١) قونية : إحدى الامارات السلجوقية التى تأسست عقب انحلال دولة آل سلجوق بموت السلطان ملك شاه فى ١٥ شوال سنة ٤٨٥هـ ١٨ نوفمبر سنة ١٠٩٢ وهذه الامارات كانت من أملاكهم بالاناطول وهى عشرة قرة سى وصاروخان وآيدين وتكه والحميد والقرمان وكرميان وقسطموني ومنتشا وقونية .

بأرطغرل واقطعه اقليما من سلطنته بجوار أقليم بيثنيا التـــابعة للدولة البيزنطية ومن هذا الاقليم طوما نيج وأسكى شهر بواديهما فأقام أرطغرل بمدينة سكود وقد توفى أرطغرل سنة ٦٨٧ هـ سنة ١٢٨٨ م فعين السلطان علاء الدين إبنه عثمان على اقطاعات أبيه أرطغرل وفى هـذه السنة وَلدَت مالى خاتون زوجة عثمان (وهى ابنة الشيخ آده بالى من كبار العلماء الصالحين) إبنه أورخان .

ولم يكد السلطـان عثمان يتولى إمارة أبيه حتى شمر للفتوح ففتح قره حصار سنة ٦٨٨ هـ واستشهد فى فتحها أخوه دندار وفتح إنه كول . فلقبه السلطان علاء الدين بالغازي وأجاز له أن يضرب السكة باسمه وان يدعى له فى خطبة الجمعة وبذلك صار عثمان ملكا بالفعل لا ينقصه إلا اللقب .

أغارت قبائل التتار الغزنوية على بلاد عـلاء الدين فثارت رعيته عليه وكانو يتألمون من تعسفه ففر ناجياً بنفسه إلى ميخائيل باليولوغوس صاحب القسطنطينية حيث توفى هناك . فاستقل حينئذ ولاة علاء الدين بمـا تحت ايديهم من البلاد واستقل عثمان بالولاية التى منحه اياها سلطان قونية سنة ٦٩٩ هـ سنة ١٢٩٩ م . وجعل عاصمة ملكه ينى شهر - وتنطق بالتركية ينى شير أى المدينة الجديدة - .

بدأ السلطان عثمان فتوحه العظيمة بالاستيلاء على كوبرى حصار ثم استولى على كثير من أحصن مدن الروم بآسيا الصغرى مما يجاور نيقية وفى سـنة ١٣٠١ م قابل عثمان لأول مرة جيشا يونانيا عظيماً منظما يقوده موزاروس رئيس فرقة الحرس الخـاص بإمبراطور بيزنطه فانتصر عليه عثمان انتصاراً مؤزرا وكان ذلك بمدينة قيون حصار من بلادنيقوميديا ثم واصل فتوحه حتى سواحل البحر الأسود وكانت المدن والمعاقل تسقط فى

يده مدينة بعد أخرى ومنها لفكة وجادرلق ويكيجه وآق حصار وتكفور بيكار وقلعة قرة جيش ونيقومديا ثم فتح جزيرة ساقس سـنة ٧٠٧ هـ سنة ١٣٠٨ م ولم يكد يفتح نيقية حتى أخذ يراسل الولاة النصارى فيعرض عليهم الاسلام أو الجزية أو السيف فأسلم بعضهم وانتصر على الآخرين ولم يبق امامه إلا بروصة فشدد عليها الحصار وفتح حصن أردنوس الواقع على قمة جبل أولمبس وكان هذا الحصن المنيع مشرفاً عليها وقد كان ذلك بعد حصـار بروصة بعشر سنوات وعندئذ أمر امبراطور القسطنطينية أندرونيكوس عاملها أفرنوس بتسليمها لعثمان فدخلها إبنه أورخان سنة ٧٢٦ هـ سنة ١٣٢٦ م . ولم يتعرض لأهلها بسوء وسمح لهم بالخروج منها مقابل دفع ثلاثين الف دينار وأسلم حاكمها أفرينوس فمنحه لقب بك وصار من مشاهير القواد العثمانيين .

بعد استيلاء السلطان عثمان على بروصة شعر بالمرض فاستقدم إبنه أورخان وأوصى له بالملك لشجاعته ولم يوص بملكه إلى إبنه الأكبر علاء الدين لميله إلى الورع والعزلة .

وتوفى رحمة الله فى ٢١ رمضان سنة ٧٢٦ هـ سنة ١٣٢٦ م ودفن ببروصة حسب وصيته عن ثمانية وستين عاماً بعد أن حكم تسعا وثلاثين سنة منها اثنا عشر عاما قضاها عاملا لعلاء الدين وسبعة وعشرون عاما قضاها سلطاناً .

وكان عثمان من مؤسسى الدول ورعاة الشعوب وبناة المجد فكان مقداما جسوراً عاقلا له الكلمة النافذة على قلوب شعبه وعساكره . عادلا حكيما حسن السياسة محسناً متعففا بسيرته ومطعمه وملبسه . لم يترك بخزائنه شيئاً من الذهب أو الفضة وانحصرت تركته فى قفطان مطرز وعمامة ومناطق من نسيج القطن فرضى الله تعالى عنه .



السُلطان الغازي أورخان خان

ولد ٦٨٠ جلس ٧٢٦ توفى ٧٦١

السلطان الغازى أورخان الأول

سنة ٦٨٧ هـ - ٧٦٠ هـ

السلطان أورخان الملقب بالغازى هو ابن عثمان بن أرطغرل ولد سنة ٦٨٧ هـ وتولى الملك سنة ٧٢٦ هـ وجعل عاصمة ملكه بروصه وقد أوصى له بالملك أبوه عثمان لما يعهده فيه من الشجاعة والكفاية فى الأمور العسكرية ولم يوص به لبكر أولاده عـلاء الدين لميله إلى الورع والعزلة . فطلب السلطان أورخان من أخيه علاء الدين أن يشركه فى سلطنته فأبى فعينه صدراً أعظم وعهد اليه بتدبير أعمال المملكة الداخلية ليتفرغ هو للجهاد .

وكان علاء الدين حكيما عاقلا حسن التدبير أميناً فى أعماله صادق الخدمة لأخيه . فنشر التعليم بين أفراد المملكة وسَنَّ قوانين كثيرة للدولة جعلت أمته تتفوق على من يجاورها من الأمم . ومن أهم أعمال علاء الدين انشاؤه فرق ينى تشارى (أى العسكر الجديد وحرفت بالعربية إلى انكشارية) : ذلك أن قره خليل (وهو الذى صار فيما بعد الوزير الأول بأسم خير الدين باشا) أشار عليه بانشاء هذه الفرق من أسرى الحرب من سن السابعة إلى الرابعة عشر وفصلهم عن كل ما يذكرهم بجنسهم ثم تربيتهم تربية اسلامية حربية فكانوا يحفظون القرآن ويتعلمون الفنون العسكرية ثمانى سنين

---

(١) بروصة : مدينة من آسيا الصغرى عاصمة ولاية خداوندكار تبعد سبعة وخمسين ميلا عن القسطنطينية الى الجنوب وخمسة عشر ميلا عن بحر مرمرة الى الجنوب الشرقى وهى من اكبر مدن الأناضول عمارية . وقد اشتهرت بما فيها من الآثار السلطانية ومدافن سلاطين آل عثمان ومصانع الأقمشة الحريرية والسجاد وبها أسواق متسعة وكانت فى القديم عاصمة بيثنيا .

بحيث لا يعرفون لهم أباً إلا السلطان ولا حرفة إلا الجهاد فى سبيل الله ولعدم وجود أقارب لهم بين الأهالى كان لا يخشى تحزبهم عليه فأنشأ هذه الفرق ودعا لها بالنصر الحاج بكطاش شيخ طريقة البكطاشية بأماسيا . فكانوا من أهم عوامل امتداد سلطة الدولة العثمانية . ولكن الفساد سرى اليهم فى أواخر عهد آل عثمان وازداد طغيانهم فألغى السلطان محمود الثانى فرقهم بعد أن قتل أغلبهم فى يوم ١٦ يونيه سنة ١٨٢٦ م ٩ ذى القعدة سنة ١٢٤١ هـ لعصيانهم أوامر الدولة .

وفى سنة ٧٣١هـ توفى الوزير علاء الدين وخلفه سليمان باشا بن السلطان أورخان على الصدارة العظمى .

أما السلطان أورخان فاستولى من اليونان على نيقوميديا وأزميد وأزنيك بعد حصار سنتين واسس بها عدة مدارس وعين أكبر أولاده سليمان باشا حاكما عليها . كما استولى أورخان على ما بقى من بيثنيا وكذلك ضم لمملكته إمارة قره سى لوقوع الخلاف بين ولدى أميرها بعد موته . تقرب امبراطور القسطنطينية يوحنا كنتاكوزين من السلطان أورخان وزوجه ابنته ثيدورا ليتقوى به على أمير الصرب إصطفان دوشان الذى كان يريد أن يستولى على القسطنطينية بعد أن استولى على بلغاريا لولا أن فاجأته المنية فى ٢٠ ديسمبر سنة ١٣٥٥ م .

وفى ليلة مباركة من ليالى سنة ١٣٥٧ تغير تاريخ أوربا باستيلاء سليمان باشا أكبر أولاد أورخان وولى عهده وصدر مملكته على مركب بشاطىء بوغاز الدردينل الاسيوى عبر بها ومعه أربعون من أشجع جنوده البوغاز إلى شاطئه الأوربى حيث استولى مع صحبه على جميع المراكب التى كانت هناك وعاد بها إلى الشاطىء الاسيوى فنقل عليها إلى الشاطىء الاوربى أكثر

من ثلاثين الفا من جنوده الذين كان أعدم هناك . فاستولى على ميناء ترنيب وغاليبولى الحصينة ورودستو وابسالا وغيرها وبلاد كثيرة من تراقية .

ولقد أنشأ السلطـان أورخان أول جيش نظامى فى العـالم إذ كانت جيوش العالم قبل ذلك من الجنود المتطوعين والمرتزقين . بل لقد كان تأليفه لجيشه النظامى هذا قبل أن ينشىء شارل السابع ملك فرنســا فرقه الخمس عشرة التى اعتبروا انشاءها أول عهد الاوربيين بالجيش النظامى كما نشر التعليم ونظم البلدان وسن القوانين .

بعد هذه الأعمـال العظيمة صُدم السلطان أورخان بوفاة إبنه سليمان إذ سقط عن جواده فمات شهيداً بعد أن كان يد أبيـه اليمنى فى فتح ترنيب وغاليبولى وتراقيه . ذلك الفتح الذى كان مقدمة لاستيلاء تركيا على قسم عظيم من أوربا . فحزن عليه أبوه السلطان أورخان حزناً شديداً وأمر أن لاينقل جثمانه الى بروصة بل يدفن فى مقبرة فخمـة على سـاحل الدردنيل بالشاطىء الأوربى الذى اقتحمه بجنوده ليكون ذلك حافزاً للترك على فتح أوربا .

توفى أورخان سنة ٧٦٠ هـ سنة ١٣٥٩ م بعد أن حكم ثلاثة وثلاثين عاماً فرضى الله تعالى عنه .





السلطان الغازي مراد خان

ولد ٧٢٦ جلس ٧٦١ توفي ٧٩١

السلطان الغازى مراد الأول

سنة ٧٢٦ هـ - ٧٩١ هـ

ولد السلطان الغازى مراد الأول بن أورخان بن عثمان سنة ٧٢٦ هـ وتولى الملك سنة ٧٦١ هـ فكانت فاتحة أعماله استيلاءه على مدينة أنقره عاصمة سلطنة القرمان(إحدى الامارات السلجوقية العشر)وفى سنة ٧٦٣هـ عين لاله شاهين (سر عسكر) وعين خليل جاندرلو قاضى بروصه (قاضى عسكر) ثم قلده الصدارة العظمى ودُعى بخير الدين باشا .

ثم ابتدأ السلطان مراد فتوحاته بأوربا وفتح قلاع بيطور وشورلى ومسللى وبرغوس وبرغاز وديمتوقه وكيشان . وفى شهر ذى القعدة من سنة ٧٦٣هـ فتح مدينة أدرنة العظيمة وعين شاهين باشا محافظا لها ولأهمية موقعها الجغرافى ووقوعها على ملتقى ثلاثة أنهر نقل السلطان مراد عاصمة ملكه من بروصة اليها . ثم فتح مدينة فيلبة ثم فتح قائده أفرينوس بك مدن وردان وكلجمينا وبذلك صارت القسطنطينية محاطة بأملاك آل عثمان وكذلك فتح قائده أفرينوس بك سيروز ومناستر وبهشتته وموشنه وعينه السلطان مراد واليا على هذه الجهات الأربع . فجزع المسيحيون لتقدم الأتراك بأوربا وحرضوا البابا أورباتوس أن يطلب من ملوك أوربا الاتحاد لمحاربة المسلمين حفظا للدين المسيحى من الفتوح الاسلامية . فاستجاب ملوك أوربا لدعوته ولكن لم ينتظر أروك الخامس (الذى عين ملكا على الصرب بعد دوشان) حتى تكتمل جيوش أوربا لمحاربة السلطان مراد بل تقدم فى سنة ٧٦٦ هـ - ١٣٦٣ م بجيشه ومعه ملك المجر وملك البوسنة وحكام الأفلاق بجيوشهم التى بلغت ستين الفا من خيرة الجنود

وأشدهم بأساً . فاجتازت نهر مريج حتى أصبحت قريبة من مدينه أدرنة .

ولكثرة عددهم تملكهم الغرور ولم يتخذوا الحيطة والحذر من الاتراك. وبينما هم فى حفلة طرب لعبت بعقولهم الخمـــر إذ فاجأتهم ليلا جيوش الأتراك بقيادة شاهين باشا القائد العام للجيوش العثمانية باوربا فلم ينتبهوا الا على تكبير الجنود المسلمين وهم يحصدونهم حصداً ويمعنون فيهم قتلا ومن حاول الهرب منهم كان يغرق فى نهر مريج حتى ضاقت مياهه نغرقاهم واستولى السلطـان مراد على مدينة بنش فاضطر أمير الصرب إلى طلب الصلح وقبوله دفع جزية سنوية قدرها ألف رطل من الفضة وألف فارس من خيرة الفرسان . فقبل السلطان مراد طلبه وعقد معه الصلح . وفى سنة ١٣٦٥ م ارسلت جمهورية(راجوزه) إلى السلطان مراد رسلا أمضوا معه معاهدة وديّة وتجارية تعهدوا فيها بدفع جزية سنوية قدرها خمسمائةدوكا ذهبا . وهذه أول معاهدة أمضيت بين العثمانيين والدول المسيحية .

وفى سنة ١٣٧٩م إتحد لا زار جربلينا نوفتش (الذى استوى على عرش الصرب بعد قتل أوروك) مع سيسمان أمير البلغار على مقاتلة العثمانيين ومحاربتهم لكنهما بعد مناوشات خفيفة تحققا فى خلالها عجزهما عن مكافحة العساكر الاسلامية عقدا صلحا مع السلطان مراد على أن يدفعا للدولة العثمانية خراجا سنوياً معيناً وأن يتزوج السلطان مراد إبنة أمير البلغار.

بعد هذه الفتوح العظيمة استراح السلطان مراد من عناء الحروب ست سنوات زوج فى اثنائها إبنه بايزيد من ابنة أمير قرمان الذى قدّم للسلطان مراد مدينة كوتاهية الشهيرة وسما وقلعتى اكرى كوز وطوشانلى وطلب الحاقهن بالممالك العثمانية فقبل منه السلطان ذلك ثم زوج إبنته نفيسه لأمير قره مانيا السلجوقى وتزوج هو واثنان من أولاده أميرات من بيزنطة . ثم

اهتم باصلاح بلاده وتنظيم عاصمته أدرنة وشيد مبانى عظيمة بها كما نظم فرق السباه فقد وضع قائده ديمرطاش باشا الذى خلف المغفور له شاهين باشا نظاما خاصاً لهذه الفرق الخياله واختار اللون الأحمر لاعلامها . ثم أنشاء السلطان مراد من رعاياه المسيحيين فرقاً حربية تقوم بسائر الأعمال والشئون الخاصة بخدمة الجنود سواء كانوا بالثكنات أو بساحة القتال .

وفى سنة ١٣٨١ م استأنف السلطان مراد الفتح فاستولى على اقليم الحميد (احدى الامارات السلجوقيه العشرة بآسيا الصغرى) وحارب قائده ديمرطاش باشا الصرب والبلغار ففتح موناستيرو بيرليه وأستيب ووقعت مدينة صوفيا عاصمة البلغار فى قبضة العثمانيين سنة ١٣٨٣ م بعد حصارها ثلاث سنوات . ثم فتح الصدر الاعظم خير الدين باشا مدينة سالونيك الشهيرة .

وفى سنة ١٣٨٦ م شن أمير قره مانيا الحرب على تركيا فأرسل السلطان مراد ابنه بايزيد لمحاربته فتقابل الجيشان وحدثت بينهما موقعة عظيمة بجوار أيقونيوم أظهر فيها الأمير بايزيد بسالة خارقة اكسبته اسم يلدرم (الصاعقة) لصدق حملته وسرعته على الأعداء وبهذا اللقب يعرف فى كتب التاريخ إلى الآن . فخذل أمير قره مانيا خذلاناً عظيما ولم يحفظ له حياته إلا توسط إمرأته بنت السلطان مراد بشرط دفعه الجزية .

وفى سنة ١٣٨٧ م غدرت الصرب ببعض الجيوش التركية بأوربا وكان سيسمان ملك البلغار يريد الانضمام إلى لازار ملك الصرب ولكن الوزير على باشا (ابن الصدر الأعظم خير الدين باشا الذى توفى فى يكيجة سنة ٧٨٧ هـ) هزم جيوش البلغار واستولى على ترنوه وشمله وفرّ سيسمان ملك البلغار إلى مدينة نيكوبيلى سنة ١٣٨٨ . ثم خرج منها لمحاربة الترك

ولكنه هزم ووقع أسيراً فضم السلطان مراد نصف بلاده إليه ولم يقتله بل رتب له ما يقوم بمعاشه مراعيا فى ذلك مقامه السابق . وفى سنة ٧٩١ هـ تحالف لازار ملك الصرب وحكام وملوك البشناق والبانيا وبولونية والمجر والفلاخ على محاربة تركيا حتى بلغت جيوشهم مائتى الف جندى ووقفوا بسهل قوصوه وهو سهل واسع يجتازه مجرى صغير من الماء يعرف بشنتزة وكان وقوفهم على ضفته الشمالية . اما السلطان مراد فقاد جيوشه حتى وقف امام جيوش اعدائه ثم القى نظرة عليها فهاله ما رآه من كثرتها فعقد مجلساً حربيا للتشاور والمفاوضة فى أحسن الخطط لمحاربة عدوه كما عقد لازار وحلفاؤه مجلساً حربيا للتشاور أيضا وقال بعضهم انه خير لنا أن نفاجىء العثمانيين فى الليل كما فعلوا بنا فى موقعة نهر مريج قبل ستة وعشرين عاما . ولكن لم ينتهوا إلى رأى . أما السلطان مراد فقضى الليل الطويل مبتهلا إلى الله تعالى أن ينصره ويثبت اقدامه فى قتال العدو وأن يكتب له اذا شاء موتة البررة الصالحين الذين يقتلون فى سبيل الله شهداء . (ذكرنا هذا الموقف بموقف النعمان بن مقرن فى موقعة نهاوند التى تسميها العرب فتح الفتوح والتى انتهى بها فتح بلاد الفرس إذ وقف مبتهلا إلى الله أن ينصره والمسلمين ويقبضه شهيداً فمات شهيداً بعدالنصر رضى الله تعالىعنه).

وفى الصباح تقابل الجيشان فكان جيش العثمانيين يقود قلبه السلطان مراد وميمنته ابنه الأمير بايزيد وميسرته ابنه الأمير يعقوب . أما جيش أعدائه فكان الملك لازار فى القلب وعلى الميمنة ابن أخيه فوك برنكوفتش وعلى الميسره ملك البشناق ثم نشب القتال بين العسكرين فكانت حرباً طاحنة لم يستطع أحدهما زحزحة الآخر عن الموقع الذى ثبتت فيه اقدامه ولم تبدر للنصر بادرة . ثم أن ميسرةالعثمانيين تزحزحت بعض الشىء عن مواقعها لتشديد الابطال المسيحيين من الصرب والالبان عليها فعندئذ أسرع

الأمير بايزيد بامدادها بعدد عظيم من ميمنته فعاد النظام إلى صفوفها وحمل البطل بايزيد على الأعداء حملة تنخلع لها قلوب الجبابرة (مما يذكرنا بمواقف على بن أبي طالب وحمزة بن عبد المطلب وخالد بن الوليد رضى الله تعالى عنهم) فسالت الدماء أنهاراً وفى اثناء المعركة ترك جيش الاعداء (فوك برانكوفتش) صهر الملك لازار ومعه عشرة آلاف فارس ولحق بجيش المسلمين. فانتصر الجيش العثمانى أبهر انتصار وخذل الله تعالى جيوش الاعداء. وفى هذه الاثناء قام أمير من أمراء الصرب من بين الجرحى اسمه ميلوش كابيلوفتش متظاهراً أنه يريد تقبيل يد السلطان مراد وطعنه بخنجره طعنة قاتلة فلم تتركه جنود السطان حتى مزقت جسمه إرباً. ولكن الله جلت قدرته أراد ان لا يموت السلطان مراد إلا بعد أن جىء أمامه بملك الصرب لازار أسيراً مكبلا بالأغلال وتُلى عليه حكم الاعدام ونفذ فيه فمات السلطان مراد قرير العين بفتوحاته العظيمة وبالنصر فى هذه الموقعة الحاسمة فى ١٥ شعبان سنة ٧٩١ هـ ٨ اكتوبر سنة ١٣٨٨ م عن خمس وستين سنة ـ وقد بلغت مدة حكمه ثلاثين سنة. ونقل جثمانه الطاهر إلى بروصة دفن بها رضى الله تعالى عنه.





السلطان الغازي يلدرم بايزيد خان

ولد ٧٦١ جلس ٧٩١ توفي ٨٠٥

السلطان الغازى بايزيد الاول

سنة ٧٦١ هـ - ٨٠٥ هـ

ولد السلطان الغازى بايزيد الأول بن السلطان مراد الأول بن أورخان ابن عثمان سنة ٧٦١ وتولى الملك فى ١٥ شعبان من سنة ٧٩١ وتوفاه الله فى فى سنة ٨٠٥ كان أول فتوحه فتح مدينة آلا شهر المعروفة عند الافرنج باسم فيلادلفيا سنة ١٣٩١ م وهى آخر مدينة بقيت للروم فى آسيا ، ثم وجه جيوش الفتح إلى أوربا فأخضع ملك الصرب اسطفان بن لازار إلى دفع الجزية للدولة العثمانية وتزوج بايزيد من أخته أوليفيرا ثم حاصر القسطنطينية وغزا بلاد الفلاخ حتى اكره اميرها دوك مانيس على امضاء معاهدة يعترف فيها بسيادة الدولة العثمانية على بلاده ويتعهد لها بجزية سنوية . وفى سنة ١٣٩٤ م ضم بلاد البلغار إلى الاملاك العثمانية بعد أن قتل أميرها سيسمان وأسلم ابنه . ثم علم بأن علاء الدين أمير القرمان السابق قام بثورة يريد بها استرداد امارته من الدولة العثمانيه فعاد إلى آسيا وقهر علاء الدين وأخذه أسيراً هو وولديه وضم مابقى من أملاكه اليه. ثم استولى على باقى الامارات السلجوقيه وهى آيدين ومنتشا وصاروخان وقسطمونى .

ولما علم سجسموند ملك المجر ما حل ببلاد البلغار خشى على مملكته فاستنجد باوربا وساعده البابا بونيفاس التاسع واعلن الحرب الدينية بين أقوام أوربا الغربية فأجاب الدعوة دوك برجونيا (١) وأرسل ابنه

---

(١) برجونيا - كانت ولاية عظيمة فى شرق فرنسا مستقلة لم يكن لملوك فرنسا عليها سوى السياده وحق طلب الجنود للحرب عند الضرورة وأهم أمرائها شارل الجسور الذى توفى سنة ١٤٧٧ م بدون عقب وضمت أملاكه الى مملكة فرنسا

الكونت دى نيفر ومعه ستة آلاف محارب أغلبهم من اشراف فرنسا واشهر قوادها منهم الكونت دى لامانش وأولاد عم ملك فرنسا وهم يعقوب وهنرى وفيليب وكان ممن اشترك فى هذه الحرب الصليبية من كبار الزعماء فيليب زعيم أرتوا وحامل لقب كونت آيو قريب البيت الملك فى فرنسا وقائد قوادها وكونت دى كريسى والكونت جون ده فين أميرال فرنسا وبوسيكولت مرشال فرنسا ورجينلد دى روا وغيرهم من زهرة الفروسية الفرنسية ونخبه أبطال القرون الوسطى الاوربية . وفى منتصف مارس سنة ١٣٩٦ م وصل هـــذا الجيش إلى المانيا وانضم إليه فردريك كونت هو هنزلرن كما انضم إليه فرسان القديس يوحنا الاورشليمى (١) وحشد ملك المجر جمــــاعة من فرسان بافاريا (٢) بقيادة بعض أمراء الولايات الألمانية كما حشد سيجسموند كل جندى فى بــلاده وكما خان أمير الفلاخ عهده للدولة العثمانية وانضموا جميعاً إلى هذا الجيش الصليبى .

تولى رآسة هذا الجيش وقيادته العامة الكونت دى نيفر وكان غرض هذه الحملة الصليبية سحق جيوش بايزيد والاستيلاء على الشام لتخليص بيت

---

(١) فرسان القديس يوحنا الاورشليمى : هم طائفة من الرهبان الذين ذهبوا الى بلاد فلسطين فى القرن الحادى عشر للمسيح أثناء الحروب الصليبية التى أثارها المسيحيون على المسلمين لامتلاك القدس الشريف. ولما استولى السلطان صلاح الدين الأيوبى على مدينة اورشليم سنة ١١٨٧ م انتقلت هـــذه الطائفة الى عكا ثم الى جزيرة رودس واتخذتها مركزاً لمحاربة المسلمين . ولما فتح السلطان سليمان القانونى هذه الجزيرة سنة ١٥٢٢ م رحلت هذه الطغمة الى جزيرة مالطة فاحتلوها الى أن فتحها نابليون بونابرت سنة ١٧٩٨ م فانمحت هذه الطائفة .

(٢) بافاريا : مملكة مستقلة بألمانيا يبلغ عدد ســكانها خمسة ملايين من الأنفس وعاصمتها ميونخ وهى داخلة ضمن الامبراطورية الالمانية التى تشكلت سنة ١٨٧١ م

المقدس من أيدى المسلمين فعبرت هذه الجيوش نهر الدانوب وعسكرت حول مدينة نيكوبلى.

أما السلطان بايزيد فقدسار بجيشه الذى بلغ عدده مائتى الف جندى وعسكر فى سهل واقع على مسافة قريبة من معسكر العدو وكان بين الفريقين نشز من الارض احتجبت خلفه حماة الاسلام فلم يبصرهم الاحلاف المسيحيون .وأمر السلطان بايزيد عسكره غير النظاميين بالتقدم وقد أخفى عساكره النظاميين فبدأ الفرسان الفرنسيون القتال وماكادوا يتغلبون على بعض جنود الاتراك حتى ملك الكونت دى نيفر الغرور وتعقب الجنود السباهية الهاربين الذين جاءوا لنجدة الجنود غير النظاميين بالرغم عن نصيحة الكونت دى كورس له بترك ذلك فلم يكد يبلغ بفرسانه قمة التل الذى ذكرنا خبره قبلا حتى رأى نفسه وجنوده أمام غابة كثيفة من الرماح المشرعه لا تدرك العين آخرها وفى مقدمتها السلطان على رأس جنوده المختارين فاحاطوا بهذه الفئة الباغية وقطعوا عليها خطوط الرجعة بعودة بقيه غير النظاميين من الجنود الترك الذين كانوا قد هزموا أولا. فاضطر الفرنسيون إلى القتال حتى خارت قواهم وقتل اغلبهم وأسر الباقون . أما بايزيد فقد زحف بعد نصره هذا على الملك سيجسموند ففرت أغلب جنوده خوفاً من بطش الاتراك ولم يثبت غير ملك المجر وجنوده وجماعة من البافاريين فأبادهم السلطان وهرب سيجسموند . وبعد هذا الانتصار المبين ركب السلطان بايزيد جواده وتفقد الموقعة فهاله ما قتل من رجاله وصاح قائلا سأنتقم لجنودى من الاسرى ثم أمر باخراجهم وكان عددهم عشرة آلاف فى رقابهم الاغلال وفى أيديهم السلاسل فقدموا اليه ومعهم الكونت دى نيفر(الذى كان قائداً عاماً لهذه الجيوش) فأمر بإطلاق سراحه ومنحه حق اختيار أربعة وعشرين من أشراف النصارى ليعفوا عنهم ثم أمر

بذبح الباقين . وشهد هذه المذبحة مع الكونت دي نيفر الاربعة والعشرين شريفاً الذين نجوا من القتل وممن ذبح أمامهم الكونت هنر دي أنطوان. ولما أقتيد الكونت بوسيكوليت مارشال فرنسا للذبح جثا الكونت دي نيفر أمام السلطان ملتمساً العفو عنه لأنه عزيز على ملك فرنسا وفي مقدوره دفع فدية عظيمة فعفا السلطان عنه . ثم تغلبت عليه عواطفه الشريفة وامر بالعفو عن آلاف من الاسرى . ثم أرسل ملك فرنسا مبالغ كبيرة للسلطان بايزيد فدية للكونت دي نيفر وغيره من الاشراف وبعد أن مكثوا أسرى ببروصة ردحا من الزمن أطلق السلطان سراحهم بعد أن أقسموا ألا يعودوا لمحاربة الترك ولكن السلطان بايزيد خاطب الكونت دي نيفر قائلا إني اسمح لك الا تبر بهذه اليمين فأنت في حل من استئناف الحرب فلا شيء أحب إلى من محاربة جميع مسيحي أوربا والانتصار عليهم ».

ثم غزا قواده بعد واقعة نيكوبلي إستريا وجنوب المجر وقاد السلطان بايزيد جيشاً لغزو اليونان فزحف على تساليا واستولى على لوكريس وفوسيس وبيوسيا وبلاد البلوبونسوس ثم استولى على أثينا سنة ١٣٩٧ م

هذه الأعمال الكبيرة قام بها السلطان بايزيد في مدة لم تزد عن التسع سنين من ٨ أكتوبر سنة ١٣٨٨ يوم توليته الملك إلى ١٣٩٧ بعد انتصاره العظيم في موقعة نيكوبلي وفتح بلاد اليونان.

مكث بعدئذ السلطان بايزيد خمس سنوات في راحة من عناء الحروب كان ينظم فيها بلاده وجيشه الذي كان يريد أن يخوض به حرباً تنيله الإستيلاء على القسطنطينية بل والاستيلاء على روما. لكنه فوجيء بمحاربة تيمورلنك (١) في معركة سهل أنقرة. تلك المعركة التي انتصر فيها تيمورلنك

(١) تيمورلنك . أي تيمور الاعرج ولد سنة ١٣٣٦ م ببلدة بالقرب من سمرقند ويتصل نسبه بجنكرخان وخلف عمه سيف الدين في امارة كيش سنة ١٣٦٠م

فى ١٩ ذى الحجة سنة ٨٠٤ هـ ٢٠ يوليه سنة ١٤٠٢ م وترجع هزيمة السلطان بايزيد فى هذه المعركة إلى ثلاثة عوامل .

١ — أن جيش بايزيد لم يكن يبلغ ١٢٠ ألف جندى بينما جيش تيمورلنك كان لا يقل عن ٤٠٠ ألف جندى بل وفى بعض الروايات ٧٠٠ ألف جندى

٢ ـ أن جيش بايزيد كان مؤلفاً من الترك والتتار (أولاد عمومتهم) وماكادت تتار بايزيد يرون تيمورلنك وجنوده التتار حتى تركوا جيش بايزيد وانضموا إلى جيش تيمورلنك وكان عددهم خمسين ألف جندى تقريباً

٣ — أن جيش تيمورلنك كان يحتوى على كثير من أمراء وجنود الإمارات السلجوقية التى سحقها بايزيد وآبائه .

كل هذه العوامل أدت إلى هزيمة البطل العظيم بايزيد فأسره تيمورلنك فى ١٩ ذى الحجة سنة ٨٠٤ هـ ٢٠ يوليه سنة ١٤٠٢ م ومات رضى الله تعالى عنه فى ١٥ شعبان سنة ٨٠٥ هـ ٩ مارس سنة ١٤٠٣ م وعمره أربعة وأربعين سنة وعند موته أمر تيمورلنك (موسى) إبن بايزيد بأن ينقل جثمان أبيه إلى بروصه باحتفال كبير حيث دفن بجانب والده السلطان مراد الأول وتجزأت أملاك الدولة العثمانية إلى عدة إمارات صغيرة واستقلت البلغار والصرب والفلاخ . ولكن الله العزيز الحكيم أراد أن يعيد للدولة العثمانية

وأخذ فى فتح ما حوله من الامارات والقبائل ثم فتح بــلاد خوارزم وكاشغر وبلاد ايران ومنها ســار الى جنوب روسيا وفتح اقليم آزاق ثم قصد بلاد الهند فانتصر على صاحب دهلى وفتح معظم الهند ومنها عاد الى الغرب وفتح بلاد الشام ومدينة بغداد التى خربها وقصد بلاد الصين فى جيش كبير بعد أن حارب السلطان بايزيد وأخذه أسيراً فعاجلته المنون قبل أن يصل الصين فى اقليم خوقند فى ١٧ شعبـان سنة ٨٠٧ هـ ١٩ فبراير سنة ١٤٠٥ م.



السلطان الغازي محمد خان چلبي

ولد ٧٨١ جلس ٨٠٦ توفي ٨٢٤

مجدها السابق فى فترة لم تتجاوز الثلاث سنوات مات فيها تيمورلنك فى ١٩ فبراير سنة ١٤٠٥ م وهو فى طريقه لفتح الصين أى بعدسنتين ونصف من هذه المعركة بينما تولى السلطان محمدالاول بن بايزيد ملك أبيه سنة ٨٠٥ هـ وبعد حربه وانتصاره على اخوته الذين كانو قد استقلوا ببعض الإمارات أعاد للدولة أغلب بلدانها ومات سنة ٨٢٤ هـ سنة ١٤٢١ م بمدينة أدرنه وعمره ثلاثة وأربعين سنة وأوصى بالملك بعده لإبنه مراد الثانى الذى تولى الملك سنة ٨٢٤ هـ سنة ١٤٢١ م فأعاد إلى الدولة جميع الإمارات السلجوقية التى كانت قد خرجت على الدولة وأجبر ملك الصرب جورج برنكوفتش على أن يدفع جزية سنوية خمسون ألف دوكا ذهباً وأن يتنازل للدولة عن بلدة كروستيفاتش الواقعة وسط بلاد الصرب وأن يزوجه إبنته مارا. وفى سنة ١٤٣٠ م أعاد فتح مدينة سالونيك بعد حصارها ١٥ يوماً وفى سنة ١٤٣٣ م إعترف أمير الفلاخ بسيادة الدولة العثمانية على بلاده فلم يبق بحمد الله تعالى أى أثر سيء لموقعة تيمورلنك مع بايزيد بل استعادت الدولة العثمانية مجدها الأول وزادت أملاكها باستيلائها على ثغر أزمير. فرضى الله عن السلطان بايزيد وعن ابنه السلطان محمد الاول وعن حفيده السلطان مراد الثانى.





السلطان الغازي ابو الفتح محمد خان

ولد ٨٣٣ جلس ٨٥٥ توفي ٨٨٦

السلطان الغازى محمد الثانى

٨٣٣ هـ — ٨٨٦ هـ

ولد السلطان الغازى محمد الثانى الفاتح فى ٢٦ رجب سنة ٨٣٣ هـ ٢٠ أبريل سنة ١٤٢٩ م وهو ابن السلطان مراد الثانى بن محمد الأول بن بايزيد ابن أورخان بن عثمان وهو سابع سلاطين آل عثمان

تولى السلطنة فى ٥ محرم سنة ٨٥٥ هـ ٩ فبراير سنة ١٤٥١ م (١) فكان بدء أعماله الاستعداد لفتح مابقى من بلاد البلقان وفتح مدينة القسطنطينية فشرع يبنى حصناً على الجانب الأوربى من البسفور فى مكان يبعد عن شمال القسطنطينية بخمسة أميال وفى أضيق عرض للبسفور وجعله مقابلا للحصن الذى بناه بايزيد على الضفة الآسيوية ثم أعلن الحرب على دولة القسطنطينية وحاصرها فى أوائل ابريل سنة ١٤٥٣ م من جهة البر بجيش يبلغ مائتين وخمسين ألف جندى ومن جهة البحر بعمارة مؤلفة من مائة وثمانين سفينة وأقام حول القسطنطينية أربع عشرة بطارية مدفعية وضع بها مدافع ضخمة

---

(١) تولى محمد الثانى السلطنة فى حياة أبيه مرتين لم تتجاوز مدتهما اثنى عشر شهراً. ذلك أن والده السلطان مراد الثانى بعد أن قام بأعماله الكبيرة فى خدمة الدولة العثمانية اعتزل الملك وأقام بمغنيسيا ليتفرغ لعبادة الله وعين ابنه محمد الثانى سلطانا وعمره اربع عشرة سنة وقد توسل الى ذلك بعقده معاهدة صداقة وعدم تعد لمدة عشر سنين بينه وبين ملك المجر لا ديسلوس وملك الصرب جورج برونكوفتش. وكانت هذه المعاهده فى يوم ١٢ يولية سنة ١٤٤٤ م وتسمى معاهدة سيزجدن وقد أقسم كل من ملكى المجر والصرب أن ينفذ هذه المعاهده بذمة وشرف وكذلك اقسم السلطان مراد الثانى بالقرآن الكريم على أن ينفذ هذه المعاهدة . ولكن مالبث امبراطور القسطنطينية أن حرض ملكى الصرب والمجر على نقض هذه المعاهدة بعد امضائها ببضعة ايام مفاجآ الدولة العثمانية بالحرب . فتردد فى قبول ذلك ملك المجر وقائده هونياد ولكن الكردينال جوليان سيزارينى قال لملك المجر لا



السلطان الغازى مرادخان ثانى

ولد ٨٠٦ جلس ٨٢٤ توفى ٨٥٥

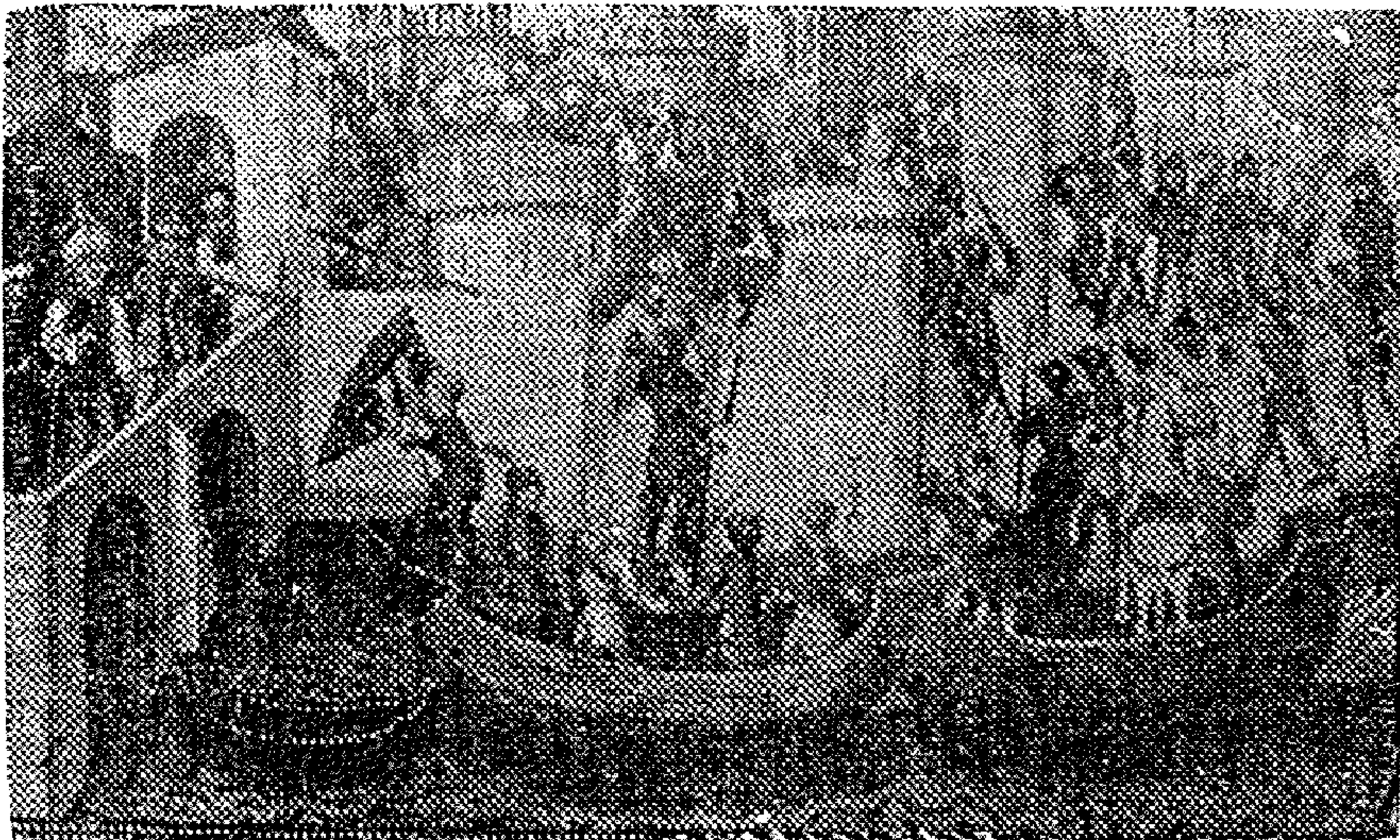
صنعها مجرى شهير إسمه أوربان وكانت تقذف كرات من الحجر إلى مسافة ميل . وفى أثناء الحصار اكتشف قبر أبى أيوب الأنصارى رضى الله تعالى عنه الذى استشهد فى حصار القسطنطينية سنة ٥٢ هـ فى خلافة معاوية بن أبى سفيان وبعد الفتح بنى له مسجد جامع وجرت العادة بعد ذلك أن كل سلطان يتولى الملك يتقلد سيف عثمان الغازى الاول بهذا المسجد

فاستنجد قسطنطين آخر ملوك القسطنطينية بأهالى جنوه فأنجدوه بعمارة بحرية تحت إمرة جوستنيانى وكان قسطنطين قد وضع سلاسل لمنع دخول السفن العثمانية إلى مياه القسطنطينية فرفعها حتى دخلت سفن جنوا لمناصرته وأعادها لمنع السفن التركية من العبور

فأمر السلطان محمد الثانى أن يشتد ضرب المدافع على سور القسطنطينية جهة باب القديس رومانوس — أى فى منتصف السور تماما — ثم أمر الحفارين بحفر الانفاق تحت سور المدينة (وكانوا من مهرة الصناع

بأس عليك فأنا والبابا نقرك على حنثك بيمينك فنمنحك البركة والمعونة ». ثم قال فى خطبة طويلة أنه يجوز الحنث فى أى يمين تقطع مع أعداء الدين المسيحى . ثم اتفق القائد المجرى هونياد على أن يكون ملكا على البلغار بعد اخذهما من تركيا وأخيراً حنثوا بيمينهم وفاجئوا الترك الامنين بحربهم الغادرة . فعبرت جيوشهم نهر الدانوب مخترقة بلاد البلغار حتى وصلت الى البحر الاسود ودمروا أسطولا تركيا صغيرا بجوار كونشيك واستولوا أخيراً على ورنة بعد أن انضم الى جيوشهم راكول أمير الافلاق . عندئذ عاد السلطان مراد الثانى فقبض على زمام الملك من ابنه محمد الثانى وانتصر فى ورنه على هذه الجيوش الباغية ١٠ نوفمبر سنة ١٤٤٤ م وقتل الملك لاديسلوس ملك المجر ورفعت رأسه على رأس رمح ومعها المعاهدة التى حنث بها . كذلك قتل السلطان الكردينال جوليان - سزارينى صاحب فكرة نقض المعاهدة كما قتل اسطفان باهورى والمطارنة أيلو وجروسى وردن. ثم أمر السلطان مراد الثانى بقتل ملك البوسنة واستولى على بلاده وكذلك استولى على بلاد الهرسك وضمها الى الدولة العثمانية . وفى هذه السنة أسلم أكثر أهل البوسنة وجميع أشرافها .

خـــريطة الاستــــــــــانة



دخـــول الأتراك الاســـتانة

بمناجم نوفو بوده من أعمال الصرب) وانتصرت سفن جنوا مع سفن قسطنطين على سفن الاتراك ولكن لم يكن محمد الثانى مثل أكزركسيس الفارسى فيخور عزمه من أول صدمة . فخطر بباله خاطر غريب لم يسبق لاحد من قبل وهو إنشاء طريق على البر تسير المراكب عليه حتى تدخل مياه القسطنطينية رغماً عن السلاسل التى كانت تمنع دخول السفن إلى البوسفور فأنشأ طريقاً طوله ستة أميال على الأرض فيما بين البوسفور والقرن الذهبى رصت فوقه ألواح من الخشب صبت عليها مقادير من الزيت والشحم لسهولة إندفاع المراكب عليها وبهذا أمكنه نقل سبعين سفينة بجنودها فى ليلة واحده حتى إذا أصبح النهار ونظرها المحاصرون أيقنوا أن لا مناص من فوز العثمانيين عليهم . ولكنهم إستماتوا فى الدفاع وفى يوم ١٥ جمادى

وبعد موقعة ورنه وضم بلاد البوسنة والصرب الى املاك الدولة العثمانية تنازل السلطان مراد الثانى مرة أخرى عن الملك لابنه محمـــد الثانى وذهب الى مغنيسيا سنة ١٤٤٤ م .

ولكن تمردت الانكشارية على ابنه محمد الثانى فعاد مراد للملك سنة ١٤٤٥ م الذى مكث فيه هذه المرة ست سنوات .

وفى هذه الاثناء جردت المجر جيشا قدر باربعة وعشرين الف جندى بقيادة هونياد المجرى لمحاربة الدولة العثمانية فانتصر عليهم السلطان مراد الثانى فى موقعة قوصوه الثانية فى ١٨ شعبان سنة ٨٥٢ هـ ١٧ اكتوبر سنة ١٤٤٨ م .

وتوفى السلطان مراد الثانى فى ٥ محرم سنة ٨٥٥ هـ الموافق ٩ فبراير سنة ١٤٥١ م ودفنت جثته الطاهرة فى بروصة . وقد وصف المؤرخ الانجليزى نولز فى كتابه سنة ١٦١٠ م مقبرة السلطان مراد الثانى بهذا الوصف :

« فى هذا المكان . فى هذه الحفرة . تحت هذه الجنـــادل ثوى السلطان المعظم مراد الثانى فى مقبرة غير مستورة عن الانظار وغير ممتازة عن مقابر عامة الترك . هكذا كانت وصيته . أراد أن تنحدر الى قبره رحمة الله وبركاته مع ضوء الشمس ونور القمر وذرات المطر وقطر الندى » .



صورة محمد الفاتح على جواده يوم فتح القسطنطينية

الأولى سنة ٨٥٧ هـ الموافق ٢٤ مايو سنة ١٤٥٣ م أرسل السلطان محمد الثانى إلى قسطنطين يخبره أنه إذا سلم له القسطنطينية فإنه لا يمس حرية أهلها وأملاكهم وأن يعطيه جزيرة موره فلم يقبل قسطنطين ذلك وقال « أنى أتعهد بدفع الجزية ولكنى لا أصالح على قاعدة تسليم مدينة أقسمت أن لا أتخلى عنها ما دام فى البدن نفس يتردد » . وفى يوم ٢٠ جمادى الأولى سنة ٨٥٧ هـ ٢٩ مايو سنة ١٤٥٣ م شدد السلطان محمد الثانى الهجوم عليها بمائة وخمس ألف جندى فتسلقوا الأسـوار ودخلوا المدينة من كل مكان واقتحم السلطـان السلطان محمـد الفاتح الثغرة الكبرى عند باب القديس رومانوس ودخل السلطان محمد الفاتح القسطنطينية (١) معتلياً جواده ومحاطاً بوزرائه وبحرسه ثم ترجل عن جواده لدى كنيسة القديسة صوفيا فشاهد فى رحابها جماهير لا عداد لها من أهل القسطنطينية وعلم أنهم كانوا يعتقدون أن الأتراك وإن دخلوا المدينة لا يجرأون على الدنو من الكنيسة وكانوا يعتقدون أن الله سيرسل على الأتراك الفاتحين ملائكة من السماء فتقتلهم عن آخرهم . فضحك السلطان من خرافاتهم ودخل

---

(١) حاصر العرب القسطنطينية : بقيادة معاوية سنة ٦٥٤ م وحاصرها يزيد سنة ٦٦٧ م وحاصرها سفيان بن عوف سنة ٦٧٢م وحاصرها مسلمه بن عبد العزيز سنه ٧١٥ وحاصرها سليمان بن عبد الملك سنة ٧٣٩ م وحاصرها هارون الرشيد سنة ٧٨١ م وحاصرها عبدالملك قائدجيوش هارون الرشيد سنة ٧٩٨ م وحاصرها بايزيد الأول سنة ١٣٩٦ م وحاصرها مرة ثانية سنة ١٤٠٢ م وحاصرها الأمير موسى بن بايزيد سنة ١٤١٤ . وحاصرها مراد الثانى سنة ١٤٢٢ م وحاصرها محمد الثانى سنة ١٤٥٣ وكان المسلمون من صحابة وأنصار النبى صلى الله عليه وسلم يهتمون بفتحها لموقعها العظيم ولا كثر من ذلك لحديث النبى صلى الله عليه وسلم «لتفتحن لكم القسطنطينية فلنعم الأمير أميرها ولنعم الجيش ذلك الجيش» . روى هذا الحديث النبوى الامام أحمد باسناد حسن فى مسنده والحاكم عن بشر الغنوى . قال الامبراطور نابليون بونابرت « لو كانت الدنيا مملكة واحدة لكانت القسطنطينية أصلح المدن لتكون عاصمة لها »

الكنيسة وأمر المؤذنين أن يؤذنوا فى الناس بالصلاة ليؤدوا فريضة الظهر فيها ثم صعد على المذبح الأكبر للكنيسة وأقام الصلاة فيه فصارت تلك الكنيسة من ذلك اليوم جامعا يعرف بجامع أيا صوفيا . ووجد الأتراك جثة قسطنطين عند الثغرة العظمى من السور عند باب أرمانوس . ثم أحضروا أمام السلطان الغرندوق نوتاراس أسيراً فتظاهر له السلطان محمد بالعطف حتى حصل منه على كشف بأسماء أعيان اليونان وكبار رجال دولته الذين كان يخشى منهم الفتنة فأعلن السلطان أسمائهم لجنوده وأمرهم بإبادتهم ثم منع الجنود من الاعتداء على الأهالى وجعل نصف الكنائس مساجد وجمع المطارنة وانتخبوا جورجى سكولاريوس بطريقاً ورئيساً لطائفة الروم واحتفل بتثبيته بنفس النظام الذى كان يعمل للبطارقة أيام ملوك الروم وجعل له حق الحكم فى القضايا المدنية والجنائية الخاصة بالروم. وبعد أن أتم السلطان محمد الفاتح إعادة ما هدم من أسوار المدينة سافر بجيوشه لفتح بلاد جديدة .

فقصد فتح بلاد المورة ولكن أميريها ديمتريوس وتوماس أخوى قسطنطين قبلا دفع جزية سنوية للسلطان قدرها اثنتا عشر الف دوكا وقد أبرم أمير الصرب صلحاً مع السلطان محمد الثانى . على أن يدفع سنوياً ثمانين ألف دوكا وذلك سنة ١٤٥٤ م ثم أرسل السلطان الصدر الاعظم محمود باشا لإتمام فتح بلاد الصرب فأتم فتحها من سنة ١٤٥٨ م الى سنة ١٤٦٠ م وبذلك فقدت الصرب استقلالها نهائيا . ثم فتح السلطان بلاد المورة سنة ١٤٦٠ ففتح مدينة كورنته وما جاورها من بلاد اليونان ثم فتح جزائر تاسوس وأمبروس وغيرها من جزائر بحر الروم ثم استولى على ميناء أماستريس ومدينة سينوب ثم استولى على طرابزون ، وأخضع امير الفلاخ لجزية سنوية للدولة العثمانية قدرها عشرة آلاف دوكا .

لكن أمير الفلاخ مالبث أن شن حرباً على الدولة العثمانية . كانت سبباً فى إنكسار جيوشه وفراره وفتح السلطان محمد الثانى مدينة بوخارست

وضم امارة الأفلاخ الى الدولة العثمانية . وفى سنة ١٤٦٢ م إمتنع أمير البوسنة عن دفع الجزية للدولة فحاربه السلطان محمد الفاتح وقتله وضم البوسنة إلى أملاك الدولة العثمانية .

وفى سنة ١٤٦٤ م إنتصر السلطان محمد الثانى على ملك المجر متياس كرفن (ابن القائد المجرى هونياد الذى مات فى سنة ١٤٥٥ م) وأباد السلطان معظم جيوشه وصارت البوسنة بعد ذلك ولاية من ولايات الدولة العثمانية وأسلم كثير من أهلها وأشرافها وتطوع فى الجيش العثمانى ثلاثون ألفاً من شبانها ثم استولى السلطان محمد الثانى على مدينة أرجوس من البنادقه ومدينة نجربونت . ثم ضم إمارة القرمان نهائيا إلى الدولة العثمانية .

ثم فى سنة ١٤٧١ إنتصر على أوزون حسن أحد خلفاء تيمورلنك الذى كان مستوليا على البلاد الواقعة بين نهرى أمو دارية والفرات وهزمه شر هزيمة . ثم استولى على مدينة كافا بشبه جزيرة القرم وكانت تابعة لجنوا فتبعت شبه الجزيرة كلها للدولة العثمانية : ثم فتح ميناء آق كرمان ثم استولى على مدينة كراوية وكانت تابعة للبنادقة وكانت عاصمة اسكندر الألبانى الذى مات سنة ١٤٦٧ م (وكان من يمن السلطان محمد الثانى موت أكبر عدوين للدولة هونياد المجرى بعد حربه لها خمسة وعشرين سنة واسكندر أمير البانيا بعد محاربته لها ثلاثين سنة) ثم استولى السلطان على أشقودرة التى كانت تابعة للبنادقة كما استولى على جزائر يوبيا ولسبوس ولمنوس وسفالونيا ثم فتح السلطان البانيا واقليم الهرسك وضمهما إلى بلاده .

ثم أرسل السلطان محمد الفاتح كدك أحمد باشا بمراكبه لفتح مدينة أوترانت وهى على ساحل إيطاليا الجنوبى ففتحها سنة ٨٥٥هـ ١١ أغسطس سنة ١٤٨٠ م وأصبح السلطان محمد الثانى باستيلائه على أوترانت صاحب ثغر كبير من إيطاليا ولذلك كان عازماً أن يفتح روما وباقى البلاد الإيطالية

سنة ١٤٨١ م لولا أن عاجلته المنية وقد شيد السلطان محمد الفاتح فى أرجاء مملكته كثيراً من المدارس والمساجد ونبغ فى عصره كثير من علماء الأتراك ومؤرخيهم وشعرائهم وكان السلطان محمد الثانى من أعظم ملوك العالم تهذيباً وعلماً فكان يحسن العربية والفارسية والتركية واليونانية واللاتينية وغيرها وله ميل شديد لفن التصوير وله إلمام كبير بالجغرافية والتاريخ والرياضة وكان يقرأ القصائد اللاتينية التى كان الشعراء من البنادقة والجنوزين يمدحونه بها وكان يطالع مؤلفات بلوتارك ويهتم بتقليد إسكندر الأكبر وقيصر والفاتحين الشهيرين وقد اتفقت أقوال مؤرخى اليونان والبنادقة وغيرهم على محبة السلطان محمد الفاتح للعلوم ولما سمع بشهرة المصور البندقى جنتيالى بيللينو أحضره اليه وأحسن وفادته وأنعم عليه بقلادة من الذهب وكان يحضر بنفسه إمتحان ترقى العلماء فى الدرجات العلمية .

توفى أبو الفتح السلطان محمد الثانى الغازى فى يوم ٤ ربيع الأول سنة ٨٨٦ هـ ٣ مايو سنة ١٤٨١ م وعمره ثلاث وخمسون سنة ومدة حكمه احدى وثلاثون سنة ودفن رضى الله تعالى عنه فى مدفنه المجاور لجامعه بالقسطنطينية





السلطان الغازي سليمان خان

ولد ٩٠٠ جلس ٩٢٦ توفي ٩٧٤

السلطان الغازى سليمان خان القانونى

٩٠٠ هـ — ٩٧٣ هـ

ولد السلطان سليمان الأول بن سليم الأول بن بايزيد الثانى بن محمد الثانى الفاتح وهو العاشر من سلاطين آل عثمان . فى أول شعبان ٩٠٠ هـ ٢٧ ابريل سنة ١٤٩٤ م وتولى الملك فى ٩ شوال سنة ٩٢٦ هـ ٢٢ سبتمبر سنة ١٥٢٠ م

كان سليمان سلطاناً رفيع القدر حازماً موصوفاً بالحكمة والإقدام وقد بدأ أعماله بسنّ القوانين والأنظمة وتنظيم الجيوش وتقوية أسطولى البحر الأسود والبحر الأبيض . وقد مارس الحكم فى عهد أبيــــه إذ كان نائبا عنه وهو يفتح بلاد الفرس ومصر وكان والياً لصاروخان

وقد أعانه التوفيق بقواد من أكبر القواد فى البحر والبر أمثال القواد البريين الصدر الأعظم إبراهيم باشا والصدر الأعظم بيرى باشا ومحمد باشا واحمد باشا وأمراء البحر العظام خير الدين بربروس باشا وطورغود باشا وبيرى ريس وسيدى على وبياله باشا

أرسل السلطان سليمان إلى الملوك والأمراء يعلنهم توليه عرش سلطنة آل عثمان فأهان ملك المجر لويس الثانى سفيره وقتله . فغضب لذلك السلطان سليمان غضباً شديداً وعزم على فتح أوربا فجمع جيشاً بقيادة احمد باشا لمحاربة المجر وأمر يالى بك بغزو كرواسيا وخسرو باشا محافظ سمندره بحصار بلغراد ومحمد بك بن ميخال بغزو ترنسلفانيا ثم فتح أحمد بك قلعة . بكور دلن واستولى الصدر الأعظم بيرى باشا على قلعة زميتى وحاصر السلطان سليمان بلغراد شهرين ونصف وهدم أسوارها بالألغام وفتحها عنوة سنة ٩٢٧ هـ ولما فتحها صلى الجمعة فى إحدى كنائسها التى حولت فيما بعد مسجداً وكانت

هذه المدينة أقوى حصن للمجر مانعاً لتقدم العثمانيين إلى ماوراء نهر الدانوب ثم استولى على قلاع ومدن كثيرة من بلاد المجر وعاد إلى عاصمته تخفق على رأسه رايات النصر .

ثم عاد للحرب فى أوربا مرة ثانيـــة سنة ٩٣٢ هـ سنة ١٥٢٦ م وقت ماتعـــدى لويس الثانى ملك المجر على حدود الدولة بالروملى فقاومته الجنود التركية بنكيوبلى وسمندره فجهز السلطان جيشاً مؤلفاً من ثلثمائة ألف مقاتل بقيادة الصدر الأعظم ابراهيم باشا وأسطولا مؤلفاً من ثمانمائة سفينة مملوءة بالذخيرة والمعدات بنهر الطونا ودخل جيش الصـدر الأعظم بلاد المجر وفتح كثيراً من بلادها فقابله جيش مجرى مكون من مائة وخمسين ألفاً من الجنود بقيادة لويس الثانى ملك المجر فى صحراء مهاج Mohaces ثم وصل السلطان بجموعه فى ٢٠ ذى القعدة سنة ٩٣٢ هـ ٢٩ أغسطس سنة ١٥٢٦م قبل بدء الموقعة وما كادت تراه الجنود التركية حتى اشتد ساعدها وقاتلت قتال الجبابرة فانهزم المجريون وخلفاؤهم الكرواسون وقتل منهم عشرون ألفاً بل وقتل ملكهم لويس الثانى

واستولى السلطان على مدينة بودا عاصمة المجر وعلى مدينة واردين وفتح قلعة بست وغيرها ورجع إلى عاصمة ملكه منصورا وقبل عودته نصب من يدعى جان زابولى أمير ترنسلفانيا ملكا على مملكة المجر مشترطاً عليه دفع الجزية للدولة العثمانية . وفى أواخر سنة ١٥٢٧ إدَّعى فردنند ملك النمسا أخو شرلكان ملك ألمانيا وأسبانا أحقيته فى ملك المجر لقرابته من لويس الثانى الذى قتل فى موقعة موهاكس فاستنجد زابولى بالسلطان سليمان فصدر أمر السلطان بتجهيز جيش بقيادة الصدر الأعظم ابراهيم باشا ولحقه السلطان فى ١٠ مايو سنة ١٥٢٩ بجيش مؤلف من مائتين وخمسين ألفاً من الجند ونحو ثلثمائة مدفع ووصل إلى مدينة فيلبة فى ١٢ شوال سنة ٩٣٦ هـ ٩ يونيه

سنة ١٥٢٩ م ومنها إلى مدينة موهاكس ثم إلى مدينة بودا عاصمة المجر فحاصر فردیننـد ملك النمسا بها فی ٣ سبتمبرسنة ١٥٢٩ م ولكن فردیننـد فر هارباً من بودا قاصداً فینا عاصمة النمسا فطلبت الحامية تسليم بودا بشرط حفظ أرواحهم فقبل السلطان ذلك وخرجوا من المدينة لكن بعض الجند النمساويين إعتدوا على بعض جنود الأتراك فكان ذلك سبباً فی إبادة الجنود النمساوية التى كانت ببودا جميعاً

ثم بعد ذلك أعاد السلطان سليمان زابولى ملكا على عرش المجر مشترطا عليه دفع الجزية للدولة العثمانية وسار السلطان بجيوشه لفتح فينا عاصمة النمسا وهجم عليها فی أكتوبر سنة ١٥٢٩ م وضرب أسوارها بالمدافع ولم يتم فتحها لأمران : أولا : أن ذخيرة المدفعية قد نقصت وثانيا : أن الشتاء كان مبكراً فی هذه السنة . فعاد السلطان سليمان الى عاصمة ملكه القسطنطينية وفی ربيع سنة ١٥٣١ م أرسل ملك النمسا جيشاً لمحاصرة بودا ولكن حاميتها التركية صدته وفی ٢٥ ابريل سنة ١٥٣٢ م قام السلطان سليمان بجيوشه المظفرة لمحاربة فردیننـد الذى فرّ خوفا من بأس السلطان سليمان واستولت الجنود العثمانية على جملة قلاع ومدن من بلاد النمسا منها قبونى وبزرنجه ومدينة جراتس Grats فی ٢٩ أغسطس سنة ١٥٣٢ م ومدينـــة سنتو هلوسنبورج .

وفی سنة ١٥٤٠ م إتفق فردیننـد ملك النمسا مع زابولى ملك المجر على تقسيم بلادهما بينهما وطرد المسلمين . وكان ذلك خدعة من فردیننـد للايقاع بزابولى الذى قبل حماية العثمانيين وأرسل فردیننـد الى السلطان صورة هذا الاتفاق ولكن لم يتمكن السلطان سليمان من الانتقام من زابولى إذ مات زابولى عقب هذا الاتفاق تاركا طفلا عمره خمسة عشر يوما . وهجم فردیننـد ملك النمسا على المجر واحتل عاصمتها فقام السلطان سليمان بجيشه قاصداً بلاد

المجر فى شهر يوليه سنة ١٥٤١ م ووصل الى بودا فى ٢٩ أغسطس سنة ١٥٤١ فرفع النمساويون عنها الحصار بمجرد سماعهم خبر قدوم السلطان بجنوده .

أما السلطان سليمان فقد جعل من ذلك الحين من بلاد المجر ولاية عثمانية وحوّل أكبر كنائسها الى مساجد ووضع بمدنها حاميات عثمانية .

وفى شهر مارس سنة ١٥٤٧ م تم الصلح بين السلطان سليمان وبين فرديتند ملك النمسا على أن تكون المجر وترانسلفانيا من أملاك الدولة العثمانية وأن يدفع فرديتند جزية سنوية للسلطان سليمان قدرها ثلاثون ألف دوكا واستمرت النمسا تدفع هذه الجزية حتى سنة ١٦٠٦ م إذ دفعت للدولة العثمانية مائتى ألف دوكا وحصون جران وأرلو وكانيشا نظير إبطال هذه الجزية . وأمضى هذه المعاهدة شرلكان ملك ألمانيا وإسبانيا وملك فرنسا ورئيس جمهورية البندقية والبابا . وتعدّ هذه المعاهدة إعترافاً من ملوك أوربا على أن السلطان سليمان أعظم ملك فى العالم .

كان هناك نزاع بين فرانسوا الأول ملك فرنسا (١) وشارلكان (٢)

---

(١) فرانسوا : ولد هذا الملك سنة ١٤٩٤ وتولى الملك سنة ١٥١٥ م وكانت حروبه بسبب طموحه للاستيلاء على ميلان التى فتحها وسلبها من السويسريين فى موقعة مارينان . ثم لما انتخب شارلكان ملك اسبانيا امبراطورا لألمانيا ومايتبعها بعد موت مكسمليان جده لأبيه فى سنة ١٥٢٠ م ابتدأت الحروب بينه وبين فرانسوا ملك فرنسا بسبب ادعاء كل منهما الحق فى ولاية ميلان وكانت الدائرة فيها على فرنسا فانتصر عليها شارلكان مرارا وأخيرا فى بافيا سنة ١٥٢٥ م حيث أخذ فرانسوا أسيراً وسيق الى اسبانيا ولم يفرج عنه الا بعد أن امضى معاهدة بكل ما طلبه منه شارلكان ولما خرج من السجن لم يعمل بما تعهد به بل رجع الى المحاربة واستمرت الحرب بينهما بدون انقطاع تقريبا الى سنة ١٥٤٤ وفيها تصالحا على أن تكون ولاية ميلان لدوك أورليان ثانى أولاد فرانسوا ملك فرنسا . وتوفى بعد ذلك بثلاث سنوات فى سنة ١٥٤٧ م . واشتهر هذا الملك بالتعصب الدينى واضطهاد البروتستانت

(٢) شارلكان : ولد هذا الملك الشهير سنة ١٥٠٠ م وورث ملك اسبانيا

ملك ألمانيا وإسبانيا على ملكية ميلان فقامت الحرب بينهما وانتهت بانتصار شارلكان فى واقعة بافيا ســــنة ١٥٢٥ م وأسره فرانسوا ولكن تمكن فرانسوا من أن يرسل الأميرال بولان Polain إلى السلطان سليمان يطلب منه نجدة فرنسا فقابل السلطان رسول فرانسوا فى بلاد البوسنه وعرض عليه ملتمس سيده ملك فرنسا وقدم اليه هداياه. أما هداياه للسلطان فكانت عبارة عن أوان مختلفة من الفضة منقوشة نقشاً جميلا تزن ستمائة رطل ووزع على خواص السلطان ووزرائه خمسمائة بدلة من الحرير والصوف والتمس من السلطان إرسال عمارة بحرية وجيشاً لمساعدة سيده وقدم له خطاب ملك فرنسا فرانسوا الأول ومما جاء فيه نقلا عن صولاق زاده:

«...فيهاجم البادشاه العظيم ملك النمسا ويهزمه بينما نحن نكر على ملك اسبانيا ونثأر منه. وإنا لنرجو ونلتمس من إمبراطور العالم العظيم أن يدفع هذا المتعجرف وسنكون منذ الآن الخادم المعترف بالشكر للامبراطور العظيم سيد العصر ...»

فوعده السلطان بالمساعدة فى البحر والبر وأرسل معه خطابا للملك فرنسا ونصه نقلا عن تاريخ جودت باشا:

الله العلى الغنى المعطى المعين

عن والدته جان ابنة فرديناند وايزابلا ملوك اسبانيا اللذين أخرج المسلمين فى أيامهما من الاندلس وانتخب أميراً لألمانيا بعد موت جده لأبيه الامبراطور مكسمليان وقضى أيامه فى محاربه فرانسوا الأول كما فى ترجمة هذا الملك وبعد موت فرانسوا الأول رجع الى محاربة الفرنسيين وحاصر مدينة متس الشهيرة بدون ان يتمكن من فتحها سنة ١٥٥٢م وحارب خير الدين باشا بربروس أمير البحر العثمانى وقصد الاستيلاء على مدينة الجزائر فلم يفلح واضطهد البروتستانت الا أنه اضطر اخيرا فى سنة ١٥٤٧م أن يمنحهم الحرية الدينية بعد أن حاربوه وانتصروا عليه. وفى سنة ١٥٥٦ م سئم الملك فتنازل عن اسبانيا لابنه فيليب الثانى وعن المانيا وما بها لأخيه فرديناند واعتزل فى أحد الاديرة حتى توفى سنة ١٥٥٨م.

بعناية حضرة عزة الله جلت قدرته وعلت كلمته وبمعجزات سيد زمرة الأنبياء وقدوة فرقة الأصفياء محمد المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم الكثيرة البركات وبمؤازرة قدس أرواح حماية الأربعة أبي بكر وعمر وعثمان وعلى رضوان الله تعالى عليهم أجمعين وجميع أولياء الله أنا سلطان السلاطين وبرهان الخواقين متوج الملوك ظلُّ الله فى الأرضين سلطان البحر الأبيض والبحر الأسود والأناضول والروملى وقرمان والروم وولاية ذى القدرية وديار بكر وكردستان وأزربيجان والعجم والشام وحلب ومصر ومكة والمدينة والقدس وجميع ديار العرب واليمن وممالك كثيرة أيضاً التى فتحها آبائى الكرام وأجدادى العظام بقوتهم القاهرة أنار الله براهينهم وبلاد أخرى كثيرة إفتتحها يد جلالتى بسيف الظفر. أنا السلطان سليمان خان بن السلطان سليم خان ابن السلطان بايزيد خان إلى فرنسيس ملك ولاية فرنسا. وصل إلى أعتاب ملجا السلاطين المكتوب الذى أرسلتموه مع تابعكم فرانقيان النشيط مع بعض الأخبار التى أوصيتموه بها شفاهيا وأعلمنا أن عدوكم إستولى على بلادكم وأنكم الآن محبوسون وتسدعون من هذا الجانب مدد العناية بخصوص خلاصكم وكل ما قلتموه عرض على أعتاب سرير سدتنا الملوكانية وأحاط به علمى الشريف على وجه التفصيل فصار بتمامه معلوماً فلا عجب من حبس الملوك وضيقهم فكن منشرح الصدر ولا تكن مشغول الخاطر فإن آبائى الكرام وأجدادى العظام نوّر الله مراقدهم لم يكونوا خاليين من الحرب لأجل فتح البلاد ورد العدو ونحن أيضاً سالكون على طريقتهم وفى كل وقت نفتح البلاد الصعبة والقلاع الحصينة وخيولنا ليلا ونهاراً مسروجة وسيوفنا مسلولة فالحق سبحانه وتعالى ييسر الخير بإرادته ومشيئته وأما باقى الأحوال والأخبار تفهمونها من تابعكم المذكور فليكن معلومكم هذا تحريراً فى أوائل شهر آخر الربيعين سنة اثنين وثلاثين وتسعمائة، بمقام دار السلطنة العلية. القسطنطينية المحروسة المحمية

وهذا الكتاب موجود بمكتبة باريس الكبرى

لم يكتف السلطان بفتوحه الأوربية البرية بل ساق جنوده إلى محاربة بلاد العجم ستة مرات سنة ١٥٣٣ ، ١٥٣٤ ، ١٥٣٥ ، ١٥٤٨ ، ١٥٥٣ ، ١٥٥٤ وأضاف إلى أملاكه بآسيا كثيراً من بلاد الأرمن والجزيرة وأريوان والموصل وبغداد وتبريز .

على أن الرهبة التى بثها العثمانيون فى نفوس معاصريهم كان الفضل فيها لا للجيوش البرية العثمانية المظفرة فحسب بل لأسطولهم البحرى الباهر وهى

أولها لما بلغ السلطان سليمان سنة ٩٢٨ هـ سنة ١٥٢١ م أن سفن قرصان رودس عاملة على معاكسة سفن التجارة العثمانية صمم على فتح رودس التى كانت تحكمها فرسان القديس يوحنا الأورشليمى وكان رئيسهم فى ذلك الوقت دليل آدم De Villiers de L'elle-Adam الذي أرسل إلى السلطان سليمان رسولا باستعداده لدفع جزية سنوية للدولة فلم يقبل السلطان ذلك وطلب منه إخلاء الجزيرة وفعلا أرسل عمارة بحرية مؤلفة من ثلثمائة سفينة حربية وأربعمائة سفينة نقل تحت قيادة القبودان بيلان مصطفى باشا وبها عشرة آلاف مقاتل تحت قيادة الوزير داماد مصطفى باشا فحاصرها فى ٢٦ يونيه سنة ١٥٢٢ م ثم خرج السلطان بجيش عظيم من ثغر مرمريس بساحل الأناضول تجاه جزيرة رودس وأبحر منه بجيش كبير لإمداد الجيش الأول فوصل إلى رودس فى ٤ شعبان سنة ٩٢٨ هـ وأتم إخضاعها فى ٧ صفر سنة ٩٢٩ هـ سنة ١٥٢٢ م واحتلتها جنوده . أما بقية فرسان القديس يوحنا فسمح لهم السلطان بالخروج من الجزيرة فذهبوا إلى جزيرة مالطه التى تنازل لهم عنها شارلكان مشترطاً عليهم محاربة الأتراك .

وقبل أن نأتى على الوقائع البحرية الأخرى التى انتصرت فيها الأساطيل العثمانية نذكر تاريخ أكبر أمرائها البحريين وهو خير الدين باشا بربروس

وإسمه الأصلى خضر وقد كان والده من عساكر السباهى من صحراء آجه بالأناضول وانتقل إلى جزيرة مديللى بعد فتحها للانضمام إلى حاميتها فرزق أربعة أولاد إسحاق وأوروج وخضر وإلياس، فإشتغل إسحاق بالتجارة، أما الثلاثة الباقون فاشتغلوا بالأسفار البحرية للكسب والغنيمة (القرصنة) فكانوا يأسرون مراكب المسيحيين التجارية ويأخذون ما بها من البضائع ويبيعون ركابها وملاحيها أرقاء. واستولوا بشمال أفريقية على مدن جيجلى وشرشيل وتنس وتلمسان وبجاية. ومات إسحاق ثم استشهد الاخوان فصار خضر صاحب تلك المدن واشتهر شهرة عظيمة وحضر إلى القسطنطينية ومعه ابن أخته الرئيس محى الدين مقدماً طاعته للسلطان سليم ومعه كثير من نفائس الهدايا فرحب به السلطان وأعطاه سفينتين كاملتين وأنعم عليه برتبة بكلربك الجزائر، فعاد محارباً للاسبانيين حتى أجلاهم عن مدينة الجزائر التى كانوا احتلوها أربع عشرة سنة واستولى على حصونها ثم تغلب على الاسطول الاسبانى الذى جاء يستخلص الجزائر واستولى على معظم سفنه. وذكر الاجانب فى تواريخهم أن اسبانيا فى واقعة الجزائر المذكورة أصابها من الخسائر ما لا يمكن حصره لكثرته. ثم نقل بعد ذلك سبعين الفا من مسلمى الاندلس وانقذهم من اضطهاد الاسبانيين. ثم عاد بربروس إلى القسطنطينية فرحب به السلطان سليمان القانونى وأمره بمحاربة أمير البحر أندريا دوريا الجنوى لتعديه على سواحل الدولة بأمر امبراطور المانيا شارل الخامس (شارلكان) فمر بعمارته البحرية على سواحل جنوا لمقابلة اندريا دوريا وأحرق جنوا ونال منها غنائم كبيرة.

وفى سنة ١٥٤٠ م عاد إلى القسطنطينية وكان معه عشرة مراكب ملأى بالهدايا والغنائم فعينه السلطان سليمان قبودانا للعمارة البحرية العثمانية وسماه خير الدين باشا بربروسه (لنصره الاسلام) وجهزه بسبعة وثلاثين سفينة

وأرسله الى سواحل ايطاليا واسبانيا فهاجم جملة جزر واستولى على جزيرة مينورقة وعاد الى القسطنطينية ومعه خمسة آلاف وسبعمائة أسير. وفى تلك السنة نقضت البنادقة العهود التى كانت بينها وبين الدولة العثمانية من عهد السلطان بايزيد الثانى واتحدت مع حكومة اسبانيا وايطاليا على محاربة الدولة ونشبت بينها وبين الاسطول التركى بقيادة الرئيس على شلبى معركة جرح فيها أندريا دوريا والتجأ الى جزيرة كورفو . أما خير الدين باشا فتمكن من الاستيلاء على جزائر تشوقة ومرتد وباره ونقشه وأنابولى وكستل نورة وعاد الى القسطنطينية لقضاء فصل الشتاء فى مياهها ؛ ثم أقلع فى سنة ٩٤٥ هـ ١٥٣٨ م من القسطنطينية قاصداً الجزائر السبع ورست هناك سفنه وعلم أن اساطيل الدولة مجتمعة أمام بره فيزه تحاصرها . وما علموا بقدومه حتى رجعوا إلى جزيرة كورفو وكانت سفن خير الدين باشا مائة وأربعين سفينة ،أما سفن الاعداء فكانت مائتين واثنتين وستين سفينة منها اثنتان وخمسون سفينة لشرلكان وسبعون سفينة للبنادقة وكانت تحت قيادة الاميرال كابلو ،وثلاثون سفينة للبابا وعشر سفن لقرصان مالطة وثمانون سفينة اسبانية وبعض سفن أخرى للحكومات المعادية. وبعد مناورات قام بها خير الدين باشا حطم اساطيل اعداء الدولة العثمانية المتحدين حتى فرّ أميرالهم أندريا دوريا ثم استولى العثمانيون على كثير من سفنهم بعد أن أغرق واحرق كثيراً منها .

أما مناورات وخطط خير الدين باشا بربروس البحرية فقد امتدحها المؤرخون لدرجة أنهم لايزالون يعلمونها بمدارسهم البحرية وقد استفاد من دروس هذه المناورات والخطط الحربية البحرية .البربروسية أميرالات الدولة الانجليزية فى حروبهم كالأميرال رودنى والأميرال جرفس سنت وينست والأميرال نلسون وغيرهم بل عقب موقعة (الطرف الأغر) الشهيرة

التى انتصر فيهـــا نلسون أمير البحر الانجليزى على الاسطول الفرنسى قال القائد البحرى تومس رأى« لقد ضربنا ضربة بربروسية »ومابلغت مسامع السلطان سليمان خبر هذه الانتصارات حتى أنعم على خير الدين باشا بلقب غازى.

وفى سنة ٩٣٤ هـ سنة ١٥٣٨ م قدم رسول الى القسطنطينية من قبل دوشاه ملك الكجرات يستنجد السلطان على همايون شاه ملك الهند فأرسل له السلطان سليمان فى يونية سنة ١٥٣٨ سبعين سفينة بحرية بها عشرون الف جندى وكانت بقيادة أمير البحر سليمان ريس،وكانت قيادة الجيوش البرية برآسة والى مصر سليمان باشا ففتح عدن ومسقط وحاصر جزيرة هرمز وقصد سواحل الكجرات وفتح أغلب الحصون التى فتحها البرتغاليون وطردهم منها وفتح باقى اقليم اليمن الذى صار من هذا الحين ولاية عثمانية

وفى سنة ٩٤٨ هـ سنة ١٥٤١ م أرسلت ايطاليا واسبانيا اسطولا مكوناً من مائتى سفينة لفتح الجزائر، فصدهم باى الجزائر حسن أغا وثارت على العمارة المذكورة زوبعة اغرقت مائة وخمسين سفينة منها. ولمـا وصل خير الدين باشا الى الجزائر فرت مراكب الاعداء الباقية وطلبت البندقية الصلح من الدولة العثمانية فقبل السلطان سليمان منها الصلح بعد أن دفعت للدولة العثمانية ثلثمائة الف بندقى . وأرسل السلطان سليمان مائة سفينة حربية بقيادة خير الدين باشا بربروس سنة ٩٥٠ هـ ١٥٤٣ م لنجدة فرنسا والتحقت به عمارة فرنسية بقيادة دوق انجيان وكانت مؤلفة من أربعين سفينة حربية ففتح بربروس جملة ثغور بسواحل اسبانيا ثم فتح نيس .ولمـا حلَّ الشتاء عادت العمارتان الفرنسية والتركية إلى ميناء طولون وقد أمر ملك فرنسا بعدم قرع أجراس الكنائس فى طولون ونيس اثنـاء وجود خير الدين باشا وعمارته البحرية هناك احتراماً للسلمين . بينما كان خير الدين باشا فى اثنائها يؤنب الاميرال الفرنسى دوق انجيان على اهمالهم أمر سفنهم فكان يسمع الدوق نصـائح

خير الدين باشا الخاصة بالتحسينات البحرية بكل عناية.وفى مدة اقامة خير الدين باشا فى طولون كان شديد الاحتراس فكان يأمر جميع سفنه بأن تكون على قدم الاستعداد ليلا ونهاراً كأنه فى بلد معاد فتوجست الحكومة الفرنسية خيفة من سلوكه هذا وارادت التخلص منه بالتى هى أحسن إذ أن الاهالى رموا حكومتهم بسوء الاعتقاد لاستعانتها بالمسلمين فاعطته ٨٠٠ ألف كرون (الكرون الواحد ـ ٢٥ قرشا) ونفقات سفره وطلبت منه ان يعود إلى بلاده شاكرة حسن مسعاه على مساعدته اياها . فخرج خير الدين باشا باسطوله من طولون عائدا الى القسطنطينية .وكان فى آخر حياته عضواً فى ديوان الدولة بصفته قبودان باشا .ثم توفى رضى الله تعالى عنه سنة ٩٥٣ هـ سنة ١٥٤٦ م بعد أن أوصى بأن تخصص ثروته لانشاء كلية للعلوم العالية.ودفن بمقبرة على ضفة البسفور بقرب بشكتاش وهو موضع غاية فى الجمال والجلال فكأنهم دفنوه بمكان على البحر الذى شهد جرأته بل كان مسرحا لعظمته ورهبته .

أما طورغود باشا فأصله من الاناضول وخدم فى أول أمره مع خير الدين باشا ثم استولى على المهدية وطرابلس وأتبعها لأملاك الدولة العثمانية وعينه السلطان سليمان قبودانا بسواحل بلاد البربر وتمكن من جمع كثير من السفن جعل منها اسطولا أغار به على سواحل ايطاليا واسبانيا وهدم كثيراً من قلاعها ومدنها وارتعدت فرائص سكانها من سطوته . ولما وقعت الحروب بين فرنسا وشارلكان استنجد ملك فرنسا ثانية بالسلطان سليمان فأمر السلطان طورغود باشا ويسميه الافرنج Dragut بالسفر مع العمارة البحرية لمساعدة فرنسا فتوجه بالاسطول العثمانى فى سنة ٩٦٠ هـ سنة ١٥٥٣ م واتحد مع الاميرال بولان رئيس أساطيل فرنسا وحارب الاسبان وانتصر على كثير من سفنهم وفتح عدة قلاع ومدن ساحلية ثم انقذ سبعة

آلاف أسير كانوا لدى الاسبان فى قلعة بشتيا Bestia من جزيرة كورسيكا ثم عاد إلى القسطنطينية فأنعم عليه السلطان برتبة بكلر بك الجزائر .

وبعد أن قام طورغود باشا بأعمال بحرية كثيرة أصابه جرح مميت فى ١٦ يونية سنة ١٥٦٥ م اثناء محاولة الدولة العثمانية فتح جزيرة مالطه. وكان اثناء اصابته يتكلم مع السر عسكر فى ضرورة انشاء حصن تنصب فيه المدافع لاسكات مدافع طابيـــة سانت انجلو . فمات شهيداً وحزنت عليه جميع رجال الدولة تغمده الله تعالى برحمته .

وأما بياله باشا وهو من أشهر قبودانات البحر فجرى الأصل (١) خرج من بلاده وهو حديث السن بسبب واقعة حربية حصلت بجوار مدينة موهاج سنة ١٥٢٦ م ثم أسلم ونشأ فى الجيش العثمانى بأمر السلطان سليمان. ولما مات سنان باشا ولاه السلطان إمارة صنجق غاليبولى وقيادة الأساطيل العثمانية سنة ١٥٥٥ م وبعد ذلك بثلاث سنوات أنعم عليه بولاية جزائر الغرب علاوة على مسنده ثم ساعد الأساطيل الفرنسية فى الاستيلاء على مسينى وريو من اسبانيا وغزا جزائر البليار فخرّب قِلاعها . وسنة ٩٦٧ ﻫ خرج بالاسطول العثمانى الى البحر الأبيض المتوسط وفتح بلاد موره وأسر قبودان قلعة أنابولى ولما عاد أكرمه السلطان وكافأه على ذلك بأن زوجه بحفيدته إبنة الأمير سليم خان؛ ثم فتح جزيرة ساقص سنة ٩٧٠ ﻫ فنال شهرة عظيمة وبقى فى هذا المنصب أربع عشرة سنة ثم ترقى الى رتبة الصدارة

---

(١) المجر : احدى أمم الترك قبيلتهم اسمها المجرياك من قبائل الترك استدعاهم أرنولف ملك ألمانيا لمناصرته على الصرب سنة ٢٨٢ﻫ سنة ٨٩٥م فأقاموا بالمنطقه التى تكتنفها جبال الكربات وهى بلاد المجر اليوم واعتنقوا المسيحية فى القرن العاشر للميلاد ولغتهم التركية الفينية وقد كان منهم أكبر عدو للدولة وهو هونياد ومنهم بياله باشا الذى خدم الدولة العثمانية أعظم الخدمات .

العظمى وكانت وفاته سنة ٩٧٨ هـ ودفن فى الجامع المعروف باسمه فى جهة قاسم باشا وهو الذى استولى من اسبانيا على جزيرة جربة بعد محاصرتها ثلاثة شهور ثم فتح قلعة سانت ألما بجزيرة مالطة .

وكانت آخر موقعة بحرية أثناء حكم السلطان سليمان موقعة جربة أو وهران اذ اجتمعت أساطيل جنوا وفلورنسه وصقلية ومالطة واسبانيا وعددها مائتا سفينة تحت قيادة الاميرال أندريا دوريا وكان بها تسعة آلاف جندى تحت قيادة الدون الفارودى سندى ،فقام أمير البحر بياله باشا من القسطنطينية فى رجب سنة ٩٦٧ هـ سنة ١٥٦٠ م باسطول مؤلف من مائة وعشرين سفينة فوصل قريباً من جربة والتحم بأسطول الدول المتحدة وانتصر عليهم انتصاراً باهراً وحطم كثيراً من اسطولهم واغتصب سبعة غلايين منها .أما باقى الأساطيل المتحدة فلاذت بالفرار وتركت جنودها البرية بجربه محاصرين ففتحها بياله باشا وأخذ من بها أسرى وعاد الى القسطنطينية فى ٢٧ سبتمبر سنة ١٥٦٠ م . وفى يوم وصول بياله باشا دخل الساطان سليمان كشكا من سرايه الواقعة على البسفور ليُشَرِّف الاحتفال الذى أقيم لاستقبال قبودانه الظافر الذى جعل الدون الفارو وغيره من أعيان النصارى الاسرى فى مكان واضح من سفينته وسار فى أثرها سائر السفن المأسورة منكسة الأعلام . عندئذ قام سفير فرديننـد ملك النمسا وهنأ السلطان سليمان على هذا الانتصار العظيم فأجابه السلطان بقوله « إذا افتكر الانسان فى أن هذا التوفيق العظيم قد ساقه إلينا البارى جلّ وعلا بألطافه الالهية فلا داعى إذن للغرور أو التفاخر » وهذا يدل على تواضع وايمان السلطان سليمان الذى كانت تخاطبه ملوك أوربا بلقب السيد الأعظم Grand Seijneur وتخاطبه فرنسا بامبراطور العالم الكبير Le Grand Empreur du Monde أما آخر حروب السلطان

سليمان البرية فكان سببها أن مكسمليان الثانى امبراطور ألمانيا الذى خلف فرديننذ قد استولى سنة ٩٧٣ هـ سنة ١٥٦٦ م على مدينة توكاى من بلاد المجر فصمم السلطان على محاربة النمسا .

فقام السلطان سليمان فى ٩ شوال سنة ٩٧٣ هـ الموافق ٢٩ ابريل سنة ١٥٦٦ م بالرغم عن مرضه بداء النقرس وتقدمه فى الشيخوخة اذ كان عمره ثلاثا وسبعين سنة وماكان يستطيع الركوب على ظهر جواد بل كان يركب محفة . وكان يريد مهاجمة قلعة اكرى أولا إلا أن الكونت زرينى تعرض لبعض جنود السلطان فحاصر السلطان الكونت زرينى بزجت أو سكودار ففتح المدينة واعتصم الكونت زرينى ومعه ثلاثة آلاف مقاتل بالقلعة ومكثوا يدافعون عنها حتى شهر سبتمبر مع أنهم لم يبق منهم على قيد الحياة غير الكونت زرينى وستمائة من رجاله . وأخيراً حفر المهندسون الاتراك نفقاً تحت القلعة ووضعوا به باروداً فدك الحصن .

وفى هذه الليلة التى فتح فيها الحصن بعد أن بادت حاميته كلها كان سليمان القانونى الفاتح الذى كان مريضا جثة هامدة فى فسطاطه، وكان الصدر الاعظم محمد باشا صقوللى قد أخفى خبر موته بعد أن أمر رئيس الاطباء بتحنيط جثة السلطان . ثم أرسل سراً الى ولى العهد الامير سليم بوفاة والده ثم عاد صقوللى مع الجيش ومعه جثة السلطان سليمان فى المحفة المقفلة وأحاط بها الحرس كأن صاحبها لا يزال حيا ؛ وسار صقوللى ومن معه من كبار الضباط العالمين بحقيقة موت السلطان حتى وصلوا بالقرب من بلغراد فى ٢٤ اكتوبر سنة ١٥٦٦ م وكانت الجنود على اعتقاد بأن السلطان مصاب بنوبة لا تمكنهم من رؤيته

وضربت الخيام لقضاء هذه الليلة فى هذا المكان ثم طلب صقوللى



خريطة تاريخية لأوربا من سنة ١٤٥٣ إلى سنة ١٦١٠ م . وكانت تركيا فى هذا العهد تتكون من الجزائر وتونس وطرابلس وبرقة ومصر ثم جزيرة العرب وفلسطين ولبنان وسوريا وآسيا الصغرى والبحر الاسود بكافة الممالك والبلدان الواقعة عليه من القوقاز والقرم ورومانيا وبلغاريا وكذا كانت تشمل جميع بلاد مقدونيا وسربيا وبلاد المجر والالبان واليونان غير جزائر قبرص ورودس وجزائر بحر ايجة وغيرها من جزائر البحر الابيض المتوسط .

مرتلى القرآن المصاحبين للجيش فأمرهم أن يجتمعوا حول محفة السلطان ليلا ويقرأوا ما تيسر من القرآن قبل الفجر (وهى الساعة التى مات فيها سليمان قبل ثمانية واربعين يوماً) .

وفى الوقت المعين وفى سكون الليل فَزِعَ الجنود من نومهم على أصوات المؤذنين فى هذا المكان الموحش والذين كانوا على يمين الجثة يتلون « كل من عليها فان » فيجيبهم المؤذنون الذين على يسار الجثة ببقية الآية الكريمة « ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام » فعلمت الجند بموت السلطان وعلا صياحهم وعويلهم . فأمرهم الصدر الأعظم بالسكون وأن يخلصوا للسلطان الجديد سليم خان الثانى الذى أعلن خبر جلوسه على عرش آل عثمان ثم ساروا مع رفات مولاهم الذى قادهم الى ساحات النصر ورفع راية الاسلام عالية مدة ثمان وأربعين سنة الى أن وصلوا القسطنطينية. ودفن السلطان سليمان فى جامع السليمانية وهو من أفخر مبانى العصر فرضى الله تعالى عنـــه .



صحيفة	سطر	خطاء	صواب
٢٤	١٢	كلماته	كلماته
٦٥	١٣	تقربوا	تقربوا
٧٨	١٨	عرقطة	عرفطة
٨٣	٦	امكان	المكان
١٢٧	٤	للهجرية	للهجرة
١٣٦	١٣	اختفو	اختفوا
١٤٧	٦	إنفاذه	إنقاذه
١٩٢	١	ومض	وامض
١٩٤	٢٢	القتاة	القناة
٢٠٠	٢٢	Escnial	Escurial
٢٠١	٤	لأولاد	لأولاد
٢٠١	١٥	حيث	حيت
٢١٦	١	الفاتح	فاتح
٢١٩	٧	الفارس	ألفا فارس
٢٥٠	٤	البيت	بيت
٢٦١	٢٤، ٢٥	البوسته	البوسنة
٢٦١	١٦	احذها	أخذها

مراجع الكتاب

أسد الغابة فى معرفة الصحابة لابن الأثير
سيرة الرسول لابن هشام
الاصابة فى تميز الصحابة لابن حجر العسقلانى
تاريخ ابن الأثير
تاريخ ابن كثير
تاريخ الطبرى
فتوح البلدان للبلازرى
ابن خلكان
النجوم الزاهرة لتغرى بردى
تاريخ ابن الوردى
الامامة والسياسة لابن قتيبه
مروج الذهب للمسعودى
تاريخ الجبرتى
خطط المقريزى
صبح الاعشى للقلقشندى
معجم البلدان لياقوت الحموى
دائرة المعارف البستانى
دائرة المعارف الفرنسية الكبرى
دائرة المعارف وجدى
حقائق الاخبار فى دول البحار لسرهنك باشا
الحلل السندسية للأمير شكيب ارسلان فى تاريخ الاندلس

أشهر مشاهير الاسلام لرفيق بك العظم
حضارة العرب لجوستاف ليبون
تاريخ الامم الاسلامية للخضرى بك
الاعلام للزركلي
الفتوح الاسلامية لابن دحلان
صفوة الاعتبار للسيد محمد بيرم
الاسلام السياسى للاستاذ حسن ابراهيم حسن
تاريخ جودت باشا
فلسفة التاريخ العثمانى لمحمد جميل بيهم
تاريخ الاتراك العثمانيين للاستاذ حسين لبيب
تاريخ الدولة العثمانية لمحمد بك فريد
تاريخ الدولة العلية لابراهيم حليم
تاريخ أوربا الحديث لعمر الاسكندرى وسليم حسن
مشاهد الممالك لادوار الياس
مقالات فتح الاندلس للاستاذ زكريا الصولى (مجلة المقتطف سنة ١٩٢٣م)
تاريخ سينا لنعوم بك شقير
تعليقات الامير شكيب ارسلان على حاضر العالم الاسـلامى للوتروب ستودارد Lottrop Stoddart
تاريخ آداب اللغة العربية لحفنى بك ناصف
آداب اللغة العربية لزيدان

الخرائط والصور من الحلل السندسية . ومشاهد الممالك وآداب اللغة العربية لزيدان واطلس Noix Darsy وصور سلاطين آل عثمان طبعة الجوائب (الاستانة).

الثمن ٢٥ ص



